الجامعة الإسلاميــــة ـ غزة
عمـــادة الدراســات العليا
كليـــة أصـــول الـــدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الغواية وعلاجها في ضوء القرآن الكريم

"دراسـة موضوعيه"

إعداد الطالب

حسن مرزوق حسن سمور

إشراف الدكتور

محمود هاشم محمود عنبر

بحـث مقدم لاستكمـال متطلبـات درجـة الماجستير فـي التفسـير وعلـوم القرآن

1433هـ - 2012م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ
﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى
لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾

(الحجر: ٣٩ – ٤٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهــــــــــــــــــــــــــــــــــــداء

إلى من أرسله ربي رحمة للعالمين، فرفع الظلم عن المظلومين رسول الله –ﷺ–.

إلى الذين بذلا عمرهما وجهدهما ومالهما في سبيل تعليمي وتربيتي أبي وأمي الحبيبين..

لله درهما........... وعند الله جزاؤهما.......... رب ارحمهما كما ربياني صغيراً وعلماني كبيراً.

إلى إخواني وأخواتي حفظهم الله ورعاهم.

إلى جامعتي الإسلامية وأساتذتي الكرام، الذين أثمر جهدهم مثل هذا البحث، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور محمود هاشم عنبر الذي أعطاني من وقته الكثير، وبذل الجهد الكبير.

إلى إذاعة صوت الأقصى، والعاملين فيها، ممن يتطلعون لفجر مشرق تبزغ فيه شمس الإسلام من جديد، وفي مقدمتهم مدير الإذاعة الأستاذ: إبراهيم ظاهر.

إلى المجاهدين الأبطال الذين بذلوا أرواحهم حتى باتت لا تعرف شيئا إلا طريقها إلى الجنة، وسالت دماؤهم لتروي الأرض في طمأنينة وسكينة.

إلى رفاق دربي وأحبتي طلاب الدراسات العليا بقسم التفسير وعلوم القرآن.

إلى أسرانا الأبطال الذين يقبعون في مقابر الأحياء و أسأل الله أن يمُنَّ عليهم بالفرج والتحرير من أيدي الطغاة المجرمين.

إلى أمتنا أسأل الله أن يكتب لها التمكين.

إلى الأقصى أسأل الله –تعالى– أن يحرره من أيدي الغاصبين.

إلى غزة العزة أسأل الله أن يفك حصارها، وأن يكتب الثبات والنصر لأهلها.

إليهم جميعاً............. أهدي رسالتي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

أتوَجّهُ بقلبي لأحمد الله-عزّوجلّ- صاحب الفضل كلِّه على رعايته وهدايته وتيسيره لي هذا الطريق المبارك، طريق العلم الشرعي امتثالاً لقوله -تعالى-: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾(البقرة: ١٥٢).

فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر والِّدَيَّ الكريمين الحبيبين الذَّين شجعاني على طلب العلم، فأسأل الله-تعالى-أن يبارك في عمرهما، وان يتقبل طاعتهما، وأن يختم لهما بخاتمة السعادة.

وأشكر المشرف الكريم، الدكتور محمود هاشم عنبر-جزاه الله عنِّي خيراً لما قَدَّمه من عون ومساندةٍ ومتابعةٍ وتشجيع بصبر وخلق نادرين، أثابه الله على ما بذله من جهود وجعل كلّ ما قدَّمه من دعم علميٍّ ومعنويٍ في ميزان حسناته.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذيَّ الكريمين، عضوي لجنة المناقشة، فضيلة الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي- حفظه الله- والدكتور: رياض محمود قاسم-حفظه الله-، حيث تشرفت بقبولهما مناقشة هذه الرسالة، لإثرائها بعلمهما الغزير، وتصويب ما فيها من زلل أو تقصير.

وأُسجِّلُ شكري وتقديري للذين قدموا لي الدعم والمساندة لترى هذه الرسالة النور، وأخص بالذكر: إذاعة صوت الأقصى، هذه الإذاعة العزيزة على قلبي، متمثلة بمديرها: الأستاذ إبراهيم ظاهر- حفظه الله-، ورئيس دائرة الإنتاج، الأستاذ حسام حجاج، الذين وقفوا إلى جانبي وساندوني أثناء فترة الدراسة والكتابة، فلهم جميعا خالص الشكر، ووافر المحبة والاحترام.

ولا أنسى هنا شكري وتقديري وامتناني لزوجتي، وشريكة حياتي، ورفيقة دربي " أم صهيب" التي سهرت الليالي، واحتملت أياماً صعبة، وكان لمعاناتها الكبيرة، ولصبرها الجميل بالغ الأثر عليَّ لإتمام هذا العمل.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى جامعتي الغراء، والقائمين عليها وأثمن جهودهم العظيمة للمحافظة على هذا الصرح الشامخ، وأخص بالذكر كلية أصول الدين والعاملين فيها متمثلة بعميدها فضيلة الدكتور: محمد بخيت- حفظه الله- وكذلك أساتذتي الكرام الذين يؤدون أسمى رسالة في الوجود.

وأخيراً أتقدَّم بالشكر والعرفان إلى كل من دعا لي في ظهر الغيب أو كانت له يدٌ في تقديم نصحٍ أو مساعدةٍ أو مساندةٍ أو تشجيع أو توفير وقتٍ أو جهدٍ للعمل في الرسالة.

أسأل المولى-عزَّ وجلَّ- الخير والهدى والتوفيق لنفسي وللجميع وأن يجعلنا من عباده المخلصين إنه سميع مجيب الدعاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأبى الله أن يكون هناك كتاب كامل غير كتابه

فالحمد لله من قبل ومن بعد

*****   *****   *****

قال العماد الأصفهاني:

إني قد رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه

إلا قال في غده:

لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن

ولو زِيْدَ كذا لكان يستحسن

ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل

ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل

وهذا من أعظم العِبر

وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا، أما بعد ...

فقد أنزل الله عزَّ وجل القرآن الكريم هداية للبشرية كما قال –سبحانه وتعالى–: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾
(المائدة: ١٥- ١٦)

فهدى الله –عزَّ وجلَّ– به البشرية للذي هو أقوم ونجاهم من الغواية والضلالة وهداية القرآن الكريم لا تكمن في وجه من الوجوه، أو تنحصر في جانب من الجوانب، بل هي الهداية عامة بيَّن الله –عزَّ وجلَّ– كل أنواع الخير وطرقه، ودعا إليها، وحذر سبحانه من كل أنواع الشر، وخطواته، ونهي عنها .

ومن أخطر ما يحيق بالإنسان في هذه الحياة ما يحيط به من أسباب الغواية والضلال .. ولذلك حذّر القرآن الكريم من الغواية وطرقها ، وبين صفات الغاوين، ومصيرهم ، ولكي يتجنب الإنسان الغواية ويحذرها ، رأيت أن أكتب بحثي بعنوان : الغواية وعلاجها في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعيه"

الدراسات السابقة:

لقد بذلت وسعي وطاقتي للوقوف على ما كتب من أبحاث حول الموضوع ، فلم أجد فيما اطلعت عليه بحثاً يستوفي الأهداف التي من أجلها سأكتب البحث، ولقد بدأت البحث بمكتبة الجامعة، ثم في بعض المكتبات العربية، كمكتبة الملك فهد بالرياض، وذلك عبر شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، وانتهيت بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ولم أعثر علي أي بحث يتناول موضوع الغواية .

أسباب اختيار الموضوع :

١- خطورة الغواية على الإنسان في الدنيا والآخرة.

٢- بيان فضل الله تعالى ومنته على العباد المتمثل في حمايتهم من الغواية وأسبابها.

٣- وقوع كثير من الناس في الغواية.

٤- تشجيع أستاذي فضيلة الدكتور/ محمود عنبر للبحث في هذا الموضوع ، والخوض في غماره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهداف البحث:

لهذا البحث أهداف عديدة سامية أذكر أهمها .

١- ابتغاء مرضاه الله -عزَّوجلَّ- ، فهو أهم هدف وأسمي غاية أرجوها من كتابة هذا البحث .

٢- إظهار المفهوم الحقيقي للغواية .

٣- رسم معالم الغواية وطرق النجاة منها.

٤- إبراز وإيضاح الوسائل التي يتبعها أعداء الأمة في إيقاع المسلمين في الغواية والضلالة وإظهار السبل التي يتبعونها في إبعاد المسلمين عن طريق الحق.

٥- بيان أسباب الغواية وآثارها وسبل النجاة منها.

منهجي في البحث :

منهجي في البحث : سلكت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي الموضوعي وذلك ضمن الخطوات التالية:

١- -جمع الآيات التي تحدثت عن الغواية، وتصنيفها وتقسيمها وكتابتها بالرسم العثماني .

٢- عزّوِ الآيات إلى سورها وتوثيقها في المتن تجنباً لإثقال الحواشي .

٣- تفسير الآيات من كتب التفسير القديمة والحديثة .

٤- تخريج الأحاديث، ونقل حكم العلماء عليها ، إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما.

٥- التعريف بالأعلام المغمورين.

٦- توضيح معاني المفردات الغريبة من معاجم اللغة العربية وقواميسها.

٧- عمل الفهارس اللازمة للبحث :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات.

هيكلة الدراسة.

قسَّمَ الباحث الدراسة إلى مقدمة ، وفصل تمهيدي، وأربعة فصول، وخاتمة.

المقدمة تشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف الدراسة، ومنهجية الدراسة وهيكلها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل التمهيدي

(مفهوم الغواية ومشتقاتها ونظائرها)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: **مفهوم الغواية**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الغواية لغة.

المطلب الثاني: تعريف الغواية اصطلاحا.

المطلب الثالث: العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني: **الغواية مشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم**.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: نظائر الغواية في القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

ميادين الغواية وأسبابها كما يصورها القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: **ميادين الغواية كما يصورها القرآن الكريم**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الغواية في العقيدة.

المطلب الثاني:الغواية في العبادات.

المطلب الثالث: الغواية في المعاملات.

المطلب الرابع:الغواية في الأخلاق.

المبحث الثاني:**أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم**.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثاني: الإعراض عن ذكر الله.

المطلب الثالث: حب المال والسلطان.

المطلب الرابع: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: انتكاس الفطرة.

المطلب السادس: موالاة اليهود والنصارى.

المطلب السابع: التبرج وكشف العورات.

المطلب الثامن: غياب الوعي الديني .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني
الشيطان وأبرز أساليبه في الغواية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: **أبرز أساليب الشيطان مع الكافرين**.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإحتناك.

المطلب الثاني: الاستحواذ.

المطلب الثالث: الأزّ.

المبحث الثاني: **أبرز أساليب الشيطان مع المؤمنين**.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الوسوسة.

المطلب الثاني: النزغ.

المطلب الثالث: استزلال الشيطان لهم.

المطلب الرابع: الإضلال.

المطلب الخامس: التسويل.

المطلب السادس: الإملاء.

المطلب السابع: الإيقاع بين المسلمين.

المطلب الثامن:التخويف.

المطلب التاسع: التزيين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

نماذج قرآنية للساقطين في الغواية، والناجين منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: **نماذج قرآنية للساقطين في الغواية**

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة لوط.

المطلب الثالث: قوم لوط.

المطلب الرابع: النمرود بن كنعان.

المطلب الخامس: فرعون.

المطلب السادس: قارون.

المطلب السابع: أصحاب السبت.

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.

المطلب التاسع: صاحب الجنتين .

المطلب العاشر: أصحاب الجنة .

المبحث الثاني: **نماذج قرآنية للناجين من الغواية**

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: يوسف عليه السلام.

المطب الثاني: امرأة فرعون.

المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.

المطلب الرابع: سحرة فرعون .

المطلب الخامس: مؤمن آل ياسين.

المطلب السادس: أصحاب الكهف.

المطلب السابع: صاحب صاحب الجنتين.

المطلب الثامن: أصحاب الأخدود.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع
نتائج الغواية وسبل النجاة والوقاية منها

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: **نتائج الغواية**

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الكفر.

المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم.

المطلب الثالث: الخسران والندم.

المطلب الرابع: العذاب الأليم في الآخرة.

المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين.

المطلب السادس: الهداية إلي السعير.

المبحث الثاني: **سبل النجاة والوقاية من الغواية**.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: إخلاص العبادة لله.

المطلب الثاني: التوبة والاستغفار.

المطلب الثالث: المداومة على ذكر الله.

المطلب الرابع: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

المطلب الخامس: كثرة السجود لله تعالي.

المطلب السادس: الحياء والحشمة.

المطلب السابع: الزواج.

المطلب الثامن:التوكل على الله.

المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة.

المطلب العاشر: الدعاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات

الفهارس

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المغمورين.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل التمهيدي

(مفهوم الغواية ومشتقاتها ونظائرها)

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الغواية

تعريف الغواية لغة

تعريف الغواية اصطلاحا

العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

المبحث الثاني:الغواية مشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم

الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم

نظائر الغواية في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: مفهوم الغواية

تعريف الغواية لغة

تعريف الغواية اصطلاحا

العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

مفهوم الغواية

خلق الله الخلق، وقدّر لهم العيش في الحياة الدنيا، وجعلها دار عملٍ واختبار، لتكون طريقًا إلى الآخرة، فإمّا نعيم مقيم، وإمّا عذاب أليم، وقد بيَّن الله تعالى للناس طريق الخير من طريق الشر فقال سبحانه ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ١٠) فإذا سلك الإنسان غير طريق الرشد، فإنه يصبح من أتباع الشيطان، وحينها ينضم إلي طائفة الغاوين، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤٢).(والغاوون) هم: المتبعون لإبليس والزائغون عن طريق الحق والواقعون في الضلال[1]،وقد نزه –سبحانه وتعالى– نبيه–ﷺ– عن الوقوع في الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواة، فقال–سبحانه–: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾(النجم: ٢) ، والإنسان إذا سلك طريق الهداية، زادة الله سبحانه وتعالى هدى، وإذا سلك طريق الغواية، فتحت له أبواب الغواية، وقد قال الله عزَّوجلَّ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ (الليل: ٥ – ١٠)، وجاء في حديث العرباض بن سارية–رضي الله عنه– قوله–ﷺ–: (... أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ) [2] فوصفهم بالرشد الذي هو خلاف الغي وبالهدي الذي هو خلاف الضلال وبهما يصلح العلم والعمل جميعًا ويصير الإنسان عالمًا عادلاً لا جاهلاً ولا ظالمًا[3] والمؤمن إنْ لم يكن في حصن من الله، معتصمًا به، فهو لا شك هالك، لذلك رأى الباحث أن يبدأ بحثه بهذه المقدمة قبل الحديث عن معنى الغواية لغةً واصطلاحًا.

---

(1) انظر: (فتح القدير) الشوكاني (١٨٨/٣)

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: كتاب العلم عن رسول الله–ﷺ– ، باب: بَاب مَا جَاءَ في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث (٢٦٧٦)، ص (٦٠٣) صححه الشيخ الألباني.

(3) انظر: (مجموع الفتاوى): ابن تيمية (٢٤٢/١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الغواية لغة.

الغواية من (غوى)، قال ابن فارس[١] :" الغين والواو والحرف المعتلّ بعدهما أصلان:أحدهما يدلُّ على خلاف الرُّشد وإظلام الأمر، والآخر على فساد في شيء.

فمن الأول: الغيّ، وهو خلاف الرشد، والجهل بالأمر، والانهماك في الباطل، يقال غَوى يَغوي غيًا"[٢].

(وغوى الرجل يغوي) غيا وغية وغواية، فهو غاو: إذا عدل عن طريق الصواب، وترك الرشاد، وفعلِ فعل الجهال، ومنه قوله تعالى﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾(طه: ١٢١)، وكقوله تعالى ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(الأعراف: ١٧٥)، وكقول الشاعر دريد بن الصِمه[٣] .

وهل أنا إلا من غزيةَ إن غوت غويت وإن ترشد غزيةَ أرشد

وقال الجوهري[٤]: "والغَيُ: الضلالُ والَخيبة، يُقَالُ: قد غَوَى (بالفتح) يغوي غيا وغوي غواية، فهو غاوٍ وغوٍ، وأغواهُ غيرهُ فَهُوَ غَوِيٌّ، على وزن(فعيل).

والتغاوي: التجمع والتعاون على الشر من الغواية أو الغي، ومن ذلك قول من قال تغاووا على عثمان–رضي الله عنه – فقتلوه"[٥].

وفي القاموس: يقال: غوى يغوي غيا، وغوى غواية فهو غاو وغوي وغيان: أي ضل وغواه غيره وأغواه وغواهُ [٦].

---

(1) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، له تصانيف عديدة منها (مقاييس اللغة) و(جامع التأويل في تفسير القرآن) توفي سنة ٣٩٥هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (١٩٣/١).

(2) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس(٣٢١/٤)

(3) دريد بن الصمة: هو الجشمي البكري: من هوازن: شجاع، من الأبطال، الشعراء،. كان سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين،(انظر الأعلام للزركلي٣٣٩/٢)

(4) الجوهري: هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول (الطيران) ومات في سبيله، أشهر كتبه (الصحاح) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. وصنع جناحين من خشب وربطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أسبق إليه وسأطير الساعة، فازدحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونهض بهما، فخانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلا. (الأعلام للزركلي٣١٣/١)

(5) الصحاح (٢٤٥٠/٦)

(6) القاموس المحيط للفيروز آبادي(١٧٠١/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذهب ابن منظور إلى أن الغواية تستعمل في أكثر من معنى فهي بمعنى الضلال، و بمعنى الخيبة، واستدل بما جاء في قول الله –عزَّوجلَّ–:﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾(طه:١٢١)، أي فسد عليه عيشة[١]

ومن خلال الأقوال السابقة يتبين للباحث أن الغواية في معناها اللغوي مختلفة تبعًا للسياق التي ترد فيه، والمعاني التي تأتي عليها الغواية هي:

١– الجهل والانهماك في الباطل. ٢– الضلال. ٣– فساد العيش.

٤– الخيبة. ٥–التجمع على الشر. ٦– بمعنى القتل.

المطلب الثاني:الغواية اصطلاحا.

اختلفت آراء العلماء والمفسرين حول تحديد المعنى الاصطلاحي للغواية وذلك كما يلي:

أولاً: التعريفات الاصطلاحية عند العلماء:

١– قال الراغب[٢] : "الغي جهل من اعتقاد فاسد"[٣].

٢– قال ابن الأثير[٤] : الغيّ " هو الضلال والانهماك في الباطل"[5].

٣– قال التهانوي[٦] الغواية: "هي سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب، وقيل هي حالة تحصل للسالك في سلوكه وهي كونه فاقدًا لما يوصله إلى المطلوب مخطئًا فيه، فإنها بمعنى الضلالة وهي مقابلة للهدى بمعنى الاهتداء".[٧]

---

(1) انظر: (لسان العرب): (١٥/١٤٠).

(2) الأصفهاني: هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني(أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان) سكن ببغداد، واشتهر، حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الأدباء) و (المفردات في غريب القرآن)، توفي سنة ٥٠٢هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (٢/٢٥٥).

(3) المفردات في غريب القرآن (٣٦٩).

(4) ابن الأثير: هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب مجد الدين، له مصنفات عديدة، منها (جامع الأصول في أحاديث الرسول) و (النهاية في غريب الحديث) ولد في جزيرة ابني عمر سنة ٥٤٤هـ، ونشأ ثم انتقل إلى الموصل، وله شعرٌ يسير، توفي بالموصل سنة ٦٠٦هـ، انظر: (وفيات الأعيان): ابن خلكان (٤/١٤١).

(5) النهاية (٣/٣٩٧).

(6)التهانوي: هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: باحث هندي، له (كشاف اصطلاحات الفنون) مجلدان، فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨ هـ و (سبق الغايات في نسق الآيات)، (الأعلام للزركلي٦/٢٩٥).

(7) كشاف اصطلاح الفنون (٣/١١٠١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: تعريف المفسرين للغواية:

١- قال الإمام الطبري في تفسيره للغي"وذلك إذا عدا الحق وتجاوزه "[١].

٢- قال ابن كثير: "الغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيرة".[٢]

٣- قال البقاعي: "الغواية هي الميل عن المقصود مما يسوء"[٣]

٤- وقال النيسابوري عند تفسيره لقوله- تعالي-: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾(النجم: ٢) الظاهر أن الضلال أعم، وهو أن لا يجد السالك مقصده طريقا أصلا، والغواية: أن لا يكون المقصد طريقا. فكأنه سبحانه نفى الأعم أولا، ثم نفى عنه الأخص، ليفيد أنه على الجادة، غير منحرف أصلا. [٤]

٥- وقد عرف ابن عاشور الغواية بأنها" فساد الرأي وتعلقه بالباطل"[٥].

من خلال الأقوال السابقة خلص الباحث إلي تعريف الغواية اصطلاحًا:

"هي عمل فاسد واعتقاد باطل يطرأ على النفس الإنسانية بتزيين شياطين الإنس والجن الشيَء الفاسد فيحسن عندها وتتصرف تبعًا لذلك " ويدل على ذلك قوله تعالي ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(الحجر: ٤٢).

المطلب الثالث: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

بعد أن بيَّن الباحث كلاً من المعاني اللغوية والاصطلاحية للغواية، لا بد من حصر لتلك المعاني لبيان هل من علاقة بينها.

أولاً: المعاني اللغوية:

دلت المعاني اللغوية للغواية على عدة معانٍ وهي:

١- أن الغواية خلاف الرشد، وهي بمعنى فساد الأمر.

٢- أنها بمعنى الجهل والانهماك في الباطل.

٣- أن الغواية بمعنى الضلال والخيبة.

٤- وبمعنى التجمع على الشر.

ثانياً: المعاني الاصطلاحية للغواية، وقد جاءت عن العلماء والمفسرين بعدة معاني:

١-أنها عبارة عن اعتقاد فاسد.

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (٥ /٤١٦).

(2) تفسير القرآن العظيم (٧ / ٤٤٣).

(3) نظم الدرر في تناسب الآي والسور (٨ /٢٣٦).

(4) تفسير النيسابوري (٧ /٧٣).

(5) التحرير والتنوير (٢٧/٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- الضلال والانهماك في الباطل.

٣-العدول عن الحق وتجاوزه.

٤- الميل عن المقصود مما يسوء.

٥- فساد الرأي وتعلقه بالباطل.

فمن خلال حصر المعاني اللغوية والاصطلاحية للغواية يتبيَّن للباحث أن بينهما توافق تام وكامل فكلاهما تغيير في سلوك الإنسان وبعدٌ عن الخير والصلاح في اتجاه الشر والفساد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: الغواية ومشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الغواية ونظائرها في القرآن الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: الغواية ومشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم

المطلب الأول: الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم.

أولاً: مشتقات الغواية في الآيات المكية:

وردت لفظة الغواية ومشتقاتها في الآيات المكية في واحد وعشرين موضعًا موزعةً على عشر سور مكية وذلك على النحو التالي:

م	المادة	الآية	رقم الآية	السورة
١	أَغْوَيْتَنِي	﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	١٦	الأعراف
٢	ٱلْغَيِّ	﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾	١٤٦	الأعراف
٣	ٱلْغَاوِينَ	﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾	١٧٥	الأعراف
٤	ٱلْغَيِّ	﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾	٢٠٢	الأعراف
٥	يُغْوِيَكُمْ	﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٣٤	هود
٦	أَغْوَيْتَنِي	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٣٩	الحجر
٧	وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٣٩	الحجر
٨	ٱلْغَاوِينَ	﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾	٤٢	الحجر
٩	لَأُغْوِيَنَّهُمْ	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٢	الحجر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠	غَيًّا	﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾	٥٩	مريم
١١	فَغَوَىٰ	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾	١٢١	طه
١٢	لِلْغَاوِينَ	﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾	٩١	الشعراء
١٣	وَٱلْغَاوُۥنَ	﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾	٩٤	الشعراء
١٤	ٱلْغَاوُۥنَ	﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾	٢٢٤	الشعراء
١٥	لَغَوِىٌّ	﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾	١٨	القصص
١٦	أَغْوَيْنَآ	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾	٦٣	القصص
١٧	أَغْوَيْنَٰهُمْ	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾	٦٣	القصص
١٨	غَوَيْنَا	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾	٦٣	القصص
١٩	لَأُغْوِيَنَّهُمْ	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	٨٢	ص
٢٠	فَأَغْوَيْنَٰكُمْ	﴿ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾	٣٢	الصافات
٢١	غَٰوِينَ	﴿ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾	٣٢	الصافات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: الغواية ومشتقاتها في الآيات المدنية:

وردت لفظة الغواية ومشتقاتها في الآيات المدنية في سورة واحدة وفي موضع واحد وهو:

١	ٱلْغَيِّ	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٥٦	البقرة

دراسة وتحليل حول ورود مادة الغواية ومشتقاتها في السور المكية والمدنية:

يتبين للباحث من خلال مواضع مادة الغواية في السور المكية والمدنية ما يلي:

١- أن غالب الآيات المكية جاءت في باب الإخبار، مثال ذلك:﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ طه(١٢١)، ومن المؤكد أن ذلك يأتي إخبارًا من الله سبحانه وتعالى عن آدم عليه السلام لما عصى أمر ربه قبل أن يكون في عالم التكليف وإثبات العصيان لآدم دليل على أنه لم يكن يومئذ نبيًا، ولعل في ذلك إشارة لأهل مكة بأن حالة الكفر والعصيان والغواية التي تسيطر على عقولهم وتعشعش في قلوبهم ما هي إلا نتيجة لغواية إبليس لهم والذي سبق أن أغوى أباهم آدم عليه السلام وسبب له ولذريته الطرد من الجنة.

٢- أيضا قوله تعالى﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ النجم(٢)، فلقد أخبرت الآية الكريمة أنه صلى الله عليه وسلم على هدىً مستقيم، ونفت عنه كل معالم الزيغ:﴿ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الحج:(٦٧)، وهكذا يتضح أن الموضوع الذي تعالجه هذه الآيات هو العقيدة بموضوعاتها الرئيسة: الوحي والوحدانية والآخرة خاصة إذا عرفنا أن هذه الآيات تتجه إلي بيان صدق الوحي بهذه العقيدة، ووهن عقيدة الشرك، كما أن هذا الدفاع القرآني عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس غريبًا على الآيات المكية التي أثبتت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ونفت عنه كل تهمة حاول الأعداء إلصاقها به وخاصة الضلال والغواية وهذا هو منهج القرآن الكريم في الدفاع عن أنبياء الله ورسله.

٣- أما المواضع في سورة مريم والشعراء فقد جاءت لبيان جزاء الغي وعاقبته كقوله تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم:٩٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الآيات المكية ترسل رسائل قوية لأهل مكة تبين لهم مصير الغاوين في الآخرة وهو أنهم سوف يلقون غيًا وعذاب جهنم، كما لا تغفل هذه الآيات المكية جانب الترغيب للمؤمنين الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم مع جانب الترهيب في قولة تعالى ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ (الشعراء: ٩٠ – ٩١).

٤- باقي المواضع المكية جاءت في باب التحذير من اتباع إغواء الشيطان بعد أن عزم على إغواء بني آدم بكل الطرق والوسائل، مثال ذلك﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(الحجر: ٣٩)، ومنه أيضًا قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾(الحجر:٤٢)، فلقد قرر الله–تعالى– أنه ليس للشيطان سلطان على عباده المخلصين، إنما سلطانه على الذين يدينون له ولا يدينون لله تعالى، وفي هذا تحذير للمؤمنين والكافرين في العهد المكي، فللمؤمنين حتى يثبتوا على إيمانهم ويحذروا غي الشيطان، وللكافرين حتى يعلموا أن ماهم فيه من غواية هو دليل على سلطان الشيطان عليهم.

٥- أما الموضع المدني، فقد جاء لإيضاح طريق المؤمنين الذين يحملون التصور الإيماني ويقومون بهذه الدعوة،، وأن الإسلام هو منهج الرشد، وغيره طريق الضلال، قال تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهذا الخطاب القرآني الهادئ في أسلوبه الواضح في دلالته يتناسب مع أجواء الدعوة الإسلامية على أرض المدينة المنورة ويتناغم مع الأجواء الإيمانية السائدة فهو يظهر وضوح الرؤية للجميع، فالرشد واضح والغي واضح ولا إكراه في الدين بعد سيادة الدين وظهور الحق من الباطل.

الاستعمال البياني لمادة غوى في القرآن الكريم.

إن القرآن الكريم حمّالٌ ذو وجوه فالآية الواحدة قد يكون لها أكثر من معنى وتحمل أكثر من وجه، وقد استعمل القرآن الكريم مادة (غوى) بعدة معاني هي على النحو التالي:

الأول: الغي بمعنى الإهلاك، وذلك في قوله تعالى:﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم٥٩)

قال القرطبيّ: غيّا أي هلاكا. [١]

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٧٤/٧)، قال الفيروز آبادي: "الغيّ هنا العذاب، وقيل المعنى: أثر الغيّ، وهذه المعاني متقاربة"، (انظر: بصائر ذوي التمييز) (١٥٦/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني: بمعنى الإضلال والإبعاد، قاله ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (لأعراف: ١٦) وأيضا قول الله –عزّوجلَّ– ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩)(١).

الثالث: الغيّ بمعنى الجهل والاعتقاد الفاسد، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾(الأعراف: ٢٠٢). ومنه أيضا قوله–سبحانه–: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم: ٢)، والمعنى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ أي: "ما عدل محمد–ﷺ– عن طريق الهداية المستقيم"، ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾أي: "ما وقع في الغي: وهو الجهل مع الاعتقاد الفاسد، وهو الجهل المركب"(٢).

الرابع: الغي بمعنى الفساد ومنه قوله تعالى:﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١) أي فسد عيشه في الجنّة (٣).

الخامس: الغيّ واد في جهنّم، بينه ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(مريم: ٥٩)، قال القرطبيّ: "والأظهر أنّ الغيّ اسم للوادي سمّي به لأنّ الغاوين يصيرون إليه" (٤).

السادس: الغيّ هو الشرّ والخسران، نقل ذلك ابن كثير عن ابن عبّاس وقتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم:٥٩) (٥).

السابع: الإغواء بمعنى إيقاع الغيّ في القلب، ومنه قوله تعالى ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦)، قال القرطبي: "المعنى بما أوقعت في قلبي من الغيّ" (٦).

المطلب الثاني: نظائر الغواية.

النظائر: " جمع نظيرة، وهي المِثْل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال "(٧)

---

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٧٤/٧)

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبه الزحيلي (٩٦/٢٧).

(3) بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٥٦).

(4) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٢٥).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣/ ١٣٥).

(6) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٧٤).

(7) لسان العرب: ابن منظور (٢١٩/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد هنا: الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، والتي تشبه في المعنى لفظة الغواية، وهي: الضلال، والخوض في الباطل، الطغيان، والردى.

١- الضلال: جاء الضلال بمعنى الغواية في قوله -عزّوجلّ-:﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ (يس: ٦٢)،ومنه قوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(الأنعام: ١٢٥)

٢- الخوض في الباطل ومنه قوله تعالى﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ (المدثر: ٤٢ – ٤٥).

٣- الطغيان، ومنه قوله تعالى﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾(ق: ٢٧) أي يقول شيطانه وما أغويته"[1].

٤-الإرداء، ومنه قوله تعالى ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾(الصافات: ٥٦)، قال مقاتل:" والله لقد كدت أن تغويني، ومن أغوى إنسانا فقد أهلكه [2]، وقال الثعالبي: أي لَتُهْلِكُنِي بإغْوائِكَ، وفسر الإرداء بالهلاك بسبب الإغواء[3].

(1) إيجاز البيان عن معاني القران: النيسابوري (٢/٧٦٠).

(2) معالم التنزيل: البغوي (٦/٣٧٨).

(3) انظر: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) (٣/٢٨١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

ميادين الغواية وأسبابها كما يصورها القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول:ميادين الغواية كما يصورها القرآن الكريم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الغواية في العقائد.

المطلب الثاني: الغواية في العبادات.

المطلب الثالث: الغواية في الأخلاق.

المطلب الرابع:الغواية في المعاملات.

المبحث الثاني:أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثاني: الإعراض عن ذكر الله.

المطلب الثالث: حب المال والسلطان.

المطلب الرابع: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: انتكاس الفطرة.

المطلب السادس: موالاة اليهود والنصارى.

المطلب السابع: التبرج وكشف العورات.

المطلب الثامن: غياب الوعي الديني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول
ميادين الغواية كما يصورها القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول:الغواية في العقيدة.

المطلب الثاني: الغواية في العبادات.

المطلب الثالث: الغواية في الأخلاق.

المطلب الرابع: الغواية في المعاملات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الغواية في العقيدة

لا شك أن العقيدة السماوية التي نزلت على رسل الله -عزَّوجلَّ- وأنبيائه واحدة، كما أن المبادئ العامة للشرائع وأصول الأخلاق واحدة، مع فوارق في التشريعات والجزئيات المفصلة لأصولها العامة حتى تكون مناسبة لحال الأمم باختلاف الأزمان والأحوال، قال تعالى﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(الشورى: ١٣). فالعقيدة الصحيحة لها الأثر، والأهمية البالغة على سير الأفراد والمجتمعات، وتتبين تلك الأهمية من خلال التعرف على أهمية العقيدة على الفرد وعلى المجتمعات.

أولاً: أهمية العقيدة على الفرد

تعد العقيدة ركنًا أساسيًا مهمًا في حياة البشرية، سواء على مستوى الأفراد، أو المجتمعات والدول، فلقد خلق الله تعالى الإنسان وركز في فطرته معرفة الله وتوحيده، إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، والقرآن الكريم والسنة النبوية مصدران صريحان في إثبات ذلك، فمن النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٣٠).

ومن الأحاديث النبوية الصريحة في أن الله فطر البشرية كلها على معرفته وتوحيده،قوله-ﷺ-: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة واقرؤا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾(الروم: ٣٠)[1].

ولقد بعث الله رسله تترى، وأنزل معهم الكتاب بالقسط، ليعبدوه وحده لا شريك له، وحدَّد الله أهداف دعوتهم فقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل: ٣٦).

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث (٢٦٥٨)، ص(١٠٢٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: أهمية العقيدة على مستوى المجتمع.

إن العامل العقدي له دور حاسم في تكوين المجتمعات والدول وسيرها وضبط حركتها عبر التاريخ وتوجيه مؤسساتها ونظمها.

والقرآن الكريم ركز على العامل العقدي لكونه عاملاً حاسمًا بإمكانه أن يغير مجرى الأحداث ويبدل سير الدول والمجتمعات على رغم توافر الإمكانيات المادية.

ولقد ذكر الله – تعالى – كثيرًا من الأمم والشعوب كانت لها القوة والمنعة وكانت في مركز الثقل، ومع ذلك لم تكن أبدًا استثناءً من سنة الله– تعالى– فانحرفت وغوت في عقيدتها فكانت عاقبتها الخسران في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (غافر: ٢١).

ولقد سجل القرآن الكريم هذه العلاقة المتلازمة القائمة بين العامل العقائدي وتطور المجتمعات سلبًا وإيجابًا [١]، وتاريخ المجتمعات الإسلامية بالذات خير شاهد على ذلك كما أبرز ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقولة: " فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم" [٢].

حيث وجد ابن تيمية أن هناك علاقة طردية بين صفاء العقيدة وتقدم المجتمعات وبالعكس، فكلما كانت العقيدة صافية كلما تحقق وساد الاستقرار السياسي والأمن الاجتماعي وازداد المجتمع قوة وتفوقًا، وبقدر ما تضطرب العقيدة بقدر ما تسير المجتمعات نحو الاضطراب سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا.

ولو تتبعنا صور الغواية في العقيدة لطال بنا المقام ولكن سيكتفي الباحث بذكر بعض نماذجها، وهي:

١– **عبادة غير الله –عزَّوجلَّ– عبادة كاملة:** فمن أعرض عن الله –عزَّوجلَّ– بالكلية وجعل عبادته لغير الله، من الجماد، أو الجن، أو الإنس، كالصلاة ، والصوم لهم فهذا أعظم الكفر، وأشد أنواع الشرك، وهكذا من ينكر وجود الله تعالى بالكلية، كالشيوعيين والملاحدة[٣]، قال –تعالــى–:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾(الفرقان: ٥٥)

قال الزحيلي: "يخبر اللّه– تعالى– عن ضلال المشركين عن عبادة اللّه وجهلهم وكفرهم بربهم فيقولوَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ أي ويعبد المشركون آلهة من غير اللّه لا

(1) انظر: (سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها): محمد هيشور (٢٢٥).
(2) فتاوى ابن تيمية، رسالة الفرقان بين الحق والباطل (١٣ / ١٧٧).
(3) انظر: (بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا): ابن باز (٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تنفعهم عبادتها، ولا يضرهم هجرها وتركها، ولا دليل لهم على ذلك إلا مجرد الهوى والتشهي، ويتركون عبادة من أنعم عليهم بالنعم، وَكانَ الْكافِرُ عَلى رَبِّهِ ظَهِيرًا أي وكان الكافر على معصية ربه معينا للشيطان بالعداوة والشرك" [1].

٢- التزلف إلى الله بعبادة الأصنام:

والتزلف هو التقرب إلى الله تعالى بعبادة الأصنام، واتخاذها قربى، وشفيعة لهم عند الله تعالى، وقد بين سبحانه وتعالى هذه الصورة من الغواية في حق المشركين الذين أشركوا مع الله –عزَّوجلَّ– آلهة أخرى بدعوى أنهم يتقربون بها إليه، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾(الزمر:٣).

فهؤلاء المشركين اتخذوا معبودات باطلة ليعبدوها من دون الله –عزَّوجلَّ–، وعبدوا سواه، وهي الأصنام أو الكواكب أو الملائكة أو بعض البشر، فكانوا يقولون لمن ينهاهم عن ذلك: إننا لا نعبد هذه المعبودات إلا من أجل أن نتوسل بها، لكي تقربنا إلى الله قربى، ولتكون شفيعة لنا عنده[2].

٣- التجرؤ بادعاء الألوهية:

ومثال ذلك: ادعاء فرعون للربوبية والألوهية على حدٍ سواء، فقال سبحانه وتعالى في حقه ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾(القصص: ٣٨)، وقوله– تعالى– على لسانه:﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾(النازعات: ٢٤).

ففرعون نفى إلوهية غيره، وادَّعى إلوهية نفسه مستدلاً ببعض الأدلة، كما سجل القرآن ذلك في قوله–تعالى–: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(الزخرف: ٥١)، وقوله–تعالى–: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾(النازعات: ٢٣ – ٢٤).

واتهم إله موسى–عليه السلام–كما في قوله– تعالى–: ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (الزخرف: ٥٢).

وقد وصل فرعون إلى أقصى درجات الغي والطغيان والإفساد التي أودت به إلى الهلاك.

٤- المغالاة في طاعة الأحبار والرهبان:

ويعني الباحث في هذه الصورة الطاعة العمياء للأحبار والرهبان وغيرهم، واتخاذهم مشرعين من دون الله –عزَّوجلَّ–، وهذا الذي أوقعهم في الضلال والانحراف العقائدي، كما أخبر سبحانه وتعالى في

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٩٢/١٩)

(2) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (١٥٧/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾(التوبة: ٣١).

قال السعدي:" (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ) وهم علماؤهم (وَرُهْبَانَهُمْ) أي: العُبَّاد المتجردين للعبادة. (أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) يُحِلُّون لهم ما حرم اللّه فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل اللّه فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.

وكانوا أيضا يغلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانًا تعبد من دون اللّه، وتقصد بالذبائح، والدعاء والاستغاثة"[(١)].

ويدخل في هذه الصورة كل من يطيع غير الله تعالى في معصيته، ويؤكد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[(٢)] .

٥- الإلحاد في أسماء الله تعالى:

الإلحاد لغة: " مصدر قولهم: الحد يلحد، وهو مأخوذ من مادّة (ل ح د) الّتي تدلّ على ميل عن الاستقامة، يقال ألحد الرّجل: إذا مال عن طريقة الحقّ والإيمان، وسمّي اللّحد لحدا لأنّه مائل في أحد جنبي الجدث (القبر)"[(٣)].

الإلحاد اصطلاحاً: هو" الميل عن الحقّ والعدول عنه فيما يتعلّق بأسماء اللّه تعالى أو بيته الحرام أو بآياته الكرام في دلالتها أو فيمن تنزّلت عليه"[(٤)]

والإلحاد في أسماء الله تعالى: هو نفيها، أو جحد معانيها، أو تحريفها عن الصواب، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، وإخراجها عن الحق المراد بالتأويلات الباطلة، أو تعطيل صفات الله - سبحانه وتعالى - عن صفات كماله، ونعوت جلاله؛ الثابتة في الكتاب والسنة، وهذا يعد مظهرًا من مظاهر الكفر، قال -تعالى-: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وجعلها مظهرًا من مظاهر الكفر، وذلك بإنكار تسميته- تعالى- بالأسماء الدالة على صفات ثابتة له، فحُق بأن يُسمى إلحادًا؛ لأنه عدول عن الحق بقصد المكابرة والحسد [(٥)].

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٣٤/١)

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٢٦/٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٣٠٠/١).

(3) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٢٣٦/٥).

(4) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-ﷺ-: صالح بن عبد الله بن حميد (٣٩٨٢/٩).

(5) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور(٢٣/٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- الإنكار والشك في البعث:

إن استبعاد الكفار لأمر البعث بعد الموت هو السبب الرئيس في ضلالهم وانحرافهم، إذ إن إنكار البعث يترتب عليه إنكار اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وقد حاججهم الله سبحانه وتعالى بكافة الأساليب المعنوية والحسية الدالة على إثباته، وفي بيان إنكار الكفار لذلك اليوم يقول تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ (التغابن: ٧)، وفي استبعادهم له يقول تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٦٦).

فبين الله -عزَّوجلَّ- من خلال الآيات الكريمة استبعاد الكفار لأمر البعث لأن هؤلاء لا يتصورون كيف يبعث الله الخلق من لدُن آدم عليه السلام حتى تقوم الساعة[١]، وهذا الإنكار والاستبعاد أوقعهم في الضلال والهلاك، حيث اعتقدوا أنهم لن يبعثوا ولن يحاسبوا على أعمالهم، فتشبثوا بما وجدوا عليه آباءهم.

٧- التحريف والتبديل في الكتب السماوية.

يعد التحريف في الكتب السماوية مظهرًا من مظاهر الغواية، والتحريف يشمل الزيادة أو النقصان أو التبديل أو الكتمان لما فيها من أحكام، وخير مثال على ذلك تحريف أهل الكتاب لكتبهم، حيث بينت كثير من الآيات هذا التحريف، يقول تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ (المائدة: ٤١)، ويقول تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٠١)، والله -عزَّوجلَّ- قد توعد الذين يتجرءون على كتبه بالعذاب الشديد في الآخرة فقال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾(البقرة: ٧٩)، فلقد توعد الله أحبار السوء من اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله، وجاءوا بأقوال من عندهم ونسبوها إلى الله ليأخذوا في مقابل هذا عرض الدنيا، فلهم عقوبة مهلكة بسبب كتابتهم هذا الباطل بأيديهم، ولهم عقوبة مهلكة بسبب ما يأخذونه في المقابل من المال الحرام، كالرشوة وغيرها[٢].

(1) انظر تفسير الشعراوي (٤٩٠١).
(2) انظر المصدر السابق (٢٤٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الغواية في العبادات.

خلق الله سبحانه وتعالى الناس ليعرفوه ويعبدوه، قياما بحق ربوبيته، وألوهيته، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات: ٥٦)، وهي الغاية التي من أجلها أرسل الله –عزَّوجلَّ– رسله كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦)، بل وألزم بها رسوله–ﷺ–حتى يأتيه اليقين كما قال– سبحانه–: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٩).

لهذا جعل الإسلام التعبد لله تعالى، هو أول ما يطالب به المسلم، وكانت أركان الإسلام، ومبانيه العظام، تتمثل في عبادات لله تعالى، هي – بعد الشهادتين – إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام.

أولاً: العبادة لغة:

مصدر عبد يعبد عبادة أي أطاع وهذا المصدر مأخوذ من مادّة (ع ب د) الّتي تدلّ على معنيين: الأوّل لين وذلّ، والآخر شدّة وغلظة(١).

ثانيًا: العبادة اصطلاحًا:

اسم جامع لكلّ ما يحبّه اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظّاهرة.

وقيل: عبادة اللّه: طاعته بفعل المأمور وترك المحذور(٢).

الهدف من العبادات:

ما شرع الله –عزَّوجلَّ– العبادات إلا ليربي في الإنسان ملكة التقوى، وليعوده على الخضوع، والعبودية، والإذعان لأوامر الله العلي القدير.كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

أنواع العبادات في الإسلام

العبادة في الإسلام لها أنواعٌ كثيرة؛ فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح، والصادرة عن القلب؛ كالذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام، والحج، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، فهي شاملة لكل تصرفات

---

(1) انظر: (مقاييس اللغة): ابن فارس (٤/ ٢٠٦) و(لسان العرب): ابن منظور (٣/ ٢٧٥).

(2) العبودية:ابن تيمية (٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤمن؛ إذا نوى بها القربة أو ما يعين عليها. حتى العادات، إذا قصد بها التقوّى على الطاعات، كالنوم والأكل والشرب، والبيع والشراء وطلب الرزق والنكاح، فإن هذه العادات مع النية الصالحة تصيرُ عباداتٍ؛ يثاب عليها، وليست العبادة قاصرة على الشعائر المعروفة.[١]

ولكن الباحث سيسلط الضوء على أركان الإسلام وهي التي اشتمل عليها حديث جبريل المشهور، الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث سأل النَبِيَّ عن الإسلام فقال:

(أن تشهدَ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)[٢] .

وجاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي –ﷺ-: (بُنِيَ الإسلامُ على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان)[٣].

ولا بد قبل الخوض في غمار الغواية في أركان الإسلام الخمسة أن نوضح أن العبادة لا بد لها عند قبولها من توفر شرطين اثنين؛ أحدهما: إخلاص النية لله، والثاني: تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا بدَّ من تجريد الإخلاص لله وحده، فلا يُشرَكُ مع الله غيره، ولا يُصرفُ من أنواع العبادة شيء لغير الله سبحانه وتعالى، و لا بد من تجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمرنا المولى سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١).

فالآية الكريمة بينت لنا أن علامة المحبة الصادقة لله ولرسوله –ﷺ–هي اتباعه فالذي يخالفه ويدعي حبه فهو حتمًا كاذب، إذ لو كان محبًا له لأطاعه، فالمحبةُ تستجلبُ الطاعةَ حتمًا [٤]

---

(1) انظر: (عقيدة التوحيد): صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (٣٦/١).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم...، رقم الحديث (٥٠)، ص(٢٥)، و الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم الحديث (١)، ص(٢٧).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: دعاؤكم إيمانكم، رقم الحديث (٨)، ص (١٧).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي(١٩٩/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حذر المولى سبحانه وتعالى من مخالفة أمره، ومخالفة رسوله-ﷺ- وتوعد بالعقاب الشديد عليها في الدنيا والآخرة فقال سبحانه﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣)(١).

فلا يُعبد الله سبحانه وتعالى بالبدع والمحدثات والمنكرات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، فإذا اختلَّ أحَدُ هذين الشرطين بأن فُقد الإخلاصُ، أو فُقدت المتابعةُ، أو فُقِدَا معًا فإنَّ العملَ مردودٌ على صاحبه، ولا يقبل عند الله عز وجل.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي ترويه عائشة رضي الله عنها (مَن أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ) وفي رواية أخرى (مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ) (٢).

من صور الغواية في أركان الإسلام

إن الأصل في العبادات التوقيف حتى يأتي الدليل على أنها مشروعة وإلا كانت كما قال الله –تعالى– ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(الشورى: ٢١).

١- نقض الشهادتين.

إن الشهادتين هما اللتان يدخل المرء بالنطق بهما في الإسلام، والنطق بهما اعتراف بمدلولهما، والإلزام بالقيام بما تقتضيانه؛ من أداء شعائر الإسلام، فإذا اختل بهذا الإلزام فقد نقض العهد الذي تعهد به حين نطق بالشهادتين.

ومثال الغواية في نقض الشهادتين: الشرك بالله –تعالى–.

الشرك لغة: الشّرك اسم من قولهم: أشرك به يشرك إشراكا، وهو مأخوذ من مادّة (ش ر ك) الّتي تدلّ على مقارنة وخلاف انفراد(٣).

الشرك اصطلاحًا: قال المناوي: الشّرك إمّا أكبر، وهو إثبات الشّريك للّه تعالى، أو أصغر وهو مراعاة غير اللّه في بعض الأمور(٤).

والوقوع في الشرك تحقيقٌ لأمنية الشيطان التي من أجلها استخدم كافة الأساليب لإغواء الإنسان

---

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٣٢٣/١٢).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم الحديث (٢٦٩٧)، ص(٤٩٢)، و الإمام مسلم، كتاب: الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، وردِّ محدثات الأمور، رقم الحديث (١٧١٨)، ص(٦٨٢).

(3) مقاييس اللغة: ابن فارس (٣/ ٢٥٢).

(4) مفردات ألفاظ القرآن (٣٠٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإيقاعه في الكفر والشرك، وهي العقبة الأولى من سبع عقبات بيَّنَها ابن القيم رحمه الله، والتي يتنقل الشيطان من خلالها ليوقع الإنسان في الضلال والكفر(١)

وقد توعد الله –عزَّوجلَّ– الذين يقعون في غواية الشرك بالضلال والخسران، فقال تعالى: ﴿.... وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١١٦).

قال الطبري:"ومن يجعل لله في عبادته شريكًا، فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل، ذهابًا بعيدًا وزوالا شديدًا، وذلك أنه بإشراكه بالله في عبادته قد أطاع الشيطان وسلك طريقه، وترك طاعة الله ومنهاج دينه، فذاك هو الضلال البعيد والخُسران المبين"(٢).

وسيكتفي الباحث بذكر بعض مظاهر الشرك دون تفصيل وذلك لورودها في المطلب السابق.

ومن مظاهر الشرك المهلكات:

١- الاستغاثة والتوسل بغير الله- تعالى-.

٢- الذبح والنذر لغير الله- تعالى-.

٣- الحلف بغير الله –عزَّوجلَّ-.

٤- اتخاذ القبور مزارات يشد إليها الرحال.

٥- اتخاذ مشرِّعين غير الله –عزَّوجلَّ-.

٦- دفن الأولياء والصالحين في المساجد.

٧- الحكم بغير ما أنزل الله.

٨- طاعة الحكام أو العلماء أو المشايخ في أمر يخالف نص القرآن أو صحيح السنة.

هذه بعض مظاهر الشرك بالله تعالى والتي تعد سببًا رئيسًا في الغواية التي تودي بصاحبها إلى الهلاك والعياذ بالله.

وقد حذر سبحانه وتعالى المسلمين من الوقوع في هذه الغواية الخطيرة التي لا يقبل معها أي طاعة كما قال سبحانه﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٨٨)، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(الزمر: ٦٥).

٢- ترك الصلاة جحودًا وتهاونًا.

إن الصلاة هي عمود الدين وهي أوكد العبادات بعد الشهادتين ومن تركها فقد كفر وقد قال الله تعالى ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

(1) انظر: (مدارج السالكين) (٢٤٤/١).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠٧/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي: خلف من بعدهم خلف، خالفوا سيره آبائهم الصالحين، فابتعدوا عن الله تعالى، وتركوا وجحدوا الصلاة، واستغرقوا في شهواتهم، فهؤلاء سيلقون غيا، والغي الشرود والضلال، وعاقبة الشرود الضياع والهلاك(١) .

وقال الله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾(الماعون: ٤ – ٧).

الويل: هو الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم للمنافقين الذين لا يصلون، ولا يريدون الله –عزَّوجلَّ– بصلاتهم، وهم في صلاتهم ساهون إذا صلوها، ولاهون غافلون عنها، ويصلون مرائين الناس بصلاتهم، لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم منهم، فيكفون عن سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وقيل أن الويل هو واد في جهنم للذين يقصرون في صلاتهم (٢).

٣– منع إخراج الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله –عزَّوجلَّ–.

وهذا المنع لم يكن لولا وعيد الشيطان بالفقر لأصحاب الأموال وقد قال الله –تعالى–: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

قال الشعراوي: "إن الشيطان قد يوسوس لكم بأن الإنفاق إفقار لكم، ويحاول أن يصرفكم عن الإنفاق في وجوه الخير، ويغريكم بالمعاصي والفحشاء، فالْغَنِيُّ حين يقبض يده عن المحتاج فإنه يُدْخِل في قلب المحتاج الحقد، وأي مجتمع يدخل في قلبه الحقد نجد كل المنكرات تنتشر فيه "(٣)، وقد أثبت الله –عزَّوجلَّ– في الآية السابقة إغواء الشياطين لبني آدم، ولما لها من تأثير على بني آدم إقدامًا أو إحجامًا؛ أما الإقدام: فيأمره بالزنا مثلاً، ويزين له حتى يقدم عليه؛ وأما الإحجام: فيأمره بالبخل، ويعده الفقر لو أنفق؛ وحينئذ يحجم عن الإنفاق(٤).

والله –عزَّوجلَّ– عالج هذه المسائل بقولة– سبحانه وتعالى–: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾(محمد: ٣٦).

وقد مدح الله– عزَّوجلَّ– المؤمنين وأثنى عليهم وجعل الإنفاق صفه من صفاتهم، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ (المؤمنون: ٤).

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن) سيد قطب (١٠٢/٥)

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦٣٣/٢٤)

(3) تفسير الشعراوي (٧٤٤/١).

(4)انظر: (تفسير ابن عثيمين): الشيخ ابن عثيمين (٢٧٥/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حذر سبحانه وتعالى الذين يقعون في مثل هذه الغواية الخطيرة بقولة –تعالى-: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرًا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (آل عمران: ١٨٠). و جعل الإمساك عن الإنفاق في سبيله والبخل سببًا من أسباب التهلكة فقال– تعالى-: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥).

وقد توعد سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم الذين يكنزون أموالهم ولا ينفقونها في سبيل الله، حيث قال- سبحانه-: ﴿ ....وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (التوبة:٣٤).

٤- الوقوع في مبطلات الصيام.

فرض الله تعالى على عباده صيام شهر رمضان، وسن نبيه صلى الله عليه وسلم أيامًا طوال العام، وقد وقت بدء الصوم بطلوع الفجر ونهايته بغروب الشمس، وبين لنا مبطلات الصيام كالأكل والشرب والجماع، فمن أتى أحدها وأغواه الشيطان فقد بطل صومه، وقد قال تعالى: ﴿ ......فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ لَهُنَّ ..... ﴾ (البقرة: ١٨٧).

٥- ارتكاب أحد محاذير الحج.

ومثال ذلك: الرفث والفسوق والجدال في الحج[1] .

فالرفث وإن أُبيح في غير الحج فهو محرم في الحج، أما الفسوق فهو محرم في الحج وفي غير الحج، فكأن الله ينبه إلى أنه وإن جاز أن يحدث من المسلم فسوق في غير الحج، فليس من الرفث والفسوق والجدال في الحج، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك فقال﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (البقرة: ١٩٧)

فليس من الأدب أن يكون المسلم في بيت الله ويحدث ذلك الفسوق منه، إنّ الفسوق محرم في كل وقت [2].

---

(1) الرفث: اسم للفحش من القول، وقيل هو الجماع، وأما الفسوق: فهو المعصية، وفسر بالخروج عن الاستقامة ، انظر: (المنهاج شرح صحيح مسلم) (١١٩/٩).

(2) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٥١٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥).

وقد بشَّر النبي-ﷺ- من يصون نفسه من الوقوع في هذه المحذورات التي تُوْدِي بأجر الفريضة بالكلية، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول اللّه-ﷺ-: (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمّه) [1].

المطلب الثالث: الغواية في الأخلاق:

الأخلاق لغة: هي السجيَّة أو الطبع[2].

الأخلاق اصطلاحا: قال الجرجاني: " الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقا سيئا "[3].

وهي أيضًا:"مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان، أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه"[4].

والأخلاق: هي جوهر الدين وروحه تسير وفق نظام من العمل، غايته تحقيق الحياة الخيرة الطيبة، ونمط من السلوك مع النفس والغير، والتزام الإنسان بالواجبات نحو الله، ونحو نفسه، وغيره من المخلوقات [5].

ويتبين مما سبق أن الخلق هو: هيئة راسخة في النفس يصدر عنها السلوك بيسر وسهولة دون تكلف.

أهمية الأخلاق في الإسلام:

اعتنى القرآن الكريم في مجال الأخلاق ، حيث كثرت الآيات التي تتحدث عن موضوع الأخلاق، وهذا يدل على أهميته، فهي صفة الأنبياء والصديقين، وقد أثنى الله –عزَّوجلَّ– على نبيِّه الكريم

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب المُحصَر، باب: قول الله تعالى:(فلا رفث) البقرة: ١٩٧، رقم الحديث(١٨١٩)، ص (٣٣٠)، وأخرجه مسلم، كتاب: الحج، باب: فضل الحج والعمرة ويوم عرفه، رقم الحديث (١٣٥٠)، ص(٥٠٤).

(2) لسان العرب: ابن منظور (١٤٠/٥).

(3) التعريفات (٣٣/١).

(4) أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان (٧٦).

(5) انظر: (أخلاق العلماء): أبو بكر الأجُرِّي (١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمد بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)، وقالت عائشة– رضي الله عنها–: (كان رسول الله خُلُقُه القرآن)[١].

وكذلك السنة النبوية اعتنت بالأخلاق، ووردت أحاديث كثيرة عن رسول الله–ﷺ–توضح مكانة الأخلاق، والحث عليها، فقد قال –ﷺ–: (ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)[٢]، فالأخلاق في الإسلام تحتل مكانة ومنزلة سامية، جدير بالمسلمين التحلي بها.

علاقة الأخلاق ببناء الأفراد والمجتمعات:

أولاً: على المستوى الفردي نجد أن الأخلاق تزرع في نفس الفرد الأمانة، والاستقامة والحياء والعفة والتواضع والإخلاص، وغير ذلك من القيم والفضائل السامية.

يقول الإمام الغزالي: " فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة..... " [٣].

فالأخلاق أساس الفلاح والنجاح كما قال تعالى﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ (الأعلى: ١٤–١٥)، وقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (الشمس: ٩–١٠).

أثر الأخلاق الإسلامية على الفرد.

تنعكس الأخلاق على سلوك الفرد قولا وعملا، كما ينعكس أثر الالتزام بهذه الأخلاق على ذات الفرد ونفسه؛ محققة نوعا من الكمال النفسي والصفاء فهي:

١– تعمل على إصلاح الفرد نفسيًا، وتوجهه نحو الخير وكافة مكارم الأخلاق التي تضمن له حياة نظيفة في الدنيا وسعادة دائمة في الآخرة.

٢– تعمل على ضبط الفرد لشهواته، ومطامعه، فلا تتغلب على فكره ووجدانه.

٣– تُبعِد الإنسان عن النقص البشري الذي يجعل الحياة جحيما لايطاق وذلك جرّاء صفاتٍ أبرزها: الجبن، والخوف، والاستهتار، واللامبالاة.. إلى غير ذلك من صفات يجب أن يتجنبها الإنسان.

وعلى هذا يمكن القول إن الأخلاق هي صمام الأمان لضبط سلوكيات الفرد نتيجة التزامه بمعايير وأحكام أهمها إرضاء الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإنه يتصرف على ضوئها وعلى هديها.

(1) مسند أحمد بن حنبل رقم (٢٤٦٤٥)، (٦/٩١)، تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(2) سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: حسن الخلق، رقم الحديث (٢٠٠٢)، ص (٣٦٢/٤) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(3) إحياء علوم الدين (٣ / ٥٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: على مستوى المجتمع نجد أن الأخلاق أساس لبناء المجتمعات الإنسانية، وهذا ما تشهد به الآيات الكريمة من سورة العصر قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر ١-٣)، فالعمل الصالح المبني على الإيمان، المدعم بالتواصي بالحق أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والخطوب، من شأنه أن يبني مجتمعًا محصناً لا تنال منه عوامل التردي والسقوط، وليس بلاء الحضارات قديمها وحديثها كامنًا في ضعف إمكاناتها أو منجزاتها العلمية، وإنما في قيمها الأخلاقية التي تسودها وتحكم عليها، والأخلاق السامية تسهم في بناء مجتمع واحد بعيد عن التمزق تسوده روح المحبة والتسامح والتكافل[١] .

ومن الآثار الظاهرة للأخلاق الإسلامية على المجتمع.

١- المحافظة على المجتمع وتماسكه، فتحدد له أهداف حياته ومُثُله العليا.

٢- تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه.

٣- تربط ثقافة المجتمع بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة.

٤- تقي المجتمع من النزعات، والأهواء والشهوات الطائشة، وتصل بالمجتمع إلى بر الأمان.

٥- تزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم، وتحدد له أهداف ومبررات وجوده[٢] .

أقسام الأخلاق:

قسَّم ابن القيم الأخلاق إلى قسمين وعرَّف كل قسم بمثال:

الأول: الأخلاق المذمومة.

الثاني: الأخلاق الفاضلة.

وأرجع كلا القسمين إلى أصوله فقال: أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة، وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة[٣]، ثم أشار- رحمه اللّه تعالى- إلى أن للأخلاق حدودًا، متى جاوزتها صارت عدوانا، ومتى قصرت عنها كانت نقصا ومهانة[٤].

والأخلاق المذمومة: هي تلك الأخلاق التي نهى الله -تعالى- عنها في كتابه، ونهى عنها رسولنا الكريم -ﷺ-كالكذب والخيانة والكبر وغيرها.

---

(1) انظر: (الأخلاق الإسلامية وأسسها): عبد الرحمن الميداني (٣٣/١).

(2) انظر: (المصدر السابق) (٣٥/١).

(3) الفوائد: ابن القيم (١٩٧).

(4) المصدر السابق: (١٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد قال الإمام الغزالي: "الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدافعة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة"(١).

أما الأخلاق الفاضلة:" هي تلك الأخلاق التي دعا القرآن الكريم إليها، والتي تحلى بها رسولنا محمد-ﷺ- ودعا المسلمين إلى التحلي بها كالصدق، والأمانة، والعدل، والإخلاص والتواضع وغيرها"(٢).

لقد حدد النبيُّ-ﷺ- الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين في دعوته وهي إتمام مكارم الأخلاق، والشيطان حدد أيضًا وجهته بعد معصيته لله -عزَّوجلَّ- بالسجود فقال ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩).

أي: بسبب كوني غاويا لأزينن لهم(أي بني آدم) والتزيين: بمعنى التحسين والتجميل بأن يصير الشيء زينًا، أي حسنًا حتى ترغب النفوس فيه وتقبل عليه(٣).

فكما أن الإسلام يدعوا الناس إلى الأخلاق الفاضلة والبعد عن الأخلاق الذميمة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(النحل: ٩٠) فإن الشيطان يحبب الناس ويدعوهم إلي الأخلاق الذميمة والمنكرة ، وهذا ما بيَّنه -تعالى- على لسانه، قال- تعالى-: ﴿...وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ...﴾(النور: ٢١)، "لأن الشيطان يسعى، هو وجنده في الدعوة إليها وتحسينها"(٤).

وصور الغواية في الأخلاق لا حصر لها، ذلك أن الشيطان قد عزم على إفساد أخلاق بني آدم وسنقتصر على خمسة أمثلة لهذه الغواية وهي:

١- الكذب ٢- الخيانة ٣- الكبر ٤-عقوق الوالدين ٥- الغيبة والنميمة.

أولاً: الكذب:

الكذب لغة: كذب يكذب، وهو مأخوذ من مادّة (ك ذ ب) الّتي تدلّ على خلاف الصّدق(٥).

---

(1) إحياء علوم الدين (٣/٥٤).

(2) منهاج المسلم أبو بكر الجزائري (١٩٣-١٩٤).

(3) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣/٣٠٩).

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي (٥٣٩).

(5) مقاييس اللغة: ابن منظور (٥-١٦٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكذب اصطلاحًا: قال الجرجانيّ: كذب الخبر عدم مطابقته للواقع، وقيل هو إخبار لا على ما عليه المخبر عنه[(١)].

حكم الكذب:

الكذب رذيلة محضة تُنبيءُ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعة قاهرة[(٢)].

وقد حذر سبحانه وتعالى من هذه الآفة الخطيرة التي تهدي صاحبها إلى النار والعياذ بالله.

حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ (النحل: ١٠٥).

قال الرازي: "في هذه الآية دلالة قوية على أن الكذب من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش والدليل عليه أن كلمة «إنما» للحصر، والمعنى: أن الكذب والفرية لا يقدم عليهما إلا من كان غير مؤمن بآيات الله تعالى"[(٣)].

وقد بيّن النبيُّ –ﷺ– مفاسد غواية الكذب وما يترتب عليها، فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–، عن النبيّ –ﷺ–قال: (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا)[(٤)].

وأشنع أنواع الكذب: الكذب على اللّه تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا النوع من أشد أنواع الكذب لأنّه افتراء في الدّين، وتلاعب بشرائع اللّه لعباده، وتجرّؤ عظيم على النّار، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(الأنعام: ٢١).

قال السعدي: أي: "لا أعظم ظلمًا وعنادًا، ممن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتمعا، افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته، التي جاءت بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم لا يفلح أبدا"[(٥)].

---

(1) التعريفات: الجرجاني (٢٣٥).

(2) انظر: (خلق المسلم): محمد الغزالي(٣٦).

(3) مفاتيح الغيب: الرازي (٤٦٩/٩).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، ما ينهي عن الكذب رقم الحديث (٦٠٩٤) ص (١١١٩).

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(٢٥٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد عدَّ الإمام ابن حجر الكذب (الّذي لا رخصة فيه) من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أنّ الكذب على الرّسول-ﷺ- كفر، قال ابن حجر: ولا ريب أنّ تعمّد الكذب على اللّه ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنّما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك[١].

ثانيًا: الخيانة:

الخيانة لغة: مصدر قولهم: خان يخون، وهو مأخوذ من مادة (خ ون) الّتي تدلّ على التّنقّص[٢].

والنقص: "أصل الخَوْن: النقص؛ لأن الخائن ينقص المخون شيئًا مما خانه فيه"[٣]

الخيانة اصطلاحًا: قال المناويّ: "الخيانة: هي التّفريط في الأمانة"[٤]، وهذا يشمل كل أمانه، فالتفريط في أمانة الدين والتكاليف الشرعية هو: خيانة لله تعالى.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

أنواع الخيانة:

للخيانة صورٌ متعددة نهى وحذر منها الشارع الحكيم.

من هذه الصور:

١- خيانة الدين ٢- خيانة الأمة والوطن ٣- خيانة العرض ٤- خيانة النفس والجوارح

وكل هذه الصور اشتملت عليها الآية الكريمة حيث يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧).

ولا شك أن خيانة الله تعالى، وخيانة رسوله صلى الله عليه وسلم، وخيانة الأمانات،هي معصية وذنب، وقد أورد الطبري معنى الخيانة الواردة في الآية الكريمة فقال: " وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله-ﷺ- والمؤمنين الإيمان الظاهر والنصيحة، وهو يسرُّ الكفر والغش لهم في الباطن، يدلون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم، وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية"[٥]، ولم يثبت بعد البحث صحة الأخبار الواردة في سبب نزولها.

---

(1) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر: ابن حجر الهيثمي (٢٤٨/١).
(2) لسان العرب: ابن منظور(١٤٤/١٣).
(3) جامع البيان في تأويل القرآن: للطبري (٤٨٥/١٣).
(4) التوقيف على مهام التعاريف: المناوي (١١١).
(5) جامع البيان في تأويل القرآن (٤٨٣/١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن كثير:" والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار، اللازمة والمتعدية"[١]، ففي هذه الآية "سمى الله المعصية بالخيانة"[٢].

حكم الخيانة:

خيانة الأمانة حرام لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٧)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان "[٣].

وقد عدَّ الإمام الذهبي[٤] – رحمه الله – الخيانة من الكبائر في الكبيرة الرابعة والثلاثين، ثم قال: "والخيانة في كل شيء قبيحة، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم"[٥].

ثالثًا: الكبر:

الكبر لغة: الكبر بالكسر: الكبرياء، والكبر العظمة والتّجبّر، وقيل: الرّفعة في الشّرف، وقيل: هي عبارة عن كمال الذّات ولا يوصف بها إلّا اللّه تعالى[٦].

الكبر اصطلاحًا: قال الكفويّ: التّكبّر: هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره، والاستكبار طلب ذلك التّشبّع وهو التّزيّن بأكثر ممّا عنده[٧].

فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواصّ من الخلق، وقلّما ينفكّ عنه العبّاد والزّهّاد والعلماء فضلا عن عوامّ الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلّى اللّه عليه وسلّم: (لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر)[٨] وإنّما صار حجابا دون الجنّة لأنّه يحول بين العبد وبين

---

(1) تفسير القرآن العظيم (٣٠٢/٢).

(2) مفاتيح الغيب: الرازي (٩١/٥).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم الحديث(٣٣٩)، ص(٢٢)، وأخرجه الإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم الحديث(٥٩)، ص(٤٦).

(4) الإمام الذهبي: هو الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين، قدوة الحفاظ والقراء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز المعروف بالذهبي، شافعي، ولد سنة٦٧٣هـ بدمشق، صنَّف الكتب المفيدة ومنها (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) توفي بدمشق سنة٧٤٨هـ، انظر: (ذيل تذكرة الحفاظ): أبو المحاسن الدمشقي (٢٢/١).

(5) كتاب الكبائر (١٤٩) الكبيرة الرابعة والثلاثون.

(6) لسان العرب: ابن منظور (١٢٥/٥).

(7) الكليات (٢٨).

(8) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه رقم الحديث(٩١)، ص (٥٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخلاق المؤمنين كلّها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنّة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلّها، لأنّه لا يقدر على أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه- وفيه شيء من الكبر-، فما من خلق ذميم إلّا وصاحب الكبر مضطرّ إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلّا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزّه، فمن هذا لم يدخل الجنّة من في قلبه مثقال حبّة منه، والأخلاق الذّميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة، وشرّ أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحقّ والانقياد له[١].

أنواع الكبر:

للكبر أنواع ثلاثة:

الأوّل: الكبر على اللّه تعالى وهو أفحش أنواع الكبر، وذلك مثل تكبّر فرعون ونمرود حيث استنكفا أن يكونا عبدين له.

الثّاني: الكبر على رسول اللّه-ﷺ- بأن يمتنع المتكبّر من الانقياد له تكبّرا وجهلا وعنادا كما فعل كفّار مكّة.

الثّالث: الكبر على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه فيتأبّى عن الانقياد له ويترفّع عليه.. وهذا وإن كان دون الأوّلين إلّا أنّه عظيم إثمه أيضا؛ لأنّ الكبرياء والعظمة إنّما يليقان باللّه تعالى وحده [٢].

حكم الكبر:

ذكر الإمام الذّهبيّ أنّ الكبر من الكبائر واستدلّ بآيات وأحاديث عديدة، ثمّ قال: وأشرّ الكبر من يتكبّر على العباد بعلمه فإنّ هذا لم ينفعه علمه.. ومن طلب العلم للفخر والرّياسة، وبطر على المسلمين، وتحامق عليهم وازدراهم، فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر [٣]، وقد عدّه الإمام ابن حجر[٤] أيضا من الكبائر وجعل معه العجب والخيلاء[٥].

وهذه الصورة من صور الغواية في الأخلاق طردت إبليس من ملكوت السموات إلى دركات الأرض قال- تعالى-: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾(الأعراف: ١٣).

---

(1) انظر: (إحياء علوم الدين): الغزالي(٣/٣٤٤).

(2) انظر: (الزواجر عن اقتراف الكبائر): ابن حجر الهيثمي (١/١٨١).

(3) الكبائر (٧٦- ٧٨).

(4) ابن حجر الهيثمي: هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، فقيه مصري، له تصانيف كثيرة منها (شرح الأربعين النووية) و(الزواجر عن اقتراف الكبائر) توفي سنة ٩٧٤هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (١/٢٣٤).

(5) الزواجر (٩٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي: اهبط منها يعني الجنة، فليس لك أن تستكبر فيها عن طاعاتي وأمري: فإن قال قائل: هل لأحد أن يتكبر في الجنة؟ قيل: إن معنى ذلك: فاهبط من الجنة فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله، فأما غيرها كالدنيا فقد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمستكين لطاعته(١) .

رابعًا: عقوق الوالدين:

العقوق لغة: قطيعة الوالدين، وكلّ ذي رحم. يقال: عقّ أباه فهو يعقّه عقّا وعُقوقًا(٢).

العقوق اصطلاحًا: قال ابن الصّلاح– رحمه اللّه–: العقوق المحرّم كلّ فعل يتأذّى به الوالد أو نحوه تأذّيا ليس بالهيّن مع كونه ليس من الأفعال الواجبة(٣).

حكم العقوق

أجمع العلماء على أنّ عقوق الوالدين أو أحدهما من الكبائر، وقد ذكر الإمامان: الذّهبيّ وابن حجر أدلّة عديدة على ذلك من الكتاب والسّنّة، فمن الكتاب قوله– تعالى–: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(الإسراء: ٢٣).

وقد جاء في الحديث الصّحيح أنّ العقوق ليس فقط كبيرة فحسب، ولكنّه من أكبر الكبائر فعن أبي بكرة–رضي الله عنه–(٤) قال: قال رسول اللّه–صلى الله عليه وسلم–: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟) قلنا: بلى يا رسول اللّه. قال: ثلاثا: (الإشراك باللّه، وعقوق الوالدين)، وكان متّكئا فجلس. فقال: (ألا وقول الزّور، وشهادة الزّور. ألا وقول الزّور، وشهادة الزّور). فما زال يقولها حتّى قلت: لا يسكت)(٥)، وقال الذّهبيّ معقّبا على هذا الحديث: "انظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البرّ بهما والإحسان إليهما بالإشراك"(٦).

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٣٢٩/١٢).

(2) مقاييس اللغة: ابن فارس (٤/٤).

(3) أدب المفتي والمستفتي(٢٠١/١).

(4) أبو بكرة هو: نفيع بن الحارث، كان من فضلاء الصحابة، وسمي بذلك لأنه تدلى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة، فاشتهر بأبي بكرة وهو مشهور بكنيته وقد توفي السنة الواحدة والخمسون للهجرة. انظر: (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) ابن عبد البر(١٥٣٠/٤).

(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأدب، باب:عقوق الوالدين من الكبائر، رقم الحديث (٥٩٧٦)،ص(١١٠٢)، والإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها رقم الحديث(٨٧)، ص(٥٣).

(6) الكبائر (٤٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا: الغيبة:

الغيبة لغة: يقول ابن فارس (الغين والياء والباء) أصل صحيح يدلّ على تستّر الشّيء عن العيون ثمّ يقاس من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلّا اللّه[١] .

الغيبة اصطلاحًا: قال الجرجانيّ: الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه[٢] .

حكم الغيبة:

عدّ الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال: الّذي دلّت عليه الدّلائل الكثيرة الصّحيحة الظّاهرة أنّها كبيرة[٣].

فلا عجب إذا صورها القرآن في صورة منفرة تتقزز منها النفوس، وتنبو عنها الأذواق ﴿....وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢)، والإنسان يأنف أن يأكل لحم أي إنسان، فكيف إذا كان لحم أخيه؟ وكيف إذا كان ميتا؟!

يقول الزمخشري: " (أيحب أحدكم) تمثيل وتصوير لما يناله من اغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه. وفيه مبالغات شتى: منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدًا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، حتى جعل الإنسان أخًا، ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتًا"[٤].

فبيَّن سبحانه وتعالى للمؤمنين من خلال الآية الكريمة ﴿....وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ .... ﴾ بقوله هل تحبون أن يأكل أحدكم لحم أخيه بعد مماته ميتًا، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه لأن الله حرم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حيًا، كما كرهتم لحمه ميتًا، فإن الله حرم غيبته حيًا، كما حرم أكل لحمه ميتًا[٥] .

---

(1) مقاييس اللغة: بن فارس(٣٢٤/٤).

(2) التعريفات (٥٢).

(3) الزواجر (٥٥٥/٢).

(4) الكشاف (٣٨٠/٦).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٣٠٨/٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون ما الغيبة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:(ذكرك أخاك بما يكره)، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهته)[١] .

وهكذا يتبين لنا من هذه الصورة من صور الغواية في الأخلاق خطر الغيبة وما يترتب عليها من هدم للمجتمع وتقطيع لأواصر المحبة بين المسلمين.

المطلب الثالث: الغواية في المعاملات:

معلوم أن الإنسان كائن اجتماعي، وهو مدني بأصل فطرته التي فطره الله عليها، بل هذه إحدى خصائصه الأساسية، ومن ضرورات هذا الاجتماع الإنساني وجود (معاملات) ما بين أفراده وجماعاته، ولا يمكن أن تؤدي هذه المعاملات وظيفتها في خدمة المجتمع البشري إلا إذا سارت على وجه واضح مستقر، ومتفق عليه من المجتمع، حتى لا تفضي المعاملات إلى نزاع دائم، وشقاق بعيد في شؤون الحياة، وما استبدل مجتمع من المجتمعات الأحكام الشرعية الخاصة بهذه المعاملات إلا دبَّ فيها النزاع والشقاق الذي يفضي إلى التمزق والتفرق، وسنتعرف في هذا المطلب على بعض صور الغواية في هذه المعاملات.

معنى المعاملات:

المعاملات لغة: جمع معاملة وهي مفاعله من العمل بمعنى الحرفة أو الصنعة، أو مطلق الفعل، وصيغة مفاعله تقتضي مشاركة بين طرفين فأكثر في الفعل الذي هو موضوع التعامل كالبيع والهبة ونحوها[٢].

المعاملات اصطلاحًا: بعد الرجوع إلى كتب التفسير والمفسرين لم أجد تعريفًا للمعاملات، وإنما وجدت تعريفًا عند الفقهاء.

قال التّهانويّ: المعاملة عند الفقهاء عبارة عن العقد على العمل ببعض الخارج "أي النّاتج عنها" [٣].

وتطلق أيضا على الأحكام الشّرعيّة المتعلّقة بتصرفات الناس في شؤونهم الدنيوية، وذلك كأحكام البيع والرهن، والتجارة والمزارعة، والصنعة والإجارة، والشركة والمضاربة، والنكاح والرضاع،

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، رقم الحديث (٢٥٨٨)، ص(١٠٠٢).

(2) المفردات: الراغب (ص ٣٤٨).

(3) كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٥٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والطلاق والعدة، والهبات والهدايا، والمواريث والوصايا، والحرب والصلح، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس في معاشهم، وحفظ دينهم، وأبدانهم،وأموالهم، وأعراضهم، ودمائهم، وعقولهم...[1]

أقسام المعاملة:

ويمكن تقسيم المعاملة إلى:

دنيويّة: وهي ما كان في موقع العقود أو نيّتها من بيع وشراء وسلم، ومساقاة ومزارعة وقروض ورهن وغير ذلك.

وأخرويّة: وهي ما يبذله المسلم من جهد أو مال أو زمن من غير عوض دنيويّ ابتغاء الأجر والثّواب من اللّه، وهو مفتقر إلى النّيّة.

وقد ينطبق هذا على المعاملات الدّنيويّة إذا قصد بها منفعة المسلمين بما يرضي اللّه عزّ وجلّ وتيسير مصالحهم.

صور المعاملات في الإسلام:

صور المعاملات لا متناهية، إذ من الممكن أن توجد في كل عصر معاملات جديدة، والقاعدة أن كل معاملة لا تتناقض مع أحكام الشريعة ومقاصدها ومبادئها، تكون مقبولة بنظر الدين، وعلى هذا فإنَّ صور المعاملات في الإسلام غير متناهية لذلك سنتطرق إلى الغواية في بعض هذه الصور.

وليس من قصدنا هنا التوسع في الجانب الفقهي المحض للمعاملات،وإنما الجانب التفسيري لبعض صور الغواية فيها، وذلك لأن أبواب (المعاملات الإسلامية) كثيرة، ويمكن إرجاعها إلى جوانب جامعة بينّها الدكتور عبد الستار سعيد وهي كالتالي:

١- الجانب الإنساني:

(ويدخل فيه من أبواب المعاملات ما يتعلق بحياة الإنسان الفردية والاجتماعية، كالنكاح، والرضاع، والحضانة، وتعدد الزوجات، والطلاق، والعدة.. الخ..).

٢. الجانب الاقتصادي:

(ويدخل فيه البيع، والشركة، والصّرف، والسّلم، والرّبا، والميراث.. الخ..).

٣. الجانب الجزائي:

(ويدخل فيه أبواب الحدود، والقصاص، والتعزير).

٤- الجانب التنفيذي:

(1) انظر: (دائرة معارف القرن العشرين): محمد فريد وجدي (٧/٧٤٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يقوم على تطبيق الدين كله، وإنفاذه بين الناس خاصة في ميدان التعامل، الذي يكثر فيه التنازع[١]

وسنقتصر في كل جانب من هذه الجوانب على بعض المعاملات، ولو تتبعنا الغواية في كل أبواب المعاملات لطال بنا المقام.

والأبواب التي سنهتم بها هي كالتالي:

١-النكاح ٢- البيع ٣- الميراث ٤- القصاص

أولاً: الغواية في النكاح:

إن عدم إحصان المسلم لنفسه واتباعه لخطوات الشيطان الذي يزين له المعصية، يوقعه في الضلال الذي يؤدي به إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

فمن صور الغواية في النكاح:

١ - النكاح بعقد شرعي باطل كنكاح المتعة.

إن النكاح في الشرع "يطلق على عقد التزويج"[٢]، وهو وطء المرأة بعقد شرعي يجيز للرجل وطأها، فلو وطأها بدون عقد شرعي فقد زنى.

وقد حذَّر -سبحانه وتعالى- من الزنا فقال:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٣٢)، قال السعدي: "والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، خصوصا هذا الأمر الذي في كثير من النفوس أقوى داع إليه"[٣].

فمن وقع في الزنا فقد وقع في الغواية التي حذر منها الرسول-ﷺ-.

٢ - عدم العدل في النكاح من اليتامى.

والمقصود: عدم إعطاء اليتيمة حقها الكامل عند الزواج منها كغيرها من النساء، وهذه الصورة من صور الغواية حذر منها سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ (النساء: ٣)

قال الطبري: معنى ذلك: "وإن خفتم، يا معشر أولياء اليتامى، أن لا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه، وتبلغوا بصداقهنَّ صدقات أمثالهنّ، فلا تنكحوهن، ولكن انكحوا غيرَهن من الغرائب اللواتي

---

(1) انظر: (المعاملات في الإسلام) (٢٠).

(2) انظر: (أحكام النكاح والزفاف): الشيخ مصطفى العدوى (٦).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أحلّهن الله لكم وطيبهن، من واحدة إلى أربع، وإن خفتم أن تجوروا إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا، فانكحوا منهن واحدة، أو ما ملكت أيمانكم"(١).

٣- الغواية في التعامل مع الإماء بإجبارهن على البغاء.

وهذه الصورة أشار إليها القرآن الكريم، في قوله–تعالى–: ﴿....وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (النور: ٣٣).

والمعنى: أي لا تكرهوا إمائكم على الزنا، إذا أردن تحصناً وتعففاً وليس معناه الشرط؛ لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا وإن لم يردن تحصنا، والتحصن: التعفف، لتطلبوا من أموال الدنيا، يريد من كسبهن وبيع أولادهن، ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني للمكرهات، والوزر على المكره(٢).

٤- عدم العدل بين الزوجات.

إن الله–تعالى– لم يترك الزوج، وخاصة المعدد– حبله على غاربة، بل أوجب عليه واجبات لإصلاح نفسه وبيته، في القسمة على الدوام في المبيت والنفقة والكسوة والسكن؛ فإن تركها ولم يعمل بها، فقد وقع في صورة من صور الغواية، وقد قال الله–تعالى–: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ (النساء: ٣)

ثانيًا: الغواية في البيع:

أباح الإسلام كل شيء يجلب الخير والبركة والنفع المباح، وحرم بعض البيوع والأصناف؛ لما في بعضها من الجهالة والغرر، أو الإضرار بأهل السوق، أو إيغار الصدور، أو الغش والكذب، أو ضرر على البدن والعقل ونحوها فهذه صور متعددة للغواية في البيع والتي تسبب الأحقاد والتشاحن والتناحر والأضرار.

وسنكتفي بذكر مثالين اثنين للغواية في البيع وهما تطفيف الميزان والربا.

١- تطفيف الميزان:

التطفيف لغة: مصدر قولهم: طفّف الكيل يطففّه، وهو مأخوذ من مادّة (ط ف ف) الّتي تدور حول معنى القلّة، يقول ابن فارس: الطّاء والفاء (المضعّفة) يدلّ على قلّة الشّيء، ومن ذلك قولهم: هذا شيء طفيف (قليل)، والتّطفيف: نقص الكيل والميزان(٣).

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (٥٣١/٧).

(2) انظر: (معالم التنزيل في تفسير القرآن): البغوي (٤١٤/٣).

(3) انظر: (مقاييس اللغة) (٣١٥/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التطفيف اصطلاحا: قال الراغب: "هو الاستيفاء من النّاس عند الكيل أو الوزن، والإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم" [١] .

وقد حذر سبحانه وتعالى وتوعد الذين يطففون في الميزان، فقال- سبحانه وتعالى-: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (المطففين ١ – ٦).

قال القرطبيّ: تقليل الحقّ بنقصانه في كيل أو وزن، وقيل: نقص المكيال، وهو ألّا تملأه إلى أصباره (أي جوانبه)[٢].

وقد فسر التطفيف في الآية التي تليها في قوله تعالى:﴿...ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

والتقديم في افتتاحية هذه السورة بالويل للمطففين، يبين خطر هذا العمل، لأنه مقياس اقتصاد العالم وميزان التعامل، فإذا اختلَّ أحدث خللاً في اقتصاده، وبالتالي اختلال في التعامل وهو فساد كبير [٣] وهذه الغواية في تطفيف الميزان ما كانت لتكون لولا الطمع" الذي ينزع النفس إلى الشيء شهوة له"[٤].

حكم التطفيف:

عدّ ابن حجر التّطفيف من الكبائر وجعله شاملا لبخس نحو الكيل أو الوزن أو الذّرع، وذلك لأنّه من أكل أموال النّاس بالباطل؛ ولهذا اشتدّ الوعيد عليه من الله تعالى، وأيضا فإنّما سمّي مطفّفا لأنّه لا يكاد يأخذ إلّا الشّيء الطّفيف وذلك ضرب من السّرقة والخيانة مع ما فيه من الإنباء عن عدم الأنفة والمروءة بالكلّيّة، ومن ثمّ عوقب بالويل الّذي هو شدّة العذاب، أو الوادي في جهنّم لو سيّرت فيه جبال الدّنيا لذابت من شدّة حرّه، نعوذ باللّه منه، وأيضا فقد شدّد اللّه تعالى عقوبة قوم شعيب- على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام- على بخسهم المكيال والميزان [٥]، فقال تعالى على لسان شعيب عليه السلام ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود: ٨٥).

---

(1) المفردات (٣١٤).

(2) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٣٨٣).

(3) انظر: (أضواء البيان): الشنقيطي (٨/٤٥٤).

(4) المفردات: الراغب(٢٠٧).

(5) انظر: (الزواجر): ابن حجر(٢/١٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ – الربا:

الربا لغة: مصدر قولهم: ربا يربو، إذا زاد، وهو مأخوذ من مادّة (ر ب و) الّتي تدلّ على الزّيادة والنّماء والعلوّ[١].

الربا اصطلاحًا: قال الرّاغب: "الرّبا في الشّرع خصّ بالزّيادة على وجه دون وجه"[٢].

وقال الجرجانيّ: "الرّبا شرعا هو فضل خال عن عوض شرط لأحد العاقدين"[٣].

حكم الربا:

الربا حرام بالإجماع بنصّ القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾(البقرة: ٢٧٥).

وفي هذه الآية تصريح من الله تعالى بحرمة الربا، وصرح بأن المتعامل بالربا محارب من الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾(البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩).

وصرح بأن آكل الربا لا يقوم أي: من قبره يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس[٤] بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

واللّه تعالى حرّم الرّبا لما فيه من ضرر المحتاجين، وأكل المال بالباطل، وهو موجود في المعاملات الرّبويّة.

والذي يتعامل بالربا قد جعله الله تعالى من زمرة إبليس لأنه لم يتّبع ما جاء به الحق جلّ وعلا، وما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢).

فالمرابون هم المتبعون لإبليس من الغاوين عن طريق الحق،الواقعين في الضلال وهذا بالطبع موافق لما قاله إبليس اللعين من قوله: لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين، فمن

(1) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٢/ ٤٠١).
(2) المفردات (١٨٧).
(3) التعريفات (١/٣٥).
(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي(١/١٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخلص لله –عزَّوجلَّ– وابتعد عن الربا فقد نجا من إغواء إبليس ونجا من غواية الربا والأكل الحرام[1].

ثالثًا: الغواية في الميراث:

أعطى الإسلام الميراث اهتماما كبيرا، و عمل على تحديد الورثة، أو من لهم الحق في تركة الميت، ليبطل بذلك ما كان يفعله العرب في الجاهلية قبل الإسلام من توريث الرجال دون النساء، والكبار دون الصغار، فجاء الإسلام ليبطل ذلك لما فيه من ظلم و جور، وحدد لكل مستحق في التركة حقه، فقال سبحانه: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ.... ﴾ (النساء: ١١).

فأحكام الميراث التي جاء بها الإسلام، جاءت ناصعة البياض كالشمس في رابعة النهار، فأبطلت أحكام الجاهلية التي ملئت بالجور والظلم وأكل الحقوق عنوة من أصحابها.

ولكن الناس تغافلوا عن أداء هذه الحقوق من الميراث التي حددها سبحانه وتعالى للناس فأسقطوا هذه الحقوق من مفاهيمهم الدنيوية لا لشيء إلا لأجل إشباع نهمهم من الدنيا على حساب غيرهم، حتى ولو أدى بهم هذا النهم إلى الظلم وقطع الأرحام وغيره، وسيسلط الباحث الضوء على ثلاثة أمثلة للغواية في الميراث.

من صور الغواية في الميراث:

١–حرمان المرأة من الميراث.

لقد عامل الإسلام المرأة معاملة كريمة وأنصفها بما لا تجد مثيلاً في القديم والحديث؛ حيث حدد لها نصيبًا في الميراث سواءً قل أو كثر، حسب درجة قرابتها للميت، فالأم والزوجة والابنة، والأخوات الشقيقات والأخوات لأب وبنات الابن والجدة، لهن نصيب مفروض من التركة، وقد بيَّنه تعالى فقال ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾(النساء: ٧).

والإسلام أعطى النساء حقوقهن كما أعطى الرجال، ولا يحابي جنسًا على حساب جنس آخر حينما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل كما في قوله تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾(النساء: ١١).

---

(1) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (١٨٨/٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون بالبنوة إلا إذا كان الأبناء ذكورًا، أما النساء فلا ميراث لهن، لأنهم كانوا يقولون إنما يرث أموالنا من طاعن بالرمح، وضرب بالسيف[1]

وقد جاء التحذير من الله –عزَّوجلَّ– لمن يقع في هذه الغواية الشنيعة فقال سبحانه وتعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾(محمد: ٢٢).

٢- التفرقة في العطية بين الأبناء.

لقد حذر الإسلام كافة الآباء من عدم إقامة العدل بين الأبناء في توزيع الميراث، فعدم العدل بين الأبناء في العطية يولد الحقد والعداوة والشحناء بينهم، وقد أمر سبحانه وتعالى بالقسط والعدل فقال –تعالى-: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨).

قال السعدي: "أي كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى"[2].

وقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم عدم العدل بين الأبناء صورة من صور الظلم والجور، وحذر المسلمين من ارتكاب هذا النوع من الظلم وهذا ما جاء في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله–ﷺ– فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما (أي وهبته عبدا كان عندي) فقال رسول الله–ﷺ-: (أكلَّ ولدك نحلته مثله)؟ فقال لا، فقال رسول الله –ﷺ-: (فأرجعه)، وفي رواية فقال رسول الله–ﷺ-: (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)، قال فرجع فرد عطيته، وفي رواية (فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور) [3].

٣- أكل مال اليتيم.

حرص الإسلام على الاهتمام باليتيم وبأمواله وحقوقه، وحذر من قهره وأخذ أمواله وظلمه، وجاء هذا النهي والتحذير من الله –عزَّوجلَّ– فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾(الأنعام: ١٥٢). وفي سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٤)، ففي الآيتين الكريمتين تأكيد واضح وصريح على حرمة مال اليتيم، ولما كان ولي اليتيم قد يطمع في ماله أو شيء منه؛ إذ هو المستولي عليه المتصرف به، ولا رقيب عليه سوى اللَّه عز وجل جاءت الشريعة بالتحذير من

---

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٤٨/٤).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٢٤).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: الإشهاد في الهبة، وباب: الهبة للولد، رقم الحديث(٢٥٨٦-٢٥٨٧)، ص (٤٦٩)، وكتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور، رقم الحديث (٢٦٥٠)، ص (٤٨١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاعتداء على أموالهم، وظلمهم فيها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾(النساء: ١٠).

وأُكد الوعد في أكل مال اليتيم ظلما، وقد كثر الوعيد في هذه الآيات مرة بعد أخرى على من يفعل ذلك كقوله ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾(النساء: ٢)، وكقوله ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩)، ثم ذكر بعدها هذه الآية مفردة في وعيد من يأكل أموالهم، وذلك كله رحمة من الله تعالى باليتامى؛ لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله؛ لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى، بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى [(١)].

رابعًا: الغواية في القصاص:

١- القصاص لغة واصطلاحاً:

القصاص لغة: اسم بمعنى القود مأخوذ من مادّة (ق ص ص) الّتي تدلّ على تتبّع الشّيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبّعته[(٢)].

القصاص اصطلاحًا: قال الجرجانيّ: أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل[(٣)].

٢- أثر عدم تطبيق القصاص على المجتمع .

قال الشنقيطي:" ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: القصاص، فإن الإنسان إذا غضب وهمّ بأن يقتل إنسانًا آخر فتذكر أنه إن قتله قتل به، خاف العاقبة فترك القتل، فحيي ذلك الذي يريد قتله،وحيي هو لأنه لم يقتل فيقتل قصاصًا، فقتل القاتل يحيا به ما لا يعلمه إلا الله كثرة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(البقرة: ١٧٩)، ولا شك أنّ هذا من أعدل الطّرق وأقومها، ولذلك يشاهد في أنظار الدّنيا قديما وحديثا قلّة وقوع القتل في البلاد الّتي تحكم بكتاب اللّه، لأنّ القصاص ردع عن جريمة القتل، كما ذكره اللّه في الآية المذكورة آنفا"[(٤)].

فعندما لا يطبق القصاص في حياة الناس ويفلت القاتل منه يستشري القتل في المجتمع وحينها يفقد المجتمع تماسكه وتكون العاقبة التفكك والتمزق.

---

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٥/٧٤).

(2) الصحاح: الجوهري (٣/ ١٠٥١- ١٠٥٢).

(3) التعريفات (١٧٣).

(4) أضواء البيان (٣/٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- حماية المجتمع تكمن في تطبيق القصاص.

إن من حق المجتمع أن يحمي نفسه ممن لا يأبه بحرمة الله دون استثناء لأي اعتبار كان، ولذلك كان النبي-ﷺ- يقيم حدود اللّه دون مجاملة، وقد رفض -ﷺ- الشفاعة فيها من أعز أحبابه أسامه بن زيد-رضي الله عنه- ، وقال له: (أتشفع في حد من حدود اللّه؟ ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أنَّ فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها)(١).

وقد أمر الله المسلمين بتطبيق حدوده دون محاباة من أحد، ودون أن تأخذهم رأفة في المقتص منهم، كما بين سبحانه وتعالى ذلك: ﴿...وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ...﴾ (النور: ٢).

قال الآلوسي: أي في طاعته وإقامة حده الذي شرعه، والمراد النهي عن التخفيف في الجلد، بأن يجلدوهما جلدا غير مؤلم، أو بأن يكون أقل من مائة جلدة، أو بإسقاط الحد بشفاعة أو نحوها (٢).

"لذا ينبغي من ولاة المسلمين الحزم في إنزال العقاب والمساواة بين الناس في إقامة الحدود، فلا يفرق بين الشريف والوضيع والقوي والضعيف، فإن المحاباة في إنزال العقوبات الشرعية سبب لهلاك الأمة"(٣)، وقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يكونوا قوامين بالقسط عند تطبيقهم للأحكام الشرعية ولا يقعوا في هذه الغواية التي تولد الضغائن والأحقاد في قلوب المجتمع، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾(النساء: ١٣٥).

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار، رقم الحديث (٣٤٧٥)، ص(٦٤٠).

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣١٩/١٣).

(3) منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع: د محمد يوسف (٤٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: اتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثاني: موالاة اليهود والنصارى.

المطلب الثالث: الإعراض عن ذكر الله.

المطلب الرابع: حب المال والسلطان.

المطلب الخامس: التبرج وكشف العورات.

المطلب السادس: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السابع: انتكاس الفطرة.

المطلب الثامن: غياب الوعي الديني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم

المطلب الأول: اتباع خطوات الشيطان.

تعريف الخطوات لغة واصطلاحاً.

الخطوات لغة: (خطوأ): "الخاء والطاء والحرف المعتل والمهموز يدل على تعدي الشيء، والذهاب عنه، يقال: خطوت أخطو خطوة، الخطوة: مابين الرجلين، والخطوة: المرة الواحدة، والخطأ من هذا، لأنه مجاوزة حد الصواب، يقال أخطأ إذا تعدى الصواب، وخطئ يخطأ: إذا أذنب...."[١].

وعلى أساس هذا التعريف فسَّر أهل اللغة خطوات الشيطان على حسب ما فهموا من هذا التعريف.

قال ابن السكيت[٢] في قوله تعالى ﴿...لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ.﴾(النور: ٢١)، أي في الشر، وقال الزَّجَّاج[٣] : خطوات الشيطان: طرقة وآثاره، وقال الفراء[٤] : معناه لا تتبعوا أثره فإن اتباعه معصية، وقال الليث[٥] : معناه لا تقتدوا به[٦].

نلاحظ من خلال استعراض الأقوال السابقة لأهل اللغة أن هذه الأقوال تركزت على مفهومين اثنين هما" الأثر والطريقة".

---

(1) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (١٩٨/٢).

(2) هو: يعقوب بن إسحق أبو يوسف بن السكيّت، إمام في اللغة والأدب، أصله من خوزستان بين البصرة وفارس، توفي سنة ٢٤٤هـ. انظر: (الأعلام): للزر كلي (١٩٥/٨).

(3) الزَّجَّاج: هو أبو اسحق إبراهيم بن محمد السَّرِّي بن سهل الزَّجَّاج النحوي، صاحب التفسير، كان من أهل العلم بالأدب والدين، له كتاب (الأماني) و(الاشتقاق) وغيرها، كان يخرط الزُّجاج ثم تركه، واشتغل بالأدب، توفي سنة ٣١٠هـ، ببغداد، وقد أناف على ثمانين سنة، انظر: (وفيات الأعلام): (٤٩/١).

(4) الفرَّاء: هو يحي بن زياد بن عبدالله الأسدي الكوفي، أبو زكريا المعروف بالفراء، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، له مصنفات عديدة منها (المقصور والممدود) و (المعاني) و(اللغات)، توفي سنة ٢٠٧هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (١٤٥/٨).

(5) الليث بن سعد: هو عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره، كان كبير الديار المصرية، ورئيسها، وأمير من بها في عصره، أصله من خراسان، قال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به، له تصانيف كثيرة، توفي سنة ١٧٥هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (٢٤٨/٥).

(6) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٢٣٢/١٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخطوات اصطلاحاً:

١- لقد نقل الطبري بسنده عن بعض الصحابة والتابعين من المفسرين ما أثر عنهم في تعريف خطوات الشيطان": فعن ابن عباس قال: خطواته: أي عمله، مجاهد: خطيئته، قتادة: خطاياه، الضحاك[١] : خطايا الشيطان التي يأمر بها.

السُّدِّي[٢] : طاعته، ثم يعلق على هذه الأقوال ذاكرًا ما يرجحه في معنى الخطوات فيقول:" وهذه الأقوال التي ذكرناها فيمن ذكرناها عنه في تأويل قوله "خطوات الشيطان" قريب بعضها من بعض، لأن لكل قائل منهم قول في ذلك، فإنه أشار إلى النهي عن اتباع الشيطان في آثاره وعمله غير أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بُيّنت من أنها بُعْد ما بين قدميه، ثم تستعمل في جميع آثاره وطرقه"[٣].

٢- ويبين ابن عطية "خطوات الشيطان":بأنها كل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي فهي خطوات الشيطان"[٤].

٣- ويقول أبو السعود: "أي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى"[٥].

٤- ويسهب الآلوسي في بيان معنى الخطوات فيقول:" أي آثاره كما حكي عن الخليل، أو أعماله كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، أو خطاياه كما نقل عن مجاهد، وحاصل المعنى لا تعتقدوا به وتستنوا بسنته فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام، وعن الصادق من خطوات الشيطان الحلف بالطرق والنذور في المعاصي وكل يمين بغير الله تعالى..."[٦].

٥- يقول المراغي في تفسيره: لا تتبعوا خطوات الشيطان:"أي لا تتبعوا سيرته في الإغواء ووسوسته في الأمر بالسوء والفحشاء، فهو عدو لكم بيِّن العداوة، إذ هو منشئ الخواطر الرديئة المحرضة على ارتكاب الجرائم والآثام وقد قال تعالى:﴿...شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ

---

(1) الضحاك هو: ابن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم، مفسر، كان يؤدب الأطفال، له كتاب في التفسير، توفي بخراسان سنة ١٠٥هـ، انظر: (الأعلام): الزركلي (٣/٢١٤).

(2) السُّدِّي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، قيل عنه إنه صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، كان يجلس في سُدةِ باب الجامع بالكوفة، فسُميَ السُدِّي، وهو السُّدِّي الكبير، توفي سنة ١٢٩هـ، انظر: (تقريب التهذيب): ابن حجر(١٠٨)،(الأعلام): الزركلي (١/٣١٧).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن (٣/٣٠١).

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٢٣٧).

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/١٨٧).

(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢/٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ..﴾ (الأنعام:١١٢)، فهذا نهي عن اتباع وحي الباطل والشر لأنه من إغواء الشيطان...."[1].

٦- ونختم ببيان الشيخ الشعراوي لمعنى خطوات الشيطان فيقول:" لا تتبعوا خطوات الشيطان" أي لا تسيروا وراء الشيطان، فالخطوة هي المسافة بين القدمين عند المشي، أي بين النقلة والنقلة، ولا تجعلوا الشيطان قائدكم؛ لأن الشيطان عداوته لكم مسبقة، ويجب أن تحتاطوا بسوء الظن فيه؛ فهو الذي عصى ربه؛ ولا يصح أن يطاع في أي أمر"[2].

نظرة في الأقوال السابقة:

وبعد النظر في الأقوال السابقة يدرك الباحث أن جميع أقوال المفسرين تدور حول معنيين رئيسين، هما ذاتهما اللذان دارت عليهما أقوال أهل اللغة في بيان معنى الخطوات، فعمله وخطيئته وخطاياه وآثاره والإقتداء به والسير وراءه كلها تصب في معنيين هما: الآثام أو الموصل إلى تلك الآثام.

ولقد ذهب كثير من علماء السلف والخلف من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى أن خطوات الشيطان هي آثاره، فالله عزَّوجلَّ حذر الناس من اتباع تلك الآثار بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ١٦٨)، أي لا تعملوا بأعماله وتقتدوا بأفعاله فتقعوا في الآثام.

وغاية الشيطان من خلال تلك الخطوات هي: إيقاع الإنسان في الغواية، إذ إن الخطوات سبب من أسباب الغواية التي توقع الإنسان في الزلل، وقد بين الله –عزَّوجلَّ– من خلال السياق القرآني أن تلك الخطوات إنما هي أوامر سوء وفحش وتقول على الله –عزَّوجلَّ– ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٦٩)، وهذه كلها محاذير شرعيه ناتجة عن تلك الخطوات واتباعها.

وقد ذكر ابن القيم المراحل التي يسعى الشيطان من خلالها لإيقاع الناس في الغواية، فيبدأ مع الإنسان بالتدرج شيئًا فشيئًا إلى أن يصل إلى هدفه، وهو يدخل على كل نوعية من الناس بالطريقة التي تناسبها.

المرحلة الأولى: يسعى الشيطان لأن يكفر الإنسان أو يشرك، فإذا كان هذا الإنسان من المسلمين نزل إلى المرحلة الأخرى.

---

(1) تفسير المراغي (٤٣/٢).
(2) تفسير الشعراوي(٤١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المرحلة الثانية: وهي مرحلة البدعة، وهي أن يجعل الإنسان يبتدع، ويطبق البدعة،، فإذا كان ذلك الرجل من أهل السنة، بدأ معه في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: مرحلة الكبائر، مرحلة المعاصي الكبيرة، فإذا كان ذلك الرجل قد عصمه الله من تلك الأمور، فإن الشيطان لا ييأس.

المرحلة الرابعة: مرحلة الصغائر، فإذا عُصِمَ منها أيضًا فإنه يبدأ مرحله جديدة.

المرحلة الخامسة: وهي أن يشغل الشيطان الإنسان بالمباحات بحيث ينشغل الإنسان، فيضيّع وقته في أمر مباح، فلا ينشغل بالأمور الجادة.

المرحلة السادسة: وهي أن يشغل الإنسان بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، كأن ينشغل مثلاً بسنة عن فريضة.(١)

والشيطان لا يسأم من خلال خطواته في إغواء بني آدم، فهو حريص في دعوته، يتدرج في المضمون، ولا ييأس فيتدرج بالإنسان خطوة خطوة حتى يقع في الغواية

حيث يقول الله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرۡشًاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (الأنعام: ١٤٢).

المطلب الثاني: موالاة اليهود والنصارى.

أولاً- تعريف الولاء لغة واصطلاحًا:

١- **الولاء لغة**: "مصدر والى يوالي وهو مأخوذ من مادّة (ول ى) الّتي تدلّ على القرب، يقال تباعد بعد ولي أي قرب، وجلس ممّا يليني أي يقاربني "(٢).

والموالاة ضد المعاداة، يقال: (والى بينهما ولاء) أي: تابع بينهما متابعة، وافعل هذه الأشياء على (الولاء) أي المتابعة(٣).

٢- **الولاء اصطلاحًا**: "هي التّقرّب وإظهار الودّ بالأقوال والأفعال والنّوايا، لمن يتّخذه الإنسان وليّا، فإن كان هذا التّقرّب والودّ مقصودا به اللّه ورسوله والمؤمنون، فهي الموالاة الشّرعيّة الواجبة على كلّ مسلم، وإن كان المقصود هم الكفّار والمنافقين، على اختلاف أجناسهم، فهي موالاة كفر وردّة عن الإسلام"(٤).

---

(1) انظر: (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين): ابن القيم (٢٢٢/١).

(2) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (٦/ ١٤١).

(3) انظر: (مختار الصحاح): محمد بن أبي بكر الرازي (٧٣٦).

(4) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية: لمحماس الجلعود (٢٨)، و(كتاب الإيمان): للدكتور محمد نعيم ياسين (١٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا– موالاة اليهود والنصارى من خلال السياق القرآني.

قال شيخ الإسلام: "أصل الموالاة هي المحبة، كما أنّ أصل المعاداة البغض، فإن التّحابّ يوجب التقارب والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف، وقد قيل: المولى من الولي: وهو القرب، وهو يلي هذا، أي: هو يقرب منه(1).

صور الولاء كما يصورها القرآن الكريم

١– ولاء المؤمنين:

لقد أمر الإسلام المسلمين بتحقيق الموالاة فيما بينهم لتصبح واقعًا عمليًا في حياتهم، قال –تعالى–: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ بِخَلَٰقِكُمۡ.. ﴾(التوبة: ٧١).

وهذه الآية الكريمة جاءت بعد ذكر صفات المنافقين الذميمة، عطفت بذكر صفات المؤمنين المحمودة فقال: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾.

أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي –ﷺ–قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (2) .

٢– ولاء المنافقين:

قال–تعالى– عن المؤمنين ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ بينما قال في المنافقين ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٍ ﴾ (التوبة: ٦٧)، للإشعار بأن المؤمنين في تناصرهم وتعاضدهم وتراحمهم مدفوعون بدافع العقيدة الدينية التي ألفت بين قلوبهم، وجعلتهم أشبه ما يكون بالجسد الواحد، أما المنافقون فلا توجد بينهم هذه الروابط السامية، وإنما الذي يوجد بينهم هو التقليد واتباع الهوى، والسير وراء العصبية الممقوتة، فهم لا ولاية بينهم، وإنما الذي بينهم هو التقليد وكراهية ما أنزل الله على رسول الله – ﷺ– (3).

٣– موالاة أهل الكتاب:

جاء التحذير الصارخ والبلاغ العظيم للجماعة المؤمنة بعدم موالاة اليهود والنصارى، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(المائدة: ٥١).

---

(1) قاعدة في المحبة: ابن تيمية (١٩٨).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأدب، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم الحديث(٦٠٢٦)، ص(١١٠٩)، والإمام مسلم في صحيحة، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث(٢٥٨٥)، ص(١٠٠١).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير(٦/٤١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولذلك قال الإمام الطبري في قوله–تعالى–: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أي:" ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، فإنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو به وبدينه راض، وإذا رضي دينه، فقد عادى من خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه "(١).

وقال الفخر الرازي: قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾، قال: قال ابن عباس: يريد كأنه مثلهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين (٢).

والولاية لليهود والنصارى إن كانت على سبيل الرضا بدينهم، والطعن في دين الإسلام، كانت كفرًا وخروجًا عن دين الإسلام (٣).

وجاء ختام الآية بقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ليتبين لنا أن عموم القوم الظّالمين شمل اليهود والنّصارى، وموقع الجملة التذييلية يقتضي أنّ اليهودَ والنّصارى من القوم الظّالمين.

وقد ختم الله سبحانه وتعالى الآية الأولى في سورة الممتحنة التي تنهى عن موالاة أعداء الدين بقوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (الممتحنة: ١)، ليتضح بهذا سوء عاقبة موالاة أعداء الدين (في الدنيا والآخرة).

آثار ولاية أهل الكتاب:

إن موالاة اليهود والنصارى سبب من أسباب الضلال والغواية وقد حذَّر سبحانه وتعالى المسلمين من الوقوع فيها لما يترتب عليها من خسران في الدنيا والآخرة و براءة من الله وبراءة الله ممن وقع فيها بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ (آل عمران: ٢٨).

المطلب الثالث: الإعراض عن ذكر الله:

إنَّ ذِكْرَ الله تعالى من أعظم القربات وأفضل الطاعات وسبب لرفع الدرجات كما قال سبحانه وتعالى﴿ ...وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(العنكبوت: ٤٥)، فذكر الله هو أفضل ما يشغل به الإنسان نفسه، وقد بيَّن النبي –ﷺ– فضل ذكر الله –عزَّوجلَّ–، فقال: (ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟) قالوا بلى يا رسول الله!(قال: ذكر الله –

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/٤٠٠).

(2) مفاتيح الغيب: الرازي (٦/٧٧).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي(٤/١٩٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى-)[١]، ووصف الله المؤمنين بأنهم يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد هو المداومة على الذكر في غالب الأحوال لأن الإنسان قل أن يخلوا من إحدى الحالات الثلاث وهي القيام والقعود وكونه نائمًا على جنبه، والإعراض عن ذكر الله عزَّ وجلَّ يعد سببًا رئيسًا من أسباب الغفلة والغواية والضلال التي تؤدي بالإنسان إلى المعيشة الضنكى.

وقد عدَّ الإمام ابن القيم أكثر من مائه فائدة لذكر الله عزَّ وجلَّ[٢].

وسنتعرف على ماهية الإعراض ومعناه وعاقبته في الدنيا والآخرة.

مفهوم الإعراض لغة واصطلاحًا:

أولاً- الإعراض لغة: قال الراغب في مفرداته:" أعرض: أظهر عرضه أي ناحيته، فإذا قيل: أعرض لي كذا أي: بدأ عرضه وإذا قيل: أعرض عني فمعناه ولى مبديًا عرضه "[٣]،قال تعالى: ﴿...ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ...﴾ (السجدة: ٢٢).

ثانيًا- الإعراض اصطلاحاً: قال المناويّ: الإعراض: "الإضراب عن الشّيء بأن تأخذ عرضا أي جانبًا غير الجانب الّذي هو فيه"[٤].

وأما المقصود بذكر الله.

الذكر هو: التّخلّص من الغفلة والنّسيان [٥]، ويقول الرّاغب: "الذّكر تارة يقال ويراد به هيئة للنّفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وتارة يقال لحضور الشّيء القلب أو القول، ولذلك قيل الذّكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللّسان[٦].

وفي معنى الإعراض عن ذكر الله عزَّوجلَّ يوجد أقوال للمفسرين، وخاصة في معنى قول الله – تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ (طه:١٢٤).

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الذكر، رقم الحديث (٣٣٧٧)، ص (٧٦٦)، وصححه الألباني.

(2) انظر: (الوابل الصيب من الكلم الطيب): ابن القيم (٤٣-٥٨).

(3) المفردات في غريب القرآن (٣٣٠).

(4) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٦).

(5) مدارج السالكين (٢/ ٤٥١).

(6) المفردات (١٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول القرطبي:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ..... ﴾" أي ديني وتلاوة كتابي والعمل بما فيه، وقيل: عما أنزلت من الدلائل، ويحتمل أن يحمل الذكر على الرسول-ﷺ-؛ لأنه كان منه الذكر "(١).

أما الطبري فقال: أي "الذي أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه"(٢).

وقال الإمام الرازي: "والذكر يقع على القرآن وعلى سائر كتب الله تعالى.....ويحتمل أن يراد به الأدلة"(٣).

وقال ابن كثير: " أي: خالف أمري، وما أنزلته على رسولي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه"(٤).

وقال الآلوسي: "أن المقصود بالذكر في الآية هو: القرآن"(٥).

وبعد التأمل في أراء وأقوال المفسرين في معنى ذكر الله يجد الباحث أن هذه الأقوال تدور حول مفهوم واحد وهو: القرآن الكريم وسائر كتب الله تعالى ويحتمل أن يراد به الأدلة كما بين ذلك الإمام الرازي رحمه الله.

والإعراض عن دين الله تعالى قسمان:

القسم الأول: إعراض مكفر: وهو أن يترك المرء دين الله ويتولى عنه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو يتركه بجوارحه مع تصديقه بقلبه ونطقه بالشهادتين(٦)، وهذا الذي عبر عنه رب العزة في الآية الكريمة:﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (الشعراء: ٥)، وقد ذكر ذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله- ضمن نواقض الإسلام، فقال:" الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾(السجدة:٢٢)"، فالإمام كما يبدو من كلامه يعد جهل أصول الدين والإعراض عن تعلمه مع القدرة كفر أكبر وكذلك ترك العمل بعد ما يعلم.

القسم الثاني: إعراض غير مكفر: وهو أن يترك المسلم بعض الواجبات الشرعية غير الصلاة(٧).

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (٢٥٨/١١).
(2) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٩٠/١٨).
(3) مفاتيح الغيب (٤٨٣/١٠).
(4) تفسير القرآن العظيم (٣٢٣/٥).
(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٩٤/١٢).
(6) نواقض الإسلام: محمد بن عبد الوهاب (٣٦).
(7) الكفر الأكبر: للشيخ عبدالله بن جبرين (١١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن المتأمل لأحوال المعرضين عن الله تعالى يجدهم على أنواع:

١- فمنهم من يعرض بلسانه وقلبه عن معرفه الله تعالى وعبوديته، والنظر في آياته الكونية أو سماع آياته الشرعية، وهو حال أغلب الكفار من شتى الملل، وقليل منهم من يعلم آيات الله تعالى فيعرض مع علمه بها، وهذا هو الجحود الذي وقع فيه فرعون فأخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).

٢- ومنهم من يُظهرُ القبول لدين الله تعالى بلسانه لكنه يعترض عليه بقلبه، ويعرف ذلك في تصرفاته ولحن قوله، وهذا حال المنافقين قديمًا وحديثًا، وكلما كثر اعتراض الشخص على أحكام الشريعة وردها وتأويلها كان ذلك دليلاً على مرض قلبه بالنفاق؛ كما أخبر الله تعالى عن المنافقين في العهد النبوي وميزهم بكثرة اعتراضهم على أحكامه سبحانه وأحكام رسوله ﷺ، وهذا واضح وجلي في سورة التوبة.

٣- ومن الناس من يذعن بقلبه ولسانه للشريعة؛ لكنه يعترض على بعضها إما جهلاً، أو هوىً في نفسه، أو تقليدًا لأهل الجهل والهوى، وهذا على خطر عظيم أن يصاب بفتنة أو عذاب عاجل، لقوله تعالى: ﴿...فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(النور: ٦٣).

٤- ومن الناس من يعرض عن المواعظ والتذكير، ويشمئزُ منها، ولا يحب الاستماع إليها، وهذا في قلبه نوع من الاعتراض على ذكر الله تعالى، وفيه شبهٌ بالمشركين والمنافقين، ويخشى عليه من سوء العاقبة، وشؤم الخاتمة، وقد وصف الله تعالى المشركين بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر: ٤٥).

وأخبر سبحانه أنهم يفرون من المواعظ فرار الحمر الوحشية من رماتها أو من الأسد لئلَّا تفترسها ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾(المدثر: ٤٩ – ٥١).

والإعراض عن المواعظ والتذكير بكلام الله تعالى وكلام رسوله -ﷺ- سببٌ لإعراض الله -تعالى- عن العبد وهذا ما بينه حديث أبي واقد الليثي[(١)] -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُوْلَ الله -ﷺ- بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِيْ الْمَسْجِدِ وَالْنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُوْلِ الله -ﷺ-وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُوْلِ الله-ﷺ- فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِيْ الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيْهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا

(1) أبو واقد الليثي: هو صحابي جليل، شهد الفتح، سماه البخاري وغيره الحارث بن عوف، سكن بمكة وله أحاديث عده، ومات بها فدفن في مقبرة المهاجرين سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة وقيل: ابن خمس وثمانين سنة. انظر:(الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر)(٢/٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُوْلُ الله -ﷺ- قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَىَ الله فَآَوَاهُ اللهُ وَأَمَّا الْآَخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآَخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ)[1].

عاقبة الإعراض عن ذكر الله تعالى في الدنيا والآخرة:

إن الإعراض عن ذكر الله عزّوجلّ وعن أوامره ونواهيه واتباع الشيطان وهوى النفس، من الأمور الموجبة للعقاب من الله تعالى لمن ارتكبها، لذا فقد جعل الله -عزّوجلّ- جزاء الذين يعرضون عن ذكره عذابًا في الدنيا متمثل في المعيشة الضنكة وفي الآخرة بحشره أعمى، وهذا ما تعرضت له أكثر من آية في كتاب الله العزيز وهذا ما سنوضحه على شكل نقاط.

١- أولها في قوله-تعالى-:﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٥١).

لقد وصف اللّه تعالى الكافرين أهل النار بأنهم استحقوا النار لاتخاذهم الدّين لعبًا ولهوًا، واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفتها، عما أُمروا به من العمل للآخرة وهؤلاء اغتروا في حياتهم الدنيوية بالشهوات والزخارف والزينة واللذات من الحلال والحرام، وسخروا بالدين وأهله، وأعرضوا عن هدي اللّه في قرآنه، فكان جزاؤهم أن يعاملوا معاملة المنسي من الخير لأن اللّه- تعالى -لا يخرج شيء عن علمه ولا ينساه، ويتركوا في نار جهنم، كما تناسوا لقاء اللّه ولم يعملوا له، وأنكروا ما جاءت به الرسل وآيات اللّه، وإن اللّه يتركهم في عذاب النار، كما تركوا العمل في الدنيا للقاء اللّه يوم القيامة[2].

٢- في قوله-تعالى-: ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾(طه: ١٠٠)، أي من أعرض عن القرآن الكريم، و يشمل هذا الإعراض كل من بلغه هذا الكتاب، من العرب والعجم من أهل الكتاب وغيرهم من الوثنيين والماديين، وأصحاب النّحلات والملل، والمذاهب الفاسدة، والعقائد الباطلة.

وجزاء هذا المعرض عن كتاب الله تعالى المكث على الدوام في الجزاء الأخروي، وهو النار، وبئس الحمل الذي حملوه من الأوزار والأثقال، جزاء إعراضهم عن اتباع هذا الكتاب العزيز[3]، كما قال –تعالى-:﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ (هود: ١٧).

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب: العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس، ومن رأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، رقم الحديث (٦٦)، ص(٣٠).

(2) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): وهبه الزحيلي (٢٢٤/٨).

(3) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (١٥٤٧/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه:١٢٤).

قال السعدي في تفسيره لقوله تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ...) أي كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له والكفر به(فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) أي: فإن جزاءه أن نجعل معيشته ضيقة مشقه، ولا يكون ذلك إلا عذابًا، وفسرت المعيشة الضنكة بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء الإعراض عن ذكر ربه، و(وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ...) أي: هذا المعرض عن ذكر ربه يوم القيامة أعمى البصر على الصحيح[(١)]، وهذا ما نقله ابن القيم عن بعض المفسرين: "قاله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وابن عباس"[(٢)].

٤- وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(الزخرف: ٣٦ – ٣٧).

أي: ومن يتعام عن ذكر الرحمن، ويعرض عن قرآنه، ويتجاهل هدى الرسول -ﷺ- (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا) أي: نهيئ ونسبب له شيطانًا رجيمًا يستولي عليه، ويستحوذ على قلبه وعقله، (فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) أي: فذلك الشيطان يكون ملازمًا ومصاحبًا لهذا الإنسان الذي أعرض عن القرآن، ملازمة القرين لقرينه[(٣)].

٥- وفي قوله – تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون: ٩).

أي: "ومن يشغله حبه لماله وأولاده عن ذكر الله، وعن أداء ما كلفه – سبحانه – به، فأولئك هم البالغون أقصى درجات الخسران والغفلة، لأنهم خالفوا ما أمرهم به ربهم، وآثروا ما ينفعهم في عاجلتهم الفانية، على ما ينفعهم في آجلتهم الباقية"[(٤)].

٦- وفي قوله -تعالى-: ﴿ ...وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن: ١٧)، أي: ومن يعرض عن كتاب ربه؛ فإن الله تعالى يدخله في العذاب الشاق العسير المتواصل الذي لا يطيقه، ولا يجد فيه الراحة[(١)].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥١٥).
(2) الفوائد ص(١٨٥).
(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي(٨٠/١٣).
(4) المرجع السابق(٤١٤/٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: حب المال والجاه:

أولًا: نظرة الإسلام إلى المال:

إن المال ضرورة من الضروريات الخمس التي جاء بها الإسلام، وحافظ عليها، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فالعبد يحتاج إلى المال في كافة شؤون حياته، وبه يجلب الناس مصالحهم ويستدفعون به الضرر عن أنفسهم، وتقام به العبادات والمعاملات، وبه يتعفف الناس عن ذل السؤال، والناس مجبولون على حبه ، وقد قال الله تعالى:﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾(الفجر: ٢٠)، وسمى الله –عزَّوجلَّ– المال خيرًا، فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(العاديات: ٨).

فكثرة حب المرء للمال، وكسبه من مختلف الوجوه بدون تفرقه بين الحلال والحرام، وشدة الإكثار منه يؤدي إلى البخل به على من يستحقه[٢] .

وقد قال تعالى عن سليمان علية السلام: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾(ص: ٣٢)، قال السعدي:"أي: آثرت حب الخير، الذي هو المال عموما"[٣].

ولهذا اعتبر القرآن الكريم المال (قِيَامًا) أو (قوامًا) لحياة الناس، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ....﴾(النساء: ٥).

والمال في حد ذاته خيرٌ وليس بشر، ولكن الذي يجعل المال شرًا هم الناس أنفسهم، بابتعادهم عن منهج الله الذي رسمه للعباد كما قال تعالى:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(المائدة: ٤٨).

والمال لا يطلب لذاته في هذه الدنيا، وإنما يطلب عادة لما يضمنه من مصالح العباد، ولما يحققه من منافع، فهو وسيلة، والوسيلة تحمد أو تعاب، بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة أو سيئة.

وقد حذر–سبحانه وتعالى– عباده المؤمنين من الحرص على المال؛ لأن الله–تعالى– يعلم مواطن الضعف في النفس البشرية ويعلم طبيعتها وكيف أنها فطرت على حب المال، فالتحذير القرآني لا يهدف إلى قتل هذه الفطرة ، أو طمسها من أجر عظيم باق خالد؛ ذلك لأن المسلم إذا ركن بالكلية إلى المال فإنه حتماً سيشغله عن ذكر الله–تعالى–، ويجره إلى الغواية، وحينها تكون الخسارة المحققة التي تنتظره، لذلك نجد القرآن يحذرنا من هذا السبب الذي يؤدي إلى الغواية، حيث –يقول

---

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبي السعود(٣٩٣/٦).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن):الطبري (٥٥٧/٢٤).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي (٧١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبحانه وتعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(المنافقون: ٩).

قوله-تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ ﴾أي: لا تشغلكم ﴿ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا تشغلكم عن أدائكم لصلاتكم، كما شغلت المنافقين﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ أي: ومن يشغله ماله وولده عن ذكر الله فأولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة؛ لأنهم آثروا الفانية على الباقية[1] .

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾(القيامة: ٢٠)، تبين هذه الآية أن عبودية المسلم لربه تعالى تأبى أن يحرص على تحصيل هذه الزينة والشهرة على حساب الدين، لأن التمادي في حب المال والجاه مفسدة تؤدي للغواية .

ثانياً: نظرة الإسلام إلى الشرف:

لا شك أن الحرص على الجاه والشرف مفسدة عظيمة ليس بأقل من مفسدة المال، بل ربما أعظم وأشد هلاكا من الحرص على المال؛ لأن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها أضر بالعبد من طلب المال[2] .

والحرص على الشرف على قسمين:

القسم الأول: طلب الحرص على الشرف والجاه بالولاية والسلطان والمال، وهذا النوع خطير جداً؛ لأنه يحرم صاحبه من الآخرة ونعيمها، وقد قال الله- تعالى-: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأٓخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣).

أي: أنَّ تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبراً على الخلق، ولا فساداً وتجبراً، وظلماً للناس بغير حق؛ وإنما لأصحاب الإيمان والصلاح[3] .

وإنَّ صاحب هذا النوع ممن يحرص على الجاه لا يوفق بل يُوكل إلى نفسه، وهذا ما بيَّنه النبيُّ -ﷺ- من حديث عبد الرحمن بن سمرة-رضي الله عنه- قال-ﷺ-: (يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ

(1) انظر: (لباب التأويل في معاني التنزيل): الخازن (١٠٢/٧).
(2) انظر: (ذم المال والجاه): ابن رجب (١٤).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦٣٧/١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا)(١).

وفيه أيضاً عن أبي موسى الأشعري– رضي الله عنه– قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ –ﷺ–أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَهُ فقال–ﷺ–: (إِنَّا لَا نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ)(٢) .

القسم الثاني: طلب الجاه والعلو على الناس بالأمور الأخروية كالعلم والعمل والزهد.

وهذا القسم أفحش من الأول بل أقبح وأشد فساداً منه وخطراً؛ لأن العلم والعمل والزهد وغيره من الأعمال الأخروية؛ إنما يطلب بها رضا الله–تعالى– وثوابه المقيم.

لذا فقد جاء التحذير الرباني الشديد لمن يقع في هذا القسم فقد ضرب الله لنا مثلاً في القرآن الكريم، قال–تعالى–: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥ –١٧٦).

وجاء التحذير النبوي كذلك، لمن طلب المال والجاه بالأمور الأخروية، قال–ﷺ–: (مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا)(٣).

أنواع المحبة في المال والجاه:

أولاً: محبه طبيعية: كحب المال والأهل والولد والجاه، وهي مباحة مالم تشغل عن طاعة الله عزّوجلّ، وقد بين سبحانه وتعالى هذه المحبة في قوله:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران: ١٤)، ويقول تعالى:﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ (القيامة: ٢٠)، ويقول

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: من لم يسأل الإمارة أعانه الله، رقم الحديث (٧١٤٦)، ص (١٢٩٤).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: من لم يسأل الإمارة أعانه الله، رقم الحديث (٧١٤٩)، ص (١٢٩٤).

(3) أخرجه الإمام أبو داوود في سننه، كتاب: العلم ، باب: في طلب العلم لغير الله، رقم الحديث (٣٦٦٤)، ص (٨٢/١٠)، صححه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى:﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾(الفجر: ٢٠)، وغيرها من الآيات التي تبين تلك الفطرة التي أودعها الله تعالى في الإنسان.

وقد أباح الله لعباده الطيبات من الرزق، وحرم عليهم الخبائث، وكل ما يؤدي بهم إلى الهلاك.

ثانياً: محبة شركية: وهي محبه الأنداد مع الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ١٦٥)، وسواء كانت هذه الأنداد عبارة عن أصنام أو رؤساء أو أموال أو غيرها، فكل محبتها تعتبر محبه شركيه، إذا ذكرت إلى جانب اسم الله، وإذا أشركها المرء في قلبه مع حب الله، فكيف إذا نزع حب الله من قلبه وأفرد هذه الأنداد بالحب الذي لا يكون إلا لله؟[١] وهذه المحبة التي يقصدها الباحث في هذا المطلب؛ لأنها تؤدي بصاحبها إلى الهلاك في الدارين، كما قال سبحانه وتعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(التوبة: ٢٤).

ذم الحرص على المال:

لقد ذم الله –عزَّوجلَّ– من يحرص على المال والثراء، ومعنى الحرص هنا: "طلب الشّيء بأقصى ما يمكن من الاجتهاد"[٢]، معرضًا بذلك عن أوامر الله تعالى ومقصرًا في حقوقه وواجباته، وقد قسم ابن رجب الحنبلي الحرص على المال إلى نوعين:

أحدهما: شدة محبه المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه، والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة[٣]، كما قال سبحانه: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾(الفجر: ٢١)، وقد جاء في الحديث عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"[٤].

---

(1) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (١/١٢٢).

(2) مفاتيح الغيب: الرازي (٩/١٢٥).

(3) انظر ذم المال والجاه: ص(٦)

(4) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب: (٤٣)، رقم الحديث (٢٣٧٦)، ص(٥٣٥) قال الألباني حسن صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا مثل عظيم ضربه النبيِّ -ﷺ- لفساد دين المؤمن بالحرص على المال والشرف على حساب الدين، وأن فساد الدين بذلك ليس بأقل من فساد الذئبين في الغنم اللاتي غاب عنها رعاتها، فهما يأكلان ويفسدان فيها.

فتضمن هذا المثل العظيم التحذير الشديد من النبي ﷺ من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا الذي يؤدي إلى فساد الدين.

ثانيهما: طلبه من وجوهه المباحة مع منع الحقوق الواجبة وهذا النوع من أنواع الحرص جعله ابن رجب من الشح المذموم الذي حذر منه القرآن أيما تحذير فقد قال الله -عزَّوجلَّ-: ﴿...وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)[1].

وقد أضاف سبحانه وتعالى الشح إلى النفس لأنة غريزة فيها مقتضيه للحرص على المنع الذي هو البخل، ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها للشح في جميع ما أمر به؛ لأن العبد إذا وقى شح نفسه، سمحت له نفسه بأوامر الله ورسوله، فيفعلها ويطبقها وهو طائعٌ منقادٌ، منشرحٌ بها صدره، وأيضاً سمحت له نفسه بترك كل ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً إلى النفس، وسمحت له نفسه أيضاً أن يبذل الأموال في سبيل الله-تعالى-، وبذلك يحصل على الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته[2] .

وقد ورد التحذير الشديد من النبيِّ- ﷺ- في الحديث الذي رواه جابر بن عبدالله -رضي الله عنه-عن النبيِّ -ﷺ- قال: (اتّقوا الظّلم؛ فإنّ الظّلم ظلمات يوم القيامة، واتّقوا الشّحّ؛ فإنّ الشّحّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلّوا محارمهم)[3].

عظم خطورة حب المال والجاه:

إن حب المال والجاه متى تمكن من القلب أفسده وحمله على طلب المال من غير وجه، وأخرجه إلى البخل، وخوَّفه من الفقر، لذلك فقد حذر الله -عزَّوجلَّ- من هذه الفتنة والمفسدة الخطيرة التي لا ينجوا منها إلا القليل، فقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩).

---

(1) انظر ذم المال والجاه: ص(٦)

(2) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود (٨/٢٢٩) و (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٨٥٠).

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم الحديث (٢٥٧٨)، ص (١٠٠٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد قال-ﷺ-: (فوَ الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم)(١) .

ولكنَّ سبيلَ الحصول عليه يختلف من إنسانٍ إلى آخر، فالمؤمن الذي يتّقي اللهَ ويخاف اللهَ ويرجو ثوابَ الله يسلُك في سبيل الحصول على الرزق المسالكَ الطيّبة والأسبابَ المأذون فيها شرعًا، حتى يكون تناوله لهذا المال بالطريق الذي أذِن الله له فيه، هكذا يكون المؤمنُ حقًّا، لا يخدعه المالُ، ولا تغرّه الدنيا بزخارفها، فيوقع نفسَه في الحرام، وإنّما لديه إيمانٌ يردعُه وورعٌ يحميه، إيمانٌ قويّ في قلبه لا يمكِن أن تزعزعَه زخارف الدّنيا ولذّاتها، ولكن يقِف موقفَ المؤمن التقيّ عند أيِّ مكسَبٍ يريدُه، فإن تكن تلك المكاسب مكاسبَ طيّبة مكاسبَ أذن الله فيها سلكَها وسار عليها، وإن تكن مكاسبَ خبيثة ابتعد عنها وتركها، كما قال-تعالى-: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(المائدة: ١٠٠) .

فهو لا يغترّ بالمكاسب الخبيثةِ ولو كان وراءها الأرباحُ الكثيرة؛ لأنها الموصل الحقيقي على الغواية، فلا ينخدع بها المؤمن، لعلمه أن الله-تعالى- حرَّم عليه ذلك، ولعلمه مدى خطورة الوقوع فيهما.

ومن هنا يتبيَّن للباحث أنَّ الحرص على المال والجاه سبب رئيس من أسباب الغواية التي تفسد دين المرء؛ لأن أصل الحرص على المال والجاه أصل حب الدنيا واتباع الهوى، وهذا ما بيَّنه – تعالى- في قوله: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات: ٣٧ – ٤١).

نسأل الله -تعالى- أن يجعلنا من طلاب الباقية وألا يجعلنا ممن يلهثون وراء الفانية.

المطلب الخامس: التبرج وكشف العورات.

من أعظم نعم الله تعالى التي امتنَّ بها على عباده هي نعمه الإسلام والهدايه واتباع شريعة خير الأنام، وذلك لما تضمنته هذه الشريعة الغراء من الخير والسعادة في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة لمن تمسك بها وسار على نهجها القويم.

ولقد جاء الإسلام للمحافظة على كرامة المرأة وصيانتها، ونهى عن التبرج الذي ذمه الله في الجاهلية، لكونه من أسباب فتنة النساء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ونهى عن كشف العورات، وأمر بغض البصر وحفظ الفروج

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الرقائق، باب: ما يُحَذَرُ من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم الحديث (٦٤٢٥)، ص(١١٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا لَكُمْ..﴾ (النور: ٣٠-٣١).

أولاً: تعريف التبرج لغة واصطلاحًا:

١- التبرج لغة: أصل كلمة (التبرج) من برج، فالباء والراء والجيم أصلان: أحدهما البروز والظهور، والآخر الوزر والملجأ، فمن الأول البرج وهو سعة العين في شدة سواد سوادها، وشدة بياض بياضها ومنه التبرج وهو إظهار المرأة محاسنها[1].

٢-التبرج اصطلاحًا: "هو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب"[2].

ثانيًا: مظاهر التبرج وكشف العورات:

للتبرج وكشف العورات مظاهر متعددة سواء في الجاهلية أو ما بعده وسيذكرها الباحث على شكل نقاط:

أولاً: تكشف المرأة في الجاهلية وعرض نفسها على الرجال وطوافها بالبيت عريانة.

ثانياً: وضع الخلخال في أقدام المرأة حتى تلفت الأنظار نحو زينتها.

ثالثاً: لبس المرأة الملابس الرقيقة والشفافة التي تُظهر شيئاً من جسدها .

رابعاً: استعمال المرأة الطلاء والمساحيق والأصبغة لتخرج بعد ذلك على الناس بفتنتها.

خامساً: التكشف عن ما يسمى بالكوافير والأخطر عندما يكون العاملون فيه من الرجال.

سادساً: الإسراف والمبالغة في الزينة.

ومظاهر التبرج كثيرة ذكر الباحث منها بعض الأمثلة لا على سبيل الحصر والاستقصاء.

ثالثًا: أبرز الأسباب المؤدية إلى التبرج وكشف العورات:

إن تبرج المرأة داء خطير بل ومصيبة عمياء، ولقد حل هذا الداء في معظم بلاد المسلمين، حيث ترى النساء في الطرقات وفي الميادين العامة كاسيات عاريات [3]، وأدى ذلك إلى انتشار الفساد بين الجنسين، وهذا الداء لم يأت من فراغ وإنما كان له أسبابٌ أذكر أهمها:

١- هشاشة البيئة التربوية التي نشأت فيها المرأة:

إذا كان الحجاب عادة والحشمة تقاليداً، والستر عرفاً، فإن المرأة إذا نشأت وترعرعت على ذلك فإنها قد تتحلل من حيائها في أي وقت متى أتيح لها ذلك، أما عندما يكون الدين والحياء أصلاً غرس

---

(1) معجم مقاييس اللغة: لابن زكريا (٢٣٨/١).

(2) فقه السنة: سيد سابق (١٨٠/٢).

(3) انظر: المرأة في شتى العصور: لابن الخطيب ص(٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في القلب منذ نعومة الأظفار فإنه يحصل التسليم لأمر الله –عزَّوجلَّ– والاستجابة لشرعة وليس للعادات ولا للتقاليد.

٣- ضعف الإيمان وعدم استشعار الخوف من الله عزَّوجلَّ:

إن الإيمان لابد أن يكون اعتقادًا بالقلب وإقرارًا باللسان وعملاً بالجوارح[1] وفق ماجاء عن الله ورسوله–ﷺ–، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، فلا بد وأن يوافق العمل متابعة ما صدر عن الله عزَّوجلَّ، وعن رسوله– ﷺ–.

فالإيمان إذا لم يغرس في النفوس من الصغر ويحافظ عليه بالزيادة في الطاعات واجتناب المنكرات، فإنه سيضعف ويؤثر على الشخصية الحقيقية للمسلم، فيصبح المسلم غير مهتم ولا مبال بأوامر الشارع الحكيم من حيث الأوامر والنواهي، وهذا بالطبع سيؤثر على المرأة التي ستنسلخ من دينها، لأنها لم تتربَ عليه، وأيضًا على وليها الذي فقد شخصيته وتأثيره ببعده عن الدين فلا يستطيع مقاومة رغبة المرأة التي تريد التبرج والتكشف.

٣- التقليد الأعمى:

التقليد عبارة عن "ظاهرة اجتماعية نابعة من دوافع نفسية، وسنة من سنن الكون، فإن كان فيما يدعو إليه بعض الخلق من اتباع الحق فحسن، ولا يجوز أن يكون تقليدًا أعمى في كل شيء"[2] فقد ذم الله عزَّوجلَّ الكفار حين قلدوا آباءهم في الكفر والعناد وصمُّوا أسماعهم وبصيرتهم عن سماعهم الحق فقال سبحانه:﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾(الزخرف: ٢٢).

فيدخل تحت هذا تقليد الكفار واتباعهم في العادات والتقاليد وقد حذر–ﷺ– من هذا التقليد الذي يؤدي إلى الغواية والهاوية فقال –ﷺ–:(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم"، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ " قال: فمن")[3].

من خلال هذا الحديث يتبين لنا خطورة التقليد الأعمى للكفار، وقد سلك بعض شباب المسلمين بل ونساؤهم هذا المسلك فأصبحوا يقلدون غيرهم من الكفار، ويتابعون آخِرَ ما يصدر عن الموضة، عن طريق متابعة الوسائل الإعلامية الهابطة سواءً الفضائيات والإذاعات والمجلات وغيرها من الوسائل الأخرى التي تساعد على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا وعلى ترويج البضاعة الكاسدة بين المسلمين في تقليد واضح للغرب وأهل الكفر، حتى لو أدى هذا التقليد للتبرج والعري، ومرجع

(1) انظر العقيدة الطحاوية: الطحاوي ص(٣٣١).

(2) الأسرة تحت رعاية الإسلام: عطية صقر (٢/٢٤٧).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي:" لتتبعن سنن من كان قبلكم"، رقم الحديث(٧٣٢٠)، ص (١٣٢٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك إلى الأسباب النفسية التي يشعر من خلالها المقلد بالنقص فيتجه إلى التقليد طلبًا للجمال وحب الظهور.

رابعًا: دور الشيطان في التبرج وكشف العورات:

من أعظم ما يكيد به الشيطان للإنسان كشف العورات لما يجر عليه من الوقوع في الفاحشة وفساد الأخلاق وضياع الحياء والحشمة، فكاد لآدم وزوجه بالأكل من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ (الأعراف: ٢٠).

وقد وجه سبحانه وتعالى النداء لبني آدم محذرًا لهم من كيد هذا العدو الذي فعل مع أبيهم ما فعل أن لا يفتنهم ويوقعهم في الغواية عن طريق التساهل في كشف العورات.

وامتن الله –تعالى– عليهم بلباسين يستران عوراتهم: اللباس الذي يواري سوءاتهم ويجمل هيئاتهم وهو اللباس المحسوس الذي يلبسونه على أبدانهم، واللباس الذي يواري سيئاتهم ويجملهم ظاهرًا وباطنًا وهو لباس التقوى الذي تتحلى به قلوبهم، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٦ – ٢٧).

وما حذر الله عباده هذا التحذير إلا لأن الشيطان سيعيد عليهم الكَرة فيأمرهم بالعري وخلع الستر ولباس الحشمة لما له في ذلك من المآرب الخبيثة، والمطامع الدنيئة، وقد عمل هذه المكيدة مع أهل الجاهلية، فأمرهم أن يطوفوا بالبيت عراة رجالاً ونساءً.

فالتبرج والعري من أسلحة الشيطان التي تؤدي إلى الغواية والضلال المبين وهذا واضح في الآية الكريمة: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ (الأعراف: ٢٠)، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿ ...فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا... ﴾(الأعراف: ٢٢).

لذلك كان الأمر الإلهي بالستر والتحذير من كل مظاهر كشف العورات، فقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾.

ويظل الحذر من الشيطان واجب الإنسان لينجو من وساوسه وغوائله، ويستقيم في حياته ويسعد في الدنيا والآخرة.

خامسًا: النتائج المترتبة على التبرج وكشف العورات:

إن التبرج والتساهل في كشف العورات سبب للدخول في العقوبة الإلهية وقد حذر سبحانه وتعالى المؤمنين من معصيته ومخالفة أمرة فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)، ثم إن التبرج يؤدي إلى تفكك الأسر وتفشي الطلاق في المجتمعات كذلك، لأن الانسلاخ من الإيمان والحياء يؤدي إلى التجرؤ على حرمات الله –عزَّوجلَّ–، كما إن التبرج والعري ينشر الأخلاق السيئة بين الشباب مما يؤدي إلى فساد وانهيار أخلاقهم، وهذا يؤدي حتمًا إلى شيوع الفواحش التي بدورها تنشر الأمراض الفتاكة في المجتمع المسلم؛ فتقضي على المجتمع برمته إلى غير ذلك من النتائج المدمرة.

سبل الوقاية والعلاج من خطر التبرج وكشف العورات.

من أعظم مقاصد هذا الدين، إقامة مجتمع طاهر، سياجه العفة والطهر، مجتمع لا تهاج فيه الشهوات ولا تثار فيه عوامل الفتنة، وتُضَيقُ فيه فرص الغواية، والله –عزَّوجلَّ– حرم التبرج والعري حماية للمجتمع وصونًا لآدابه وأخلاقه؛ فإذا تفشى التبرج في مجتمع من المجتمعات كان ذلك هدمًا لأخلاق هذا المجتمع ونشرًا للمفاسد فيه، وحتى لا يتفشى التبرج في المجتمع فقد أنشأ الإسلام حزامًا واقيًا من الانزلاق إلى أتون التبرج والعري، ومن خلال ما سبق يخلص الباحث إلى بعض السبل التي تُحَصِّن المجتمع من شر الغواية.

١- نشر الوعي الديني بين المسلمين.

٢- متابعة الوالدين لأبنائهم وغرس الإيمان والحشمة في نفوس الأبناء.

٣- عدم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

٤- عدم مصافحة النساء الأجنبيات.

٥- غض البصر عما حرم الله –عزَّوجلَّ–.

٦- البعد عن مواطن اختلاط الرجال بالنساء.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٨- انتقاء الوسائل الإعلامية الهادفة والبعد عن الهابطة.

وغيرها من السبل الأخرى التي تحمي الفرد والأسرة والمجتمع من التفتت والانهيار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتل مكانة عظيمة في الإسلام، فقد جعله الله –عزَّوجلَّ– شرطًا من شروط تحقيق خيرية الأمة، فالأمة مرهونة بقيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ويقول الرسول– ﷺ –:(من رأى منكم منكرًا فليغيِّرهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[1].

يقول الغزالي رحمه الله:"فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد"[2].

وتكمن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عدة جوانب، منها:

١– إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الغاية التي بعث الله تعالى الأنبياء من أجلها، وكم قتل في سبيل ذلك من نبي وصدِّيق؛ فكانوا أفضل الشهداء[3]، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: ٣٣).

٢– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد إحدى وسائل نشر الدين وتبليغ الرسالة، إذ هو من مهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالأمر بتوحيد الله أمرٌ بمعروف، والنهي عن الشرك بالله والكفر نهيٌ عن منكر قال تعالى واصفًا نبيه – ﷺ –: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(الأعراف: ١٥٧)،

٣– ومنها أن تطبيق هذه الشعيرة يحقق العبودية لله وحده، لما فيها من الدعوة إلى عبادة الله تعالى والنهي عن عبادة غيره، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: ٣٦).

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث (٧٨)، ص (٤٢).

(2) إحياء علوم الدين: الغزالي (٣٠٦/٣).

(3) انظر تفسير المنار: محمد رشيد رضا (٢٧/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(التوبة: ١١٢) ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المنافقين فقال سبحانه: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة: ٦٧).

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام الأمان للفرد والمجتمع من الهلاك؛ لأن المجتمع الذي تتفشى فيه المنكرات قد توعده الله تعالى بالهلاك والعقاب في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تكمن الخطورة في الوعيد الشديد من الله عزَّوجلَّ لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولأن الترك يدخل في إطار السكوت عن الحق، وكتمان الشهادة، إذ هما طريقان للغواية التي تؤدي إلى الهلاك، وإن سنن الله ماضية في تسليط عقوبته على المجتمعات التي تترك هذه الشعيرة الهامة، وقد قال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨ – ٧٩).

قال الألوسي: أي: "لعنهم الله – تعالى – في الزبور والإنجيل على لسان داود وعيسى ابن مريم بأن أنزل في هذين الكتابين " ملعون من يكفر من بني إسرائيل بالله أو بأحد من رسله"[1] وهذا يدل على أن من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستغنى عن هذه الشعيرة الهامة، استحق أن يكون ملعونًا ومطرودًا من رحمة الله.

وذلك اللعن للكافرين من بني إسرائيل سببه عصيانهم لله ولرسله، وعدوانهم على الذين يأمرونهم بالقسط من الناس، ولعنهم لم يكن اعتباطًا أو جزافًا، وإنما كان بسبب أقوالهم القبيحة وأفعالهم المنكرة، وسلوكهم السيئ، ثم فسر سبحانه وتعالى عصيانهم وعدوانهم بقوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾، أي أنهم: كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن اقتراف المنكرات، واجتراح السيئات، بل كانوا يرون المنكرات ترتكب فيسكتون عليها

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٩٥/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بدون استنكار مع قدرتهم على منعها قبل وقوعها، وقوله:﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾"ذمٌ لهم على كثرة ولوغهم في المعاصي والمنكرات وتعجب من سوء فعلهم"(١).

ثالثًا: حكم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد نص عدد من الفقهاء رحمهم الله تعالى على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كبائر الذنوب، ومن أولئك الإمام ابن حجر الهيثمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر، حيث يقول:" الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة بأن أمن على نفسه ونحو ماله ومخالفة القول الفعل"(٢).

ولا شك أن فعل المعاصي وخاصة كبائر الذنوب جالبة لغضب الله عزَّوجلَّ، وقد وصف الله- تعالى- المؤمنين والمؤمنات بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقال- تعالى-: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ بِخَلَاقِهِمْ . ﴾ (التوبة: ٧١).

قال القرطبي:"جعله الله تبارك وتعالى فرقًا بين المؤمنين والمنافقين"(٣)

رابعًا: الآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يترتب عليه خطر جسيم، وشر مستطير على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، وهذه الآثار تتمثل في الجوانب الآتية:

١- الاختلاف والتناحر بين الأمة، فإذا تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحول المجتمع إلى فئات متناحرة تتنازعها الأهواء وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

٢- اسوداد القلب وتنكيسه، فكثرة مشاهدة المنكرات وعدم إنكارها، يألفها القلب ويصبح مريضًا منكوسًا لا يفرق بين معروف ولا منكر إلا ما أشرب من هواة وقد قال- ﷺ - في الحديث الذي رواه حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله- ﷺ - يقول(تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم:محمد سيد طنطاوي (٤/٢٥٠).

(2) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/٨٢٩).

(3) الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا، كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه)[١]

٣- اللعن والطرد من رحمة الله: وقد قال الله تعالى:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ ... ﴾ (المائدة: ٧٨ – ٧٩).

٤- الإيذان بالهلاك والعقاب: ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام الأمان للمجتمع من الهلاك، فإذا أهملت هذه الشعيرة، ترتب على ذلك فشو المنكرات وكثرة الخبث، فإذا أصبح المنكر عنوانًا للمجتمع؛ استحق حينها العذاب الشامل الذي يحيق بالصالحين والطالحين، فعن زينب بنت جحش- رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- دخل عليها فزعًا يقول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ وَبِالَّتِي تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ)[٢].

٥- انتفاء وصف الخيرية عن هذه الأمة، لأن الخيرية مقرونة بثلاث شروط وهي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله وقد قال الله تعالى:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

إلى غير ذلك من الآثار الوخيمة المترتبة على ترك هذه الشعيرة الهامة.

المطلب السابع: انتكاس الفطرة:

لقد خلق الله تعالى الخلق على الفطرة، وأمرهم بتعظيمها، وحذَّر عباده من إفسادها وتغييرها، مبينًا أنَّ اتباعها هو سلوك للدين الذي ارتضاه، وجعله مستقيمًا قيمًا لجميع ما يحتاجه البشر في أمر دينهم ودنياهم، قال تعالى:﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(الروم: ٣٠).

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين، رقم الحديث (١٤٤)، ص(٧١).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج، رقم الحديث (٣٣٤٥)، ص(٦١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاءت السنة النبوية بذلك، فبينت أنهم على دين الفطرة منذ ولادتهم، وقد قال النبي- ﷺ- :(كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ جَمْعَاءَ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)(١).

وهذا دليل واضح من النبي -ﷺ- على أن المولود لو ترك مع فطرته الأصلية التي خلق عليها، لما كان على شيء من الأديان الباطلة والفاسدة، وأنه إنما يقدم على الدين الباطل لأسباب خارجية، وهي سعي الأبوين في ذلك وحصول الأغراض الفاسدة التي يتلقاها المولود من البيئة الخارجية(٢).

أولاً: مفهوم الفطرة:

ذكر العلماء عدة تعاريف لمفهوم الفطرة ومعظمها تدور في فلك واحد، وهو الأصل والمنشأ الذي خلقت وأنشأت عليه.

قال الجرجاني: "الفطرة الجبلة المتهيئة لقبول الدين"(٣).

قال الراغب: "فطرة الله هي ما ركب الله في الإنسان من قوته على معرفة الإيمان"(٤).

وقال ابن عطية: "والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أي الفطرة أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الإنسان التي هي مُعَّدَة ومُهَيَّئَة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه"(٥).

وقال ابن عاشور: " الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق"(٦).

وأما عند ابن تيمية: " هي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة"(٧).

والحقيقة أن جميع التعاريف السابقة تدور حول معنى واحد: هو أن الفطرة هي الخلقة والجبلة التي أودعها سبحانه وتعالى في نفس الإنسان لقبول دين الله، وأن ما يحدث للفطرة من انتكاس وفساد ونكوص ما هو إلا نتيجة للمؤثرات الخارجية التي يتلقاها المولود منذ نشأته الأولى.

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث (١٣٨٣)، ص(٢٥٦)، طرفه في (١٣٥٨)(١٣٥٩)(٤٧٧٥)(٦٥٩٩)، وفي صحيح الإمام مسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم الحديث (٢٦٥٨) ص (١٠٢٥).

(2) انظر: مفاتيح الغيب: الرازي (٢٤٦/٣).

(3) التعريفات ص (٢١٥).

(4) مفردات ألفاظ القرآن (١٩٨/٢).

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٣٦/٤).

(6) التحرير والتنوير (٧١/١١).

(7) الفتاوى (٢٤٥/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: أسباب انتكاس وفساد الفطرة:

إن الفطرة تبدأ سليمة نقية على ما خلقها الله تعالى، مائلة عن الشرك والكفر إلى التوحيد، لأن الله تعالى فطر الخلق على معرفته وتوحيده وتعظيمه، وعلى ألا تطمئن القلوب ولا تنتهي إلا إليه جلَّ شأنه[1].

ولكن قد يطرأ عليها ما يغيرها ويفسدها ومن ذلك ما بينه - ﷺ- في كيفية انحرافها فقال: (، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)[2]، وفي حديث آخر، قال - ﷺ-: (... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزِّل به سلطانًا...)[3].

فهذه التغيرات تؤدي إلى فساد وانحطاط الفطرة وسلوكها مسلك الغواية والضلال الذي يودي بصاحبها نحو الهلاك.

وقد ذكر العلماء مجموعه من الأسباب التي تؤدي إلى فساد وانحراف الفطرة نحو الغواية منها:

أولاً: خلل يعرض عند تكوين الفرد في عقله أو في جسده فينشأ منحرفًا عن الفضيلة لتلك العاهة.

ثانيًا: اكتساب رَذائل من الأخلاق من مخترعات قواه الشهوية والغضبية ومن تقليد غيره بداعية استحسان ما في غيره من مفاسد يخترعها ويدعو إليها، وهو ما أشار إلية سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٣).

ثالثًا: خواطر خياليّة تحدث في النفس مخالفة لما عليه الناس كالشهوات والإفراط في حب الذات أو في كراهية الآخرين مما توسوس به النفس فيفكر صاحبها في تحقيقها.

رابعًا: صدور أفعال تصدر من الفرد بدواع حاجيه أو تكميلية ويجدها ملائمة له أو لذيذة عنده فيلازمها حتى تصير له عادة وتشتبه عنده بعد طول المدة بالطبيعة، لأن العادة إذا صادفت سذاجة من العقل غير بصيرة بالنواهي رسخت فصارت طبعًا.

خامسًا: ما يزينه لها شياطين الجن والإنس مما يخالفها ويضادها، وهو أمر شامل للشرك الذي هو أكبر الكبائر، إلى المعاصي الكبائر والصغائر وما هو أقل من ذلك من التأخير عن المندوبات، والتكامل في المستويات.

---

(1) انظر: (الفتاوى): ابن تيمية (٤/٢٤٥).

(2) سبق تخريجه ص(١٥).

(3) رواه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب:الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم الحديث (٢٨٦٥) ص (١٠٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: الهوى الذي يتضمن تقديم ما تميل إلية النفوس والطباع الآدمية على ما تقتضيه الشريعة من الأوامر والنواهي، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣)(١).

سابعًا: التنشئة الفاسدة من قِبل الوالدين وهي المشار إليها في حديث المصطفى- ﷺ-: (فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)(٢).

فهذه الأسباب وغيرها هي التي تؤثر على الفطرة السليمة، فهي كالأمراض التي تعتري الأبدان، ويمكن علاجها بما يناسبها من الأدوية التي تزيلها، وترجع البدن إلى حالته الأولى من الاعتدال والأمر نفسه بالنسبة للنفس الإنسانية، فهي تعالج بالوحي الرباني الذي يرجع إليها اعتدالها وصَفائها وكمالها الفطري (٣).

مظاهر الانتكاس للفطرة:

إن مظاهر انتكاس الفطرة كثيرة يذكر الباحث منها على سبيل العد لا الحصر:

١- زنا المحارم، لأنه يتنافى مع الفطرة السليمة والمروءة الإنسانية ونزولاً إلى درجة البهيمية.

٢- اللواط والسحاق.

٣- العري ومعاشرة البهائم.

٤- إتيان المرأة في دبرها.

٥- تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

٦-المجاهرة بالمعاصي.

٧- سن قوانين غربية تبيح زواج الرجال من الرجال.

٨- زواج المرأة من الكلاب وهذا أدنى من زواج الرجال بالرجال.

٩- زواج النساء من النساء.

وغيرها من المظاهر التي أصبحت في المجتمعات الغربية الكافرة عادات لا يمكن الفكاك منها لدرجة تقنينها وتشريعها من السلطات الرسمية، وهنا مكمن الخطر من حيث انتظار العقاب الإلهي للذين انتكست فطرتهم، وما قوم لوط عنهم ببعيد.

---

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٤٦/٢)، و(منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد): إبراهيم البريكان (٣٠٦/١).

(2) سبق تخريجه ص (١٦).

(3) انظر درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية (٣٠٦/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثامن: غياب الوعي الديني في المجتمعات:

أولاً: مفهوم الوعي:

١ – **المعنى اللغوي:** (الوَعْيُ):" حِفْظ القلبِ الشيءَ، وعَى الشيء والحديث يَعِيه وَعْيًا وأَوْعاه حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه فهو واعٍ وفلان أَوْعَى من فلان، أَي أَحْفَظُ وأَفْهَمُ"[١].

٢ – **المعنى الاصطلاحي للوعي:** "هو الإدراك العقلي الواضح لمتطلبات العمل الناجح"[٢].

من هذا التعريف يرى الباحث أن أي عمل يقوم به الإنسان لابد لـه من إدراك، وهذا الإدراك هو الوعي، فالوعي حاله يتطلبها الجميع.

ثانيًا: أهمية الوعي الديني في المجتمع:

١–إن للوعي الديني أهمية بالغة في نهوض المجتمع بل وحفظه من السقوط في الغواية، فالعبد الذي لا يدرك المعنى الحقيقي لتطبيق النصوص الشرعية(من الكتاب والسنة) على الواقع، سيسقط في شَرَك الغواية فالنصوص ليست جامدة مجردة عن الواقع، فما وجدت النصوص الشرعية إلا من أجل تطبيقها في الواقع.

٢– الوعي الديني يعطي الإسلام صورته الحقيقية المشرقة التي شابها الكثير من التعتيم بسبب عدم إدراك الدين إدراكًا معرفيًا حقيقيًا.

٣– اهتمام النبي–ﷺ– بالوعي الديني عند الصحابة الكرام فالنبي–ﷺ– لم يعلم الصحابة رضي الله عنهم حفظ النصوص فقط، وإنما فهمها وإدراكها وإسقاطها على الواقع، وفي ذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ما كنا نحفظ إلا الخمس والعشر آيات لا نتجاوزها حتى نعمل بها"[٣].

٤– إنكار النبي–ﷺ– على الذين لا يفقهون النصوص ولا يدركونها على حقيقتها، وأبرز مثال على ذلك الخوارج فقد أنكر فهمهم، فلم يدركوا المعنى الصحيح للقرآن كما قال –ﷺ–: (يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم...)[٤].

---

(1) لسان العرب: ابن منظور (١٥/٣٩٦).

(2) محاضرات الدكتور: جميل اللويحق (مفاهيم تحت المجهر).

(3) انظر: دراسات في مناهج المفسرين: إبراهيم خليفة (١/٢٢٠).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٦١١)، ص(٥٨٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: تفاوت الناس في درجة الوعي:

لا شك أن الوعي الديني بين العباد على درجه متفاوتة، فالله –عزَّوجلَّ– يُكْرِم بعض العباد بما لا يكرم به الآخرين، كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢)

والمعنى: أن الله تعالى جعل القرآن الكريم ميراثًا منه لأمته –ﷺ–، التي اصطفاها على سائر الأمم، وجعلها أمه وسطاً، وأورثها هذا الكتاب لتنتفع بهدايته، وتسترشد بتوجيهاته، وتعمل بأوامره ونواهيه.[1].

ثم جعل سبحانه وتعالى العباد القائمين بالكتاب العظيم حسب درجة الوعي والإدراك الديني على ثلاثة أقسام: فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وهو المفرط في بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات[2].

رابعًا: سبل تنمية الوعي الديني:

إن عملية الوعي الديني تتطلب لوازم لابد منها حتى لا ينزلق المجتمع إلى الغواية، منها:

أولاً: الشعور الداخلي للإنسان، فعندما يدرك الإنسان أنه بحاجة إلى الوعي، فإنه سيوجه نفسه في هذا الاتجاه، وهو أول المحركات نحو الوعي، قال الله تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مَغْفِرَةٍ ..﴾ (الرعد: ١١).

فقناعة الإنسان لهذه الحاجة هي أول بواعث بناء الوعي، فلا يمكن أن يمنح الوعي من الخارج مالم تكن هناك دوافع داخلية.

ثانيًا: العلم، والمقصود بالعلم هنا إدراك الشيء كما أراده الله عزّوجلّ بأسراره ومقاصده وعظمته وبكل جوانبه، وأول من لهم الأهمية هنا هم العلماء والدعاة وطلاب العلم الشرعي، لأن هؤلاء هم من سيوجه المجتمع نحو الوعي الديني السليم، وعليهم الإلمام بكل مقاصد الشريعة.

ثالثًا: التثقيف الأسري وتوعية الوالدين، وغرس أصول الإيمان في نفوس الأبناء منذ نشأتهم وتعليمهم مبادئ الشريعة الغراء.

(1) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٣٤٨/١١).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٢٢/١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: المسجد، له الدور الكبير والفعال في غرس الوعي الديني في المجتمع، فهو جزء من مكونات المسلم، فمن خلاله يؤدي المجتمع الإسلامي رسالته في الحياة، وعن طريقه يتم الانطلاق نحو الإصلاح، وعبره يتمكن المصلحون من توجيه الناس وإصلاح أفكارهم.

خامسًا: وسائل الإعلام، فأعداء الإسلام سخرُّوا جل طاقتهم في وسائل إعلامهم لإبعاد الشباب عن الدين وتوجيههم نحو الانحلال الخُلُقي، فالإعلام الإسلامي له دور فعال في تنمية الوعي الديني في المجتمع.

إلى غير ذلك من وسائل تنمية الوعي الديني في المجتمعات الإسلامية التي تنقذ المجتمع من السقوط إلى الهاوية[١].

خامسًا: الآثار المترتبة على وجود الوعي الديني في المجتمعات:

إن الوعي الديني في المجتمع له الأثر البالغ في حماية المجتمع من السقوط في الرذائل والمنكرات وهو بمثابة صمام الآمان للمجتمع من الانحراف والانجراف، ووجود الوعي الديني في المجتمع؛ يرفع العقاب الرباني عنه، بل ويغدق سبحانه بركاته ورحماته عليه في الدنيا والآخرة، قال الله – تعالى–: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

وهذا إخبار منه سبحانه وتعالى عن سنةٍ من سننه في عباده، وتلك السنة أنه لو آمن أهل القرى كأهل مكة وغيرهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، واتقوا ما نهى اللّه عنه وحرمه من الشرك والفساد في الأرض بارتكاب الفواحش والآثام، لأنزل عليهم الخيرات الكثيرة من السماء كالمطر، وأخرج لهم خير الأرض من نبات ومعادن وكنوز، وآتاهم من العلوم والمعارف والإلهامات الربّانية لفهم سنن الكون[2].

وغياب الوعي الديني في المجتمع كفيل بانتشار المنكرات والموبقات بجميع أصنافها؛ إذ بغيابه يغيب الوازع الديني الذي يمنع انتشارها.

---

(1) انظر: (رسالة المسجد في الإسلام): عبد العزيز محمد اللميلم (٦٠).

(2) انظر: (التفسير المنير): الزحيلي (١٨/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الشيطان وأساليبه في الغواية

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أساليب الشيطان مع الكافرين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإحتناك.

المطلب الثاني: الاستحواذ.

المطلب الثالث: الأزّ.

المبحث الثاني: أساليب الشيطان مع المؤمنين.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الوسوسة.

المطلب الثاني: النزع.

المطلب الثالث: استزلال الشيطان لهم.

المطلب الرابع: الإضلال.

المطلب الخامس: التسويل.

المطلب السادس: الإملاء.

المطلب السابع: التحريش بين المسلمين.

المطلب الثامن: التخويف.

المطلب التاسع: التزيين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الشيطان وأساليبه في الغواية

لقد حذر الله –عزَّوجلَّ– من الشياطين، وبيَّن عداوتهم للإنسان، وقد أطال القرآن الكريم تحذيرنا من الشيطان ومن فتنته ومهارته في الإغواء، ودأبه وحرصه على ذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٧).

ففي هذه الآية الكريمة يحذر المولى سبحانه وتعالى بني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بأن يزين لهم المعاصي، ويدعوكم إليها، ويرغبهم فيها، فتنقادون له فيغويكم ويضلكم﴿ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾أي كما أنزلهما من الجنة، فيريد الشيطان أن يفعل بكم كذلك، والشيطان يستخدم شتى الوسائل والأساليب حتى يفتنكم، فعليكم أن تحذروه، وأن تحذروا شتى أساليبه؛ لأنه ﴿ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ من شياطين الجن ﴿ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ فترك الإيمان هو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان والشيطان[1].

فالشيطان منذ أن طُرد من الجنة وإلى يوم القيامة ليس له عمل إلا الإغواء والإضلال والإفساد، وله في ذلك طرق وأساليب ولكن هذه الأساليب تتوعت واختلفت مع الكافرين ومع المؤمنين، وهذا ما أشار إلية النبي –ﷺ– فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– : (إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ ، فَقَالَ اللَّهُ: فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي)[2].

وهذا ما سيفصله الباحث في المبحثين القادمين.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٢٨٦).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٢٤٤)، ص (٣٤٤/١٧)، صححه الألباني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: أساليب الشيطان مع الكافرين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإحتناك.

المطلب الثاني: الاستحواذ.

المطلب الثالث: الأزّ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: أساليب الشيطان مع الكافرين:

المطلب الأول: الإحتناك.

مفهوم الإحتناك لغة واصطلاحاً

أولاً- الإحتناك لغة: أصل مادة الإحتناك: مشتقه من الحنك وهو حَنَكُ الإنسان أي أقصى فمه، يقال حنك الجراد الزرع إذا أكله والجراد يأكل بحنكة أكلاً مستأصلاً فلا يبقى ولا يذر، وحنك الرجل دابته إذا شد حبلاً في حنكها الأسفل ليقودها كيف شاء فهو شبيه باللجام الذي يجبر الدابة على طاعة من يقودها، فهو يستطيع بهذا اللجام أن يسيطر على الدابة سيطرة كاملة، وهذا لا يكون إلا إذا صار العبد مشركًا، والشرك وحده الذي يجعل الشيطان يسيطر من خلاله على الإنسان، وبالتالي إذا سقط الإنسان في يد الشيطان بالكامل فهو يحتنكه كأنه دابة؛ فيجلبه إلى مراده من الإفساد والإغواء[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(الأنفال: ٥٥).

ثانياً- الإحتناك اصطلاحاً: اختلف المفسرون في المراد بالإحتناك في قوله تعالى: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ على قولين اثنين.

الأول: أن المراد لقوله: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ أي لأستولين عليهم ولأستأصلنهم بالإغواء والإضلال، وهذا القول مأخوذ من كلام العرب، احتنك الجراد ما على الأرض: إذا أكله [2].

الثاني: أي لأقودنهم إلى ما أشاء، وهذا القول أيضًا مأخوذ من كلام العرب، احتنكت الفرس: إذا جعلت الرسن في حنكه لتقوده حيث شئت [3].

الرأي الراجح:

من خلال النظر والتأمل في المعاجم اللغوية تبين للباحث أن المعنيين صحيحان ومتقاربان [4]. ولكن المعنى الثاني: هو الأرجح والألصق بالمعنى اللغوي ويتناسب مع ما أراده إبليس لبني آدم من

---

(1) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٤١٦/١٠)، و(تهذيب اللغة): الأزهري (٤٧٣٩/١).

(2) انظر: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): الطبري (١٠٧/١٥)، و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٥٠/٣)، وغيرهم من المفسرين.

(3) انظر: (تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي): مكي بن أبي طالب ص(١٣٨)، و(أضواء البيان): الشنقيطي (١٦٧/٣).

(4) انظر: (لسان العرب): ابن منظور(١٠-٤١٦-٤١٧) مادة (حنك)، و(معجم مقاييس اللغة): ابن منظور(٨٩/٢)، وقد فسَّر كثير من المفسرين الآية بالمعنيين، انظر: و(بحر العلوم): السمرقندي(٣١٩/٢)، و(التفسير الكبير): الرازي (٨٤/١٠)، و(الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٨٧/١٠)، و(إرشاد العقل السليم"): أبو السعود (٢١١/٤) وغيرهم من المفسرين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإغواء والضلال المفضي إلى الهلاك، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦ – ١٧).

فإن الإنسان إذا أطاع الشيطان واتبعه فإنه يضله ويصده عن الهداية، ويصبح ألعوبة في يده كما بيَّن سبحانه فقال: ﴿ ...كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٧١).

قال الطبري: "إن مثل من يكفر بالله بعد إيمانه كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضل الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم ويقولون: ائتنا فإنا على الطريق فأبى أن يأتيهم، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم،ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام"[١].

المطلب الثاني: الاستحواذ:

مفهوم الاستحواذ لغة واصطلاحاً:

أولاً– الاستحواذ لغة: (الاستحواذ) مأخوذة من حاذَ يَحُوذُ حَوْذًا، والحَوْذُ والإحْواذُ السيرُ الشديد وحاذ إبله يحوذها حَوْذًا ساقها سوقًا شديدًا واستحوذ عليه الشيطان غلبه واستماله إلى ما يريده [٢].

ثانيًا– الاستحواذ اصطلاحاً: لم يختلف المفسرون كثيرًا في معنى الاستحواذ عن المعنى اللغوي، ففي قوله –تعالى–: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة: ١٩).

قال الطبري: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ " بمعنى غلب عليهم"[٣].

وقال الرازي: " ملكهم الشيطان واستولى عليهم"[٤].

وقال القرطبي: " غلب واستعلى بوسوسته في الدنيا"[٥].

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٤٥٢/١١).

(2) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٤٨٥/٣)، و(المصباح المنير في غريب الشرح الكبير): الفيومي (١٥٥/١)

(3) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٥٥/٣).

(4) التفسير الكبير (٢٨٥/١٥).

(5) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٥/١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن خلال استعراض أقوال المفسرين لمعنى الاستحواذ يتبين للباحث أن أغلب أقوال المفسرين لم تخرج عما هو موجود عند اللغويين، وإنما اختلفت عباراتهم زيادة ونقصانًا، تحديدًا وتعميمًا.

كيفية استحواذ الشيطان على الإنسان:

لقد بيَّن الإمام النَسَفِي[1] كيفية استحواذ الشيطان على الإنسان بقوله: " استحواذ الشيطان على العبد: أن بالمآكل والمشارب والغيبة والبهتان، ويشغل باله عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها"[2].

وهذا يعني أن الشيطان إذا اتخذ قلبًا من قلوب العباد بيتًا، استحوذ عليه فيأمر القلب بالشهوات المحرمة، فيريدها هذا القلب، فيأمر الجوارح بفعلها، ولذلك قال الله تعالى﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(المجادلة: ١٩).

فيكشف الله –عزَّوجلَّ– في الآية الكريمة عن علة حال المنافقين الذين اتخذوا اليهود والنصارى أولياء، فقد استولى عليهم الشيطان بالكلية ﴿ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾، أي أوامره والعمل بطاعته فلم يذكروا شيئا من ذلك، ثم يصفهم الله –عزَّوجلَّ– بأنهم من زمرة﴿ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾أي جنوده وأتباعه ورهطه وهؤلاء هم الخاسرون فقال سبحانه: ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ أي: الكاملون في الخسران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران لأنهم باعوا الجنة والهدى [3].

أسباب استحواذ الشيطان على الإنسان:

١– عدم الإيمان بالله تعالى، فقد صيَّر الله –عزَّوجلَّ– الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون، مسلطين عليهم، متمكنين من إغوائهم، لأن حكمة الله –عزَّوجلَّ– اقتضت أن يكون الشياطين الذين هم شرار الجن في تجانس تام مع الكافرين الذين هم شرار الإنس[4]، وقد قال الله تعالى: ﴿ ...إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(الأعراف: ٣٠).

---

(1) النسفي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان)، عالمًا بالفقه وأصول الدين وله تصانيف عديدة، منها مدارك التنزيل وحقائق التأويل، وكانت وفاته ببلدة إيذج سنة ٧٠١هـ (انظر:الأعلام للزركلي ٦٧/٤).

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٤١١/٢).

(3) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٢٧٢/٥).

(4) انظر: (تفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٦١/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- الإعراض عن ذكر الله -عزَّوجلَّ- وعن سنة نبيه-ﷺ-'ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾(الزخرف: ٣٦ - ٣٧)،أي: من يعرض ويتعامى عن ذكر الله تعالى، ويعرض عن قرآنه، ويتجاهل عن سنة رسوله-ﷺ-﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾أي نهيئ له شيطانًا يستولي عليه ويستحوذ على قلبه وعقله(١).

﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾أي ذالك الشيطان يكون مصاحبًا وملازمًا لهذا الإنسان الذي أعرض عن ذكر الله وعن القرآن، ملازمة القرين لقرينه والشيء لظله(٢)

٣- التهاون في الصلاة أو تركها سبب استحواذ الشيطان على العبد، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) (3).

المطلب الثالث: الأزّ:

مفهوم الأزّ لغة واصطلاحاً:

أولاً- الأزّ لغة: "(الهمزة والزاي) تدل على التحرُّك والتحريك والإزعاج، وأزّت القِدْرُ تَؤُزُّ وتَئِزُّ أَزًّا وأَزِيزًا وأَزازًا وائْتَزَّتِ ائْتِزازًا إذا اشتدّ غليانها وقيل هو غليان ليس بالشديد وفي الحديث عن مُطَرِّفٍ عن أبيه رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أَزِيزٌ كأَزِيزِ المِرْجَلِ من البكاءِ يعني يبكي أي أَن جوفه يَجِيش ويغلي بالبكاءِ"(٤).

ثانياً- الأزّ اصطلاحاً:

قال الزمخشري: "أن الأزّ والهمز والاستفزاز أخوات في معنى التهييج وشدة الإزعاج، أي: تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات"(٥).

بينما يذكر ابن كثير عن ابن عباس معنى تؤزهم أزا:" أي تغويهم إغواءً، وعنه تحرضهم على محمد -ﷺ- وأصحابه، وعن قتادة: تزعجهم إزعاجًا إلى المعاصي، وعن سفيان: تغريهم إغراءً وتستعجلهم استعجالاً، وعن السدي: تطغيهم طغيانًا"(١).

---

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٦/٩٠).

(2) انظر: المرجع السابق (١٦/٧٧).

(3) أخرجه أبي داوود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: في التشكيك في ترك الجماعة، رقم الحديث (٥٤٧) (١٥١/٢)، حسنه الألباني.

(4) لسان العرب: ابن منظور (٧٢/١)، معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (١٣/١).

(5) تفسير الكشاف (٤٢/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و ذكر الشوكاني: أن الأزّ في هذه الآية على وجهين: أحدهما: أن معناه، خَلّيْنا بين الكافرين وبين الشياطين فلم نعصمهم ولم نعذهم، بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾(الإسراء: ٦٥).

الوجه الثاني: أنهم أرسلوا عليهم وقيضوا لهم بكفرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف: ٣٦)، ويرجح الشوكاني الوجه الثاني ويستدل عليه بالمعنى اللغوي للأز، إذ الأزّ والهمز والاستفزاز معناها التحريك والتهييج والإزعاج، فالشياطين تحرك الكافرين وتهيجهم وتغويهم(٢).

ويؤيد الإمام الشنقيطي ما ذهب إلية الشوكاني: "أن معنى(تؤزهم أزا) أي تهيجهم وتزعجهم إلى الكفر والمعاصي، ويبين أن أقوال العلماء ترجح هذا، كقول ابن عباس (تؤزهم أزا) أي تغريهم إغراءً، وكقول مجاهد: أي تشليهم أشلاء، وكقول قتادة: أي تزعجهم إزعاجًا"(٣)، وهذا الذي يرجحه الباحث، علاوة على أن كلمة أزّ التي تحتوي على حرف الزاي الذي يدل على الإزعاج والإهتزاز والقوة، ويمكنني إجمال معنى الأزّ في النقاط التالية:

١- أن معنى (تؤزهم أزا): أي تزعجهم إزعاجًا حتى توقعهم في المعاصي.

٢- تغويهم إغواءً.

٣- تغريهم إغراءً بالشر.

٤- تحركهم وتحثهم على المعاصي.

٥- تهيجهم عليها تهييجًا.

الملاحظ من أقوال العلماء من كلمة الأزّ أنه يوجد تداخل وتقارب في أغلب الأقوال، فمن خلال سياق الآية الكريمة بين الله سبحانه وتعالى أن الكفار بعد أن اختاروا الكفر بمحض اختيارهم استحقوا أن تأتيهم الشياطين لتؤزهم أزا، وأغلب المفسرين اعتمدوا في بيان معنى الأزّ على المعنى اللغوي المبني على التحريك.

والله سبحانه و تعالى جعل للشياطين سلطانًا على الكافرين، فهي تغويهم وتضلهم ضلالاً مبينًا؛ لأنهم رضوا بأن يكونوا أتباعًا لها، فتوجههم حيثما أرادت، في حين أن الله تعالى حفظ المؤمنين من

---

(1) تفسير القرآن العظيم (١٦٧/٣).

(2) فتح القدير (٣٠٥/٣).

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥١١/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إغواء وكيد الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الإسراء: ٦٥) وقال تعالى﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ١٠٠)

سبب أزّ الكافرين أزّا:

إن السبب الرئيس لاستخدام الشيطان أسلوب الأزّ من جمله أساليبه مع الكفار هو اتباعهم وتمكينهم إياه بطاعته فيما يدعوهم إليه من الكفر والإلحاد، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(سبأ: ٢٠).

ومما سبق يظهر للباحث الربط بين اتباع الشيطان وتفننه في استخدام أساليبه لمن اتبعه التي تستدرجهم لدخول النار، وقد توعدهم سبحانه أنه سيحشرهم بعضًا إلى جانب بعض يوم القيامة؛ بسبب اتباعهم لها، قال تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (مريم: ٦٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: أساليب الشيطان مع المؤمنين.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الوسوسة.

المطلب الثاني: النزغ.

المطلب الثالث: استزلال الشيطان لهم.

المطلب الرابع: الإضلال.

المطلب الخامس: التسويل.

المطلب السادس: الإملاء.

المطلب السابع: التحريش بين المسلمين.

المطلب الثامن: التخويف.

المطلب التاسع: التزيين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: أساليب الشيطان مع المؤمنين.

لمَّا طرد الله الشيطان من رحمته، أقسم بالله أن يغوي الناس جميعًا إلا عباد الله المخلصين، كما في قوله– تعالى–: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص: ٨٢ – ٨٣). فسلك الشيطان لإغوائهم كل سبيل ومدخل على حسب نوعية من يواجهه، قال تعالى: ﴿ ...وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ .. ﴾ (الإسراء: ٦٤)، أي تسلط عليهم لكل ما تقدر عليه، فالخيل والرجل كناية عن جميع مكائد الشيطان[١]، وهذه الأساليب من أهم ما ينبغي على المسلم معرفتها لما يأتي:

١– كثرة تلبيس الشيطان على الناس بجميع طبقاتهم ومللهم ونحلهم[٢].

٢– إن المسلم لن يستطيع أن يدخل حربًا طويلة الأمد مع الشيطان دون معرفة سلاح وطرق عدوه في حربه[٣].

فمن رحمة الله –عزَّوجلَّ– بالمؤمنين أنه فضح أساليب الشيطان، وبيَّن لهم كيف يغوي الإنسان، والوسيلة التي يوقع من خلالها الإنسان في المعصية، " فالشيطان لا يأتي إلى الإنسان ويقول له: اترك هذه الأمور الخيرة، وافعل هذه الأمور السيئة؛ كي تشقى في دنياك وأخراك؛ لأنه لو فعل ذلك فلن يطيعه أحد، ولكنه يسلك سبلاً كثيرة، يغرر بها عباد الله"[٤].

المطلب الأول: الوسوسة.

مفهوم الوسوسة لغة واصطلاحًا:

أولاً– الوسوسة لغة: " الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي من ريح، والوسواس: صوت الحليّ، وقد وسوس وسوسة ووِسواسًا: بالكسر، والوسوسة والوسواس: حديث النفس. يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسا، بكسر الواو، والوسواس بالفتح، الاسم مثل الزِّلْزال والزَّلْزال"[٥].

ثانيًا– الوسوسة اصطلاحًا:

الوسوسة والوسواس: "ما يلقيه الشّيطان في القلب"[٦].

وقال الرّاغب: "الوسوسة: الخطرة الرّديئة"[٧].

---

(1) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٣/٣٠٤).
(2) انظر: (تلبيس إبليس): ابن الجوزي ص (٣٨).
(3) انظر: (المصدر السابق) ص (١٠٤).
(4) عالم الجن والشياطين: عمر الأشقر ص(٨٤).
(5) لسان العرب: ابن منظور (٦/٢٥٤).
(6) بصائر ذوي التمييز: الفيروز أبادي (٥/ ٢٠٨).
(7) المفردات (٥٢٢)، وانظر: التوقيف: المناوي (٣٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال الكفويّ: "الوسوسة القول الخفيّ لقصد الإضلال، والوسواس: ما يقع في النّفس من عمل الشّرّ وما لا خير فيه"(١).

وقال ابن القيّم- رحمه اللّه-: الوسوسة:" الإلقاء الخفيّ في النّفس إمّا بصوت خفيّ لا يسمعه إلّا من ألقي عليه، وإمّا بغير صوت كما يوسوس الشّيطان إلى العبد" (٢).

كيفية الوسوسة:

الوسوسة عبارة عن قذف بالهواجس الرديئة إلى القلب، ونفث سموم الخواطر الباطلة إلى النفس، وترديد ذلك لينبعث الهم بالمعصية، ثم الإرادة ثم الفعل؛ لأن أول كل فعل هو أن يتحدث القلب بذلك الفعل(٣).

والشيطان يستطيع أن يصل إلى فكر الإنسان وقلبه بطريقة لا ندركها ولا نعرفها، ويساعده على ذلك طبيعته التي خلق عليها، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله -ﷺ- قال: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)(٤) فهذه هي الوسوسة؛ إذ سماه الله تعالى بالوسواس الذي يوسوس في صدور الناس.

قال ابن كثير: الوسواس الخناس " أي أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس"(٥)

والوسوسة صفه ملازمة للشيطان في جميع أحواله، وأفعاله، والهدف منها إيقاع المؤمنين في الغواية.

أسباب الوسوسة:

أسباب الوسوسة ترجع إلى عده أمور:

أولاً- جهل بالشرع.

ثانياً- خبل في العقل.

---

(1) الكليات (٩٤١).

(2) بدائع الفوائد (٢/٤٧٤).

(3) انظر: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): الآلوسي (٦/٤٩٠).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الاعتكاف، باب: زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، رقم الحديث (٢٠٣٨)، ص (٣٦٧).

(5) تفسير القرآن العظيم (١٤/٥٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً- إطلاق العنان للاسترسال مع تلك الهواجس والوساوس، وهذه الأمور مجتمعة أو متفرقة؛ سبب رئيس في نشأة الهواجس والوساوس(١).

أنواع الوسواس:

ذكر العلماء أن الوسواس نوعان: إنس وجنّ، كما قال تعالى: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾(الناس: ٦)، والوسوسة الإلقاء الخفيّ، لكن الإلقاء الإنسي بواسطة الأذن، والجن لا يحتاج إليها.

ونظير اشتراكهما في الوسوسة، اشتراكهما في الوحي الشّيطانيّ كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٢)(٢).

تدرج إبليس في الوسواس:

يتدرج الشيطان في وسواسه مع الإنسان في سبيل إغوائه وإضلاله بعدة مراتب، فهو لا ييئس البتة فإن

عجز في مرتبة نقله إلى الأخرى مع استخدامه جميع الوسائل والأساليب المختلفة والمتنوعة.

والشيطان لا يوسوس للإنسان بصورة الشر على أنه شر، ولكنه يصوره على أنه خير يثاب إن فعله؛

ولكن من رحمه الله تعالى بنا أنه كشف وفضح أساليبه، حتى نستطيع أن نقي أنفسنا منه، والشيطان لا يترك المؤمن ما دام على طاعة، بل يحاول أن ينفذ إليه من ناحية أخرى بعد أخرى حتى يوقعه في المعصية؛ ولذلك قال ابن القيّم- رحمه اللّه تعالى-: على الإنسان أن ينظر فيمن يأمره بالمعصية ويحضّه عليها ويزيّنها له، وهو شيطانه الموكّل به، ويفيده هذا النّظر أن يتّخذه عدوّا، وأن يحترز منه، والانتباه لما يريده عدوّه وهو لا يشعر، لأنّ هذا الشّيطان يريد أن يظفر به في مرتبة من سبع مراتب بعضها أصعب من بعض، وهو لا ينزل من المرتبة الشّاقّة إلى ما دونها إلّا إذا عجز عن الظّفر به فيها، وهذه المراتب هي:

المرتبة الأولى: مرتبة الكفر.

---

(1) انظر: (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان): ابن القيم، ص (١٣٩)، و(تلبيس إبليس): ابن الجوزي ص (١٦٥).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٢/٢٠)، (وبحر العلوم): السمرقندي (٣/٦١٢)، و(فتح القدير): الشوكاني (٥/٧٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه المرتبة يُسَخِّرُ الشيطان كل أساليبه لكي يجعل الإنسان يكفر بالله تعالى وبدينة، وبما أخبرت به رسله عنه، فإن أجابه لما أراد منه بردت نار عداوته واستراح، وإن نجا الإنسان من هذه المرتبة، نقله إلى المرتبة الثانية.

المرتبة الثانية: وهي مرتبة البدعة.

والبدعة أحب إلى الشيطان من الفسوق والمعاصي؛ لأنها تعد من أوسع أبواب الكفر والشرك بالله –عزَّوجلَّ–؛ لأنها تعد من مسالك الاعتقاد الباطل؛ فإن عجز منه نقله إلى المرتبة الثالثة.

المرتبة الثالثة: وهي مرتبة الكبائر.

فالشيطان لا يمل من الوسوسة التي تؤدي إلى الإغواء؛ فإذا وقع المسلم في كبيرة جره إلى أخرى حتى يغرقه في الكبائر ويصبح من دعاتها؛ فإن عجز نقلة إلى المرتبة الرابعة.

المرتبة الرابعة: وهي مرتبة الصغائر.

وهذه الصغائر التي هي دون الكبائر؛ فالشيطان يزيّنها له ويحسّنها في عينه وربّما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق، وهي قوله: (لا يضرّ مع التّوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشّرك حسنة) فإن عجز الشيطان منه نقله إلى المرتبة الخامسة.

المرتبة الخامسة: الانشغال بالمباحات.

والانشغال بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب الهدف منه إشغال الإنسان عن التفكير في أهمية الوقت بل تضييعه في غير فائدة؛ فإن عجز منه نقله إلى المرتبة السادسة.

المرتبة السادسة: الانشغال بالعمل المفضول عما هو أفضل منه.

وهذا الشيطان لا يمل من إغواء المسلم ففي هذه المرتبة يوسوس للإنسان ويأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له، إذا ضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه؛ فإن عجز منه نقله إلى المرتبة السابعة وهي تسليطه حزبه من الجن والإنس في سبيل النيل منه وإيقاعه في المعاصي والذنوب[1] ، ووساوس الشيطان وخطراته لها أساليب وحيل كثيرة، فتارة تدخل في إيمان المسلم، وتارة في الطهارة، وتارة في الصلاة، وتارة في الغضب، وغير ذلك من عبادات المسلم والهدف منها جميعًا إغواء المؤمن وإفساد دينه، وسيبين الباحث أهم تلك الوساوس والخطرات.

أولاً: الوسوسة في جانب الاعتقاد:

إن الشيطان يقذف على قلب المؤمن ما يعارض إيمانه بالله ورسوله–ﷺ– واليوم الآخر، مما يوقع المسلم في الشك الموصل إلى الكفر، فيبدأ به بالتسلسل في الخلق حتى يصل إلى من خلق الله.

---

(1) مدارج السالكين (٢٢٢/١) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما أشار إليه -ﷺ- فعن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال:(جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ-ﷺ-فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: "وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟". قَالُوا :نَعَمْ، قَالَ:" ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ")[1].

قال النووي في معنى (ذلك صريح الإيمان) معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به، فضلاً عن اعتقاده إنَّما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالاً محقَّقًا، وانتفت عنه الريبة والشكوك.

وقيل: معناه إن الشيطان إنَّما يوسوس لمن أَيِسَ من إغوائه، فينكِّد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه ، وأما الكافر فإنَّه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقِّه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد[2].

قال شيخ الإسلام: "أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب هو صريح الإيمان كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا أعظم الجهاد؛ وإنما صار صريحًا لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحًا"[3].

ثانيًا: الوسوسة في جانب العبادات.

الوسوسة في جانب العبادات منها ما يقع في النية كالتلفظ بها خوفًا من بطلان العبادة.

ومنها ما يتعلق في جانب الطهارة والوضوء، كالإسراف في ماء الوضوء والغسل والشك في نقض الطهارة، وكالوسوسة عند قضاء الحاجة، والوسوسة في انتقاض الوضوء، وفي طهارة الماء وطهارة الأرض والثياب ومكان الصلاة.

ومنها ما يتعلق بالصلاة كإعادة التكبير وكقول الموسوس: أككبر وتكرير بعض الكلمات، كقوله في التحيات: آت آت، وفي السلام أس أس، أو إعادة الصلاة أكثر من مرة؛ خوفًا من أنه لم يقرأ الفاتحة، ويشعره أثناء صلاته أنه أحدث وهو لم يحدث، أو أنه لم يصلِّ الصلاة كاملة، أو أنه لم يأت بركن من أركانها أو غير ذلك من الصور[4].

وهدف الشيطان من هذه الوساوس إفساد صلاة المسلم، وإشغاله عن عبادته، وتشكيكه بدينه، وإهداره لوقته بطاعته له وبمعصيته لخالقه.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة وما يقوله من وجدها، رقم الحديث (١٣٢)، ص (٦٧).

(2) صحيح مسلم بشرح النووي: (٢/١٥٤).

(3) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٧/٢٨٢).

(4) انظر: ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة: ابن قدامة المقدسي، شرح ابن القيم ص (٣٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علاج الوسوسة في الجانب العقائدي والعبادات.

يقول -ﷺ-: (مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً)[1]، وحتمًا فإن الوسوسة داء عضال لمن ابتلي بها؛ لأن الهدف الأسمى للشيطان من خلال هذه الوساوس، تشكيك المسلم في دينه، حتى يخرجه من عقيدة الإسلام.

وسيبين الباحث طرق العلاج الناجح لكل من ابتلى بهذه الوساوس.

أولاً- المداومة على ذكر الله:

لقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(الرعد: ٢٨).

والشيطان يعيش بمعزل عن الذي يذكر الله تعالى، والعبد الذي يحافظ على ذكر الله يحفظ نفسه من وساوس الشيطان، كما جاء في الحديث: (كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى)[2].

يقول ابن القيم- رحمه الله-: " فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجًا بذكره فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انْخَنَسْ عدو الله تعالى، وتصاغر وانقمع"[3]، فعن النبي -ﷺ- قال: (إن الشيطان إذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس)[4]

فحين يتخلى الإنسان عن ذكر الله يسلط الله عليه الشيطان، وقد قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ (الزخرف: ٣٦).

٤- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم وترك الاسترسال في التفكير.

لقوله- تعالى-:﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾ (المؤمنون: ٩٧،٩٨).

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الطبَّ، باب: ما أنزل الله داء...، رقم الحديث (٥٦٧٨)، ص (١٠٥٩).

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الأدب عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، رقم الحديث (٢٨٦٣)، ص (٦٤٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (١٧٢٤)، (٣٥٦/١).

(3) الوابل الصيِّب (٥٦/١).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: العمل في الصلاة، باب: يفكر الرجل الشيء في الصلاة، رقم الحديث (١٢٢١) ص (٢٢٧)، ومسلم في كتاب: الصلاة، باب: فضل الآذان، رقم الحديث (٣٨٩)، ص (١٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذه الآية أمرٌ للنبي-ﷺ-، وأمته بأن يعتصموا بالله من وساوس الشياطين، وخنقهم، ومسهم، ويستعيذوا منها من أن تحضرهم في أي أمرٍ من أُمورهم الدنيوية[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: ٣٦).

ونزغ الشيطان: وساوسه وخطراته التي يلقيها في قلب المؤمن بقصد التهييج وخاصة عند الغضب، فأمر سبحانه المؤمنين عند تعرضهم لنزغات الشيطان بالاستعاذة[2]، والاستعاذة: هي طلب الإستجاره من الله تعالى دون غيره من سائر خلقه من الشيطان الرجيم[3].

ولقوله -ﷺ-: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)[4]. وفي رواية أخرى: (فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله)[5].

قال ابن حجر- رحمه الله-: (فليستعذ بالله ولينته) أي: "عن الاسترسال في ذلك، بل يلجأ إلى الله في دفعه، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها"[6].

وقد أرشدنا الرسول-ﷺ- إلى العلاج الناجع الذي يقضى على هذا الوسواس الخطير، فقال-ﷺ-: (يوشك الناس يتساءلون بينهم، حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله عز وجل ؟ فإذا قالوا ذلك، فقولوا: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا، وليستعذ من الشيطان)[7].

لأن إطلاق العنان للاسترسال بهذه الوساوس توصل المسلم إلى الكفر والعياذ بالله تعالى.

أما إن قطع المسلم الطريق على الشيطان بالاستعاذة والتوجه إلى الله فإنه سينجو من تلك الوساوس.

---

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٤٨/١٢).

(2) انظر: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): الآلوسي (٤٩٠/٦).

(3) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٣٤٧/٧).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده،رقم الحديث (٣٢٧٦)، ص (٦٠٠).

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب:الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان...، رقم الحديث (١٣٤)، ص (٦٧).

(6) فتح الباري (٣٤٠/٦).

(7) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب: السنة، باب: في الجهمية، رقم الحديث(٤٠٩٨) ص (٣٣١/١٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير(١٣٥٩/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي وسواس الصلاة كذالك، أن عثمان بن أبي العاص أتى إلى النبي-ﷺ- فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي: يَلْبسُهَا عَلَيَّ، فقال رسول الله -ﷺ-: (ذاك شيطانٌ يقال له: خنزبٌ. فإذا أحسسته فتعوذ بالله منهُ، واتفل على يسارك ثلاثًا)، قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عَنِّي(١).

٣- ثقة المسلم بربه ويقينه بضعف كيد الشيطان.

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦).

قال السعدي: " فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإن كيده غاية الضعف"(٢)،"لأن الشيطان عندما يكيد سيكون كيده في مقابل كيد ربه، فلا بد أن يكون كيده ضعيفًا جدًا بالقياس لكيد الله "(٣).

فعندما يثق المسلم بربه وبضعف كيد الشيطان؛ فإنه يستطيع أن يسيطر على تلك الوساوس بل ويقهره.

فالمسلم حين يتابع أفعال النبي-ﷺ-؛ فإنه يقطع الطريق على الشيطان في بثه لتلك الوساوس؛ لأن الموسوس عندما يتعلم كيف كان النبي -ﷺ- يتطهر وكيف يتوضأ وكيف يصلى، توقف فورًا عن تلك الوساوس، لأن السبب الحقيقي لتلك الوساوس هو قله العلم والجهل بالدين، فبالتالي يلعب الشيطان بالموسوس كالكرة.

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: السلام، باب: التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، رقم الحديث (٢٢٠٣)، ص (٨٦٩).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/١٨٧).

(3) تفسير الشعراوي: للشيخ الشعراوي (١٦٦٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: النزغ.

والنزغ يُعَد الأسلوب الثاني للشيطان مع المؤمنين

تعريف النزغ لغة واصطلاحًا:

أولاً- النزغ في اللغة: (النزغ): الإغراء، نزغَ: أي أغرى وأفسد، وحمل بعضهم على بعض، والنزغُ: الكلام الذي يغري بين الناس، ونزغَ الشيطان بينهم يَنْزَغُ ويَنْزِغُ نَزْغًا: أي أفسد ويفسد فسادًا[١].

ثانيًا- النزغ اصطلاحًا: (النزغ): عبارة عن وساوس وخطرات يلقيها الشيطان في قلب المؤمن بقصد التهييج وإثارة النفس [٢].

بداية نزغ الشيطان للإنسان:

تبدأ مرحلة نزغ الشيطان مع ابن آدم من حين ولادته إلى حين انتهاء أجله، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن النبي-ﷺ- قال: (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسةُ الشيطان إلا ابن مريم وأمه) ثم قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٣٦)[٣]،وفي رواية الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال-ﷺ-: (صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان)[٤].

آيات النزغ في القرآن الكريم:

وردت لفظة النزغ في القرآن الكريم في أربعة مواضع جميعها مرتبطة بالشيطان، وأولها في قوله – تعالى-:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

وجاءت نظيرة هذه الآية في فصلت قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(فصلت: ٣٦).

وارتبط معنى النزغ عند المفسرين بالمعنى اللغوي، حيث المعنى اللغوي يفيد أن النزغ بمعنى التحريك والإغراء والتهييج المعروف بالغضب.

---

(1) انظر: (مقاييس اللغة): ابن فارس (٥/٣٣٢)، و(لسان العرب): ابن منظور (٨/٤٥٤).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٧/٣٠٤).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: تفسير القرآن، باب: واني أعيذها بك من الشيطان الرجيم، رقم الحديث (٤٥٤٨)، ص(٨٢٠).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، رقم الحديث(٢٣٦٧)، ص (٩٢٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الطبري: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾أي:"وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين، ويحملك على مجازاتهم (فاستعذ بالله)"[1].

والدليل على أن المعنى المفهوم من الآيتين السابقتين هو الغضب، ما وضحته سياق آية فصلت حيث جاء السياق يتحدث عن دفع العداوة ومقدماتها بالصفح والصبر وبيان ثماره في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(فصلت: ٣٣ – ٣٤).

والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى تحمي المؤمنين من الشيطان ونزغاته وكيده، فأرشدنا سبحانه إلى الإستعاذه بالله السميع العليم[2].

معنى الاستعاذة:

قال الطبري: والاستعاذة: الاستجارة، ومعنى ﴿ ..فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾،أي: أستجيرُ بالله– دون غيره من سائر خلقه– من الشيطان أن يضرَّني في ديني، أو يصدَّني عن حق يلزَمُني لرَبي[3].

لذا قالت امرأة عمران:﴿ ...وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾(آل عمران: ٣٦)

فأرادت أن تحمي ابنتها من نزغ الشيطان؛ لأنها عرفت أن المعاصي كلها تأتي من نزغ الشيطان، والمستعاذ هو الله.. والمستعاذ منه هو الشيطان، وحينما يدخل الشيطان مع خلق الله في تزيين المعاصي، فهو يدخل مع المخلوق في عراك، ولكن الشيطان لا يستطيع أن يواجه رب المخلوق، ولذلك إذا سمع ذكر الله فإنه يخنس ويتراجع، بل ترتعد فرائصه عند الاستعاذة[4]

وجاءت سورتا يوسف والإسراء لتبينا لنا كيف يُحْدِثُ نزغ الشيطان الفساد والقطيعة بين الإخوة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(يوسف: ١٠٠) أي: أفسد بيننا الشيطان بوسوسته، التي أصلها من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري،

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٣٢/١٣).
(2) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٣٥٣/١٢).
(3) جامع البيان في تأويل القرآن (١١١/١).
(4) انظر: (تفسير الشعراوي): الشعراوي (٩٤٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا النَّخْس[١] رده يوسف عليه السلام إلى الجميع، وبهذا النزغ أفلح الشيطان في إيغار وتهييج العداوة بين أبناء النبوة[٢].

وفي الإسراء يقول تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء: ٥٣).

قال الإمام ابن كثير: "يأمر الله – تبارك وتعالى – عبده ورسوله–ﷺ– أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم؛ وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة؛ فإنه عدو لآدم وذريته، وعداوته ظاهرة بينة؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديده؛ فإن الشيطان ينزغ في يده أي ربما أصابه بها"[٣]، حيث يقول –ﷺ–: (لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار)[٤].

الفرق بين النزغ والوسوسة:

فرَّق العلماء بين النزغ والوسوسة فقالوا إن النزغ عبارة عن الإغواء بالوسوسة وأكثر ما يكون عند الغضب، وقيل أن أصله للإزعاج بالحركة إلى الشر، ويقال هذه نزعة من الشيطان للخصلة الداعية إلى الشر.

أما أصل الوسوسة، فهو الصوت الخفي، ومنه يقال لصوت الحلي وسواس، وكل صوت لا يفهم تفصيله لخفائه وسوسة ووسواس، وكذلك ما وقع في النفس خفيًا، وسمى الله تعالى الموسوس وسواسًا بالمصدر في قوله تعالى" ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ (الناس: ٤)[٥].

---

(1) النَّخْس: نَخْسُكَ البعيرَ وغيره بالعصا نخسته أنخَسه نَخْسًا، ويقال: نَخَسَ بنو فلان بفلان، إذا طردوه ونخسوا بَعيره (جمهرة اللغة): ابن دريد (٣١٦/١)).

(2) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٤٧٧/٢)، و(نظم الدرر): البقاعي (٩٩/٤).

(3) تفسير القرآن العظيم (١٧/٩).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الفتن، باب: قول –ﷺ–(من حمل علينا السلاح فليس منا)، رقم الحديث (٧٠٧٢)، ص (١٢٨٣).

(5) انظر: (معجم الفروق اللغوية): العسكري (٣٦٧/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: الاستزلال:

مفهوم الاستزلال لغة واصطلاحًا:

أولاً- الاستزلال لغة: أصل الزلل الخروج عن الطريق المستقيم، يقال زلَّ فلان يزل زللاً وزلولاً، إذا دحضت قدمه ولم تصب موضعها الصحيح(١).

ثانيا- الاستزلال اصطلاحًا: هو" استرسال الرجل بغير قصد، سواء منه أو من غيره، ومنه قيل للذنب بغير قصد زلة تشبيها بزلة الرجل، وقال أبو البقاء الزلل الخطأ والعدول عن سنن الصواب من قولك زلت قدمه أي زلقت(٢).

آيات الاستزلال في القرآن الكريم:

إن الشيطان حريص على إبعاد المؤمن عن دينه بشتى الطرق والأساليب، ومنها الاستزلال، فهو يحرص على أن يزله ويبعده عن المكانة التي هو فيها، ويعظم هذه الزلة، ولهذا جاء الاستزلال في القرآن الكريم منسوبًا إلى الشيطان في موضعين كلاهما للمؤمنين.

الأول جاء في معرض الحديث عن كيفية نزول آدم من الجنة، قال الله –تعالى-: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا .... ﴾ (البقرة: ٣٦).

قوله- تعالى-:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ بتشديد اللام، وفي قراءة:﴿ **فأزالهما** ﴾ والفرق بينهما أن :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ بمعنى استزلهما، أي: أوقعهما في الزلل، من قولك زلَّ الرجل في دينه: إذا هفا فيه وأخطأ، فأتى ما ليس له إتيانه فيه، وأزلَّه غيره: إذا سبب له ما يزلّ من أجله في دينه أو دنياه.

أما﴿ **فأزالهما** ﴾ بمعنى إزَالة الشيء عن الشيء، فعلى القراءة الأولى يكون الشيطان أوقعهما في الزلل، فزالا عنها، وأُخرجا منها، وعلى الثانية يكون الشيطان سببًا في تنحيتهما.

وقد رجح بعض العلماء قراءة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ومنهم الإمام الطبري ودليله أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر في الحرف الذي يتلوه، بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه فلا وجه، إذْ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج، أن يقال: "فأزالهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه" فيكون كقوله:"فأزالهما الشيطان عنها فأزالهما مما كانا فيه"، ولكن المفهوم أن يقال: فاستزلهما إبليسُ عن طاعة الله، كما قال سبحانه وتعالى: "فأزلهما الشيطان" فأخرجهما باستزلاله إياهما من الجنة(٣).

---

(1) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٣٠٦/١١).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (٣٨٨).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٢٤/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما رجحه الإمام القرطبي بقوله أن كلاً من القراءتين صحيحة، وذلك؛ لأن الشيطان ليس له القدرة على إزالة أحد من مكانه إلى مكان أخر، ولكن قدرته في الاستزلال والوسوسة والوقوع في الزلل[١].

والثاني جاء في الآية الكريمة التي تتحدث عن الذين لم يثبتوا مع النبي -ﷺ- يوم أحد؛ لتبين السبب الرئيس في ذلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾(آل عمران: ١٥٥).

وهذا التولي الذي وقع فيه من ذكرهم الله تعالى في هذه الآية، يتناول الرماة الذين تركوا أماكنهم التي أمرهم الرسول-ﷺ- بالبقاء والتمترس فيها لحماية ظهور المسلمين، كما يتناول الذين لم يثبتوا مع النبي عندما اضطربت الصفوف، ومعنى ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: طلب لهم الزلل والخطيئة، ودعاهم إليها بمكر منه وكان ذلك، أو حملهم عليها بوسوسته لهم: أن يخالفوا أمر رسول الله -ﷺ- لهم بالثبات في مواقفهم التي عينها لهم، فكانت مخالفتهم لرسولهم وقائدهم طاعة للشيطان، فحرمهم الله تأييده وتقوية قلوبهم، ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾أي: بسبب بعض ما اكتسبوه من ذنوب؛ لأن نفوسهم لم تتجه بكليتها إلى الله فترتب على ذلك أن منعوا النصر والتأييد وقوة القلب والثبات، ثم أخبر المولى -عزَّوجلَّ- أنه قد عفا عن هؤلاء الزالين، وذلك بمنحهم فرصة التوبة الصادقة المخلصة لله رب العالمين، كيلا يقعوا في الخطأ المماثل إلى الأبد فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[٢].

المطلب الرابع: الإضلال:

مفهوم الإضلال لغة واصطلاحًا:

أولاً- الإضلال لغة: مصدر قولهم: ضلّ يضلّ، وهو مأخوذ من مادّة (ض ل ل) الّتي تدلّ على ضياع الشّيء وذهابه في غير حقّه، وكلّ جائر عن القصد ضالّ، ورجل ضلّيل ومضلّل، إذا كان صاحب ضلال وباطل[٣].

---

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١/٣١١).

(2) انظر: (تفسير البحر المحيط): أبو حيان (٣/٤٣٢) و(التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٢/٣٠٨).

(3) انظر: (مقاييس اللغة): ابن فارس (٣/٣٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا- الإضلال اصطلاحًا: قال الرّاغب: هو" العدول عن الطّريق المستقيم، ويضادّه الهداية"[١]،وقال المناوي:" سلوك طريق لا يوصّل إلى المطلوب"[٢].

إضلال الشيطان للإنسان:

لقد تحدثت نصوص القرآن عن إضلال الشيطان للإنسان في أكثر من موضع، وسوف يستعرض الباحث بعض هذه المواضع، والتي منها، قوله-تعالى-:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(النساء: ٦٠).

ففي هذه الآية الكريمة يَعجَبُ سبحانه وتعالى من حالة المنافقين ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ﴾ آمنوا بما جاء به النبي-ﷺ- وبما قبله، ومع هذا الإيمان فهم يحتكمون إلى غير شرع الله تعالى وقد سماه الله بالطاغوت، والحال أنهم أمروا أن يكفروا به.

فهذا تناقض عجيب، أن يجتمع الإيمان مع الكفر؛ لأن من مقتضيات الإيمان الانقياد لشرع الله تعالى؛ فمن ادعى أنه مؤمن، واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فقد أضله الشيطان وأغواه لأن الشيطان لا يضل الإنسان حتى يصور له الباطل في أحسن صورة، ويزين له الانحراف عن المنهج القويم[٣]، وهذا شأن أهل النفاق، شأنهم الإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله:﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فيه امتداد للتعجب؛ لأن اتباعهم لمن يريد إضلالهم، وإعراضهم عمن يريد هدايتهم أمر يدعو إلى العجب الشديد.

والمراد بالضلال البعيد: الكفر والبعد عن الحق والهدى، ووصفه بالبعد للمبالغة في شدة ضلالهم[٤].

ومن المواضع التي تحدثت عن إضلال الشيطان للإنسان، قوله- تعالى-:﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (الحج: ٤).

لقد أبان الله تعالى في هذه الآية الكريمة مصير الذي يتبع الشيطان، وقد قضى الله على من اتبع الشيطان، وجعله وليًا ناصرًا له: أن يوقعه في الضلال ويهديه إلى النار وبئس المصير، واتباع الشيطان يؤدي إلى الضلال في الدنيا والآخرة، وهذا وعيد واضح لمن اتبع الشيطان وانساق خلف

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن (٢٩٩).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف (٤٧٤/١).

(3)انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (١٩٤/٣).

(4) انظر: (التحرير والتنوير) (٤٥٨/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وساوسه وأباطيله[١]، والضلال والهدى ضدان، لكن المراد بالضلال هنا: أن يضله عن طريق الحق والخير، والمراد بالهداية هنا، أي بهدايته نحو الشر؛ لأن الدلالة هنا مطلقة، فان دلت على خير فهي هداية، وإن دلت على شر فهي أيضًا هداية ولكن مع تهكم وسخرية كما في قوله تعالى: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾(الصافات: ٢٢) أي: دُلُّوهم وخُذوا بأيديهم إلى جهنم[٢].

المطلب الخامس: التسويل:

تعريف التسويل لغة واصطلاحًا:

أولاً– التسويل لغة: من سَوَّلَ: السين والواو واللام أصل يدل على استرخاء في شيء، يقال: سَوَّلَ يُسَوِّلُ سَوْلاً، وقولهم سَوَّلْتُ له الشيء، إذا زينته له، فيمكن أن تكون أعطيته سؤله، على أن تكون الهمزة مُلَيَّنَةً من السَّوَل[٣].

قال الجوهري: "وسولت نفسه أمرًا، أي زينته" [٤].

ثانيًا– التسويل اصطلاحًا: قال الراغب: " التسويل: تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا ﴾(يوسف: ٨٣)، وقوله تعالى: ﴿ ...ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ (محمد: ٢٥)."[٥].

والتسويل، والتزيين كلمتان تجتمعان على معنى واحد بحسب اللغة وهو تحسين وتسهيل المعصية لفاعلها.

تسويل الشيطان في السياق القرآني:

لقد ورد التسويل مقترنًا بالشيطان مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ (محمد: ٢٥).

المعنى: يبين الله جل وعلا أن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى؛ أنهم قوم كفروا بعد إيمانهم، واختلف العلماء في الذين ارتدوا على أدبارهم أهم اليهود أم المنافقون.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٦٦/١٨).
(2) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ محمد متولي الشعراوي (٥٩٧٤).
(3) انظر: (مقاييس اللغة): ابن فارس (٩٠/٣).
(4) الصحاح في اللغة (٣٤١/١).
(5) مفردات ألفاظ القرآن (٥١٥/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال بعض العلماء: إنهم اليهود الذين كانوا يؤمنون بنبينا محمد-ﷺ-، فلما بعث وتحققوا أنه هو النبي الموصوف في كتبهم كفروا به، واستدل العلماء على قولهم بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩)؛ لأن قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ مبين قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾، وقوله: ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ مُبَيِّنٌ معنى قوله تعالى: ﴿ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾.

وعلى هذا القول فإن ارتدادهم على أدبارهم هو كفرهم به بعد أن عرفوه وتيقنوه، والهدى الذي تبين لهم هو صحة نبوته -ﷺ- ومعرفته بالعلامات الموجودة في كتبهم(١).

وقال بعض العلماء: إنهم المنافقون، وسبب ارتدادهم من بعد ما تبين لهم الهدى، هو إغواء الشيطان لهم كما قال تعالى مشيرًا إلى علة ذلك﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾أي زين لهم الكفر والارتداد عن الدين، ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي مد لهم في الأمل ووعدهم طول العمر، واستدل من قال إنهم المنافقون بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾(محمد: ٢٦)، والمنافقون هم الذين قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الأمر والراجح أنه في الدسائس والكيد للنَيْل من محمد-ﷺ - ودعوته(٢).

وسيستعرض الباحث بعض أقوال المفسرين في معنى التسويل في آيات القرآن.

ذكر الطبري: معنى قوله تعالى: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: "زَيَّنَ لهم ارتدادهم على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى"(٣).

وقال الزمخشري: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي:" سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء"(٤).

وقال الشوكاني: ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي:" زيَّنَ لهم خطاياهم وسهل لهم الوقوع فيها (٥).

وإلى هذه المعاني يميل أغلب المفسرين (٦)؛ لأن

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٣٧٩/٧).
(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤٥١/٦).
(3) جامع البيان في تأويل القرآن (١٨١/٢٢).
(4) الكشاف (٣٣٢/٦).
(5) فتح القدير (٤٨٢/٦).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٢٤/١٥)، و (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢١٢/١٦)، و(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (١٩٠/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقوال العلماء في معنى تسويل الشيطان على معنى موحد وهو التزيين والتسهيل، وهذا التزيين من قِبَلِ الشيطان لم يأتِ إلا عندما مَهَّدَ الذين ارتدوا على أدبارهم لهذا التزيين من عند أنفسهم، فَيَوْمَ أن استحبوا العمى على الهدى، سهل لهم الشيطان الوقوع في الكفر والمعاصي وحسَّنَها في أعينهم

هل التسويل من الشيطان أم من النفس:

لقد ورد التسويل مرتبطًا بالشيطان مرة واحدة في كتاب الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥).

ففي الآية السابقة أضاف الحق سبحانه وتعالى الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره.

وورد ثلاث مرات مرتبطًا بالنفس في ثلاثةِ مواضع من كتاب الله تعالى، وهي قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ١٨).

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (يوسف: ٨٣).

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ (طه: ٩٦).

من هنا يتبين للباحث أن التسويل من النفس ومن الشيطان، فكلاهما يزين المعصية ويصورها بصورة الحسن، فالنفس الأمارة بالسوء تشارك الشيطان في التسويل لبني آدم كما في قوله– تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف: ٥٣).

المطلب السادس: الإملاء:

تعريف الإملاء لغة واصطلاحًا:

أولا– الإملاء لغة: من ملا، والمَلا والمَليُّ كله مده العيش، والإملاء: الإمهال والتأخير وإطالة العمر وتَمَلَّى إخْوانَه مُتِّعَ بهم[1].

ثانيًا– الإملاء اصطلاحًا: قال الراغب: " الإملاء الإمداد، ومنه قيل للمدة الطويلة ملاوة من الدهر، وملوه من الدهر "[2].

ومعنى إملاء الشيطان في قوله –تعالى–:﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥).

---

(1) انظر: (لسان العرب): ابن منظور (٢٩٠/١٥).

(2) مفردات ألفاظ القرآن الكريم (٣٨٧/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أصل الإملاء: الإمهال والمد في الأجل، ومنه قوله- تعالى-:﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (الأعراف: ١٨٣)، وقوله –تعالى-: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(آل عمران: ١٧٨).

معنى إملاء الشيطان لهم: أي وعده إياهم بطول الأعمار والمد لهم في الآمال والأماني مع الغرر بهم[1]، ومعنى المدِّ فيها: "توسيعها، وجعلها ممدودة في نفسها، أو بزمانها، بأن يوسوس لهم بأنكم تنالون في الدنيا كذا وكذا مما لا أصل له، حتى يُعَوِّقَهُم عن العمل"[2].

وقد اسْتُدِلَ على هذا من قول الله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(النساء: ١٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٤).

واختلف العلماء في ضمير الفاعل في قوله: ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾، فعلى قراءة الجمهور راجعٌ إلى الله تعالى، ويكون المعنى في قوله: ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٥)، أي أن الشيطان سهل لهم الكفر والمعاصي، وزينها في قلوبهم، والله –عزَّوجلَّ– هو الذي أمهلهم إمهال المستدرج لهم، وهذا القول تشهد له العديد من آيات القرآن الكريم، كقوله في تزيين الشيطان لهم:﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾(الأنفال: ٤٨)، ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾(إبراهيم: ٢٢)، وغيرها من الآيات.

وكقوله تعالى في إملاء الله لهم استدراجًا: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(آل عمران: ١٧٨)، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٢)، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾(المؤمنون: ٥٥).

وجميع هذه الآيات تبين أن الفاعل في الإمداد والإمهال والاستدراج هو الله وليس الشيطان [3].

والإشارة في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٦)، ترجع إلى قوله تعالى:﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾، وهذا يعني

(1) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٣٢٩/٤)، و (مفاتيح الغيب): الرازي (٥٨/٢٨)، و(الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٤٩/١٦)، و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٢٤/١٥).

(2) روح المعاني: الآلوسي (١٥٥/١٩).

(3) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٥٨٦/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن التسويل والإملاء المفضي إلى الكفر بسبب أنهم: ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾[1].

واختلفت القرّاء في قراءة (وأملى لهم)، فقرأ عامة قرّاء الحجاز والكوفة (وَأَمْلَى لَهُمْ) بفتح الألف منها، وهي بمعنى: وأملى الله لهم.

وقرأ بعض أهل المدينة والبصرة (وَأُمْلِيَ لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام بعدها ياء مفتوحة، على وجه مالم يسمّ فاعله.

وقرأ مجاهد فيما ذُكر عنه(وَأُمْلِي) بضم الألف وإرسال الياء على وجه الخبر من الله جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم[2].

وقد رجح الإمام الطبري القراءة التي عليها عامة قرّاء الحجاز والكوفة من فتح الألف، وهذا الذي عليه أغلب المفسرين[3].

وهناك فرق واضح بين الإملاء والاستدراج، حيث إن الإملاء: هو الإمهال والتأخير وهو مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾(الأعراف: ١٨٣)، غير أن الاستدراج: هو تجديد للعبد العاصي بالنعم التي لا تحصى رغم ما يصدر عنه من الخطايا والذنوب، مع إنسائه الاستغفار والتوبة إلى أن يأخذه الله قليلاً قليلاً ولا يباغته، وعلى هذا فهناك عموم وخصوص بينهما، إذ كل استدراج إملاء، وليس كل إملاء استدراج[4].

المطلب السابع: الإيقاع بين المؤمنين:

إن الشيطان حريص كل الحرص على تمزيق المؤمنين، وذلك بإيقاع العداوة والبغضاء بينهم وهذا من أساليبه التي يسعى لتحقيقها لإغواء المؤمنين، لأن هدف الشيطان الأسمى هو إيقاع المسلم في الغواية التي تؤدي إلى السعير، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٦).

والإيقاع بين المؤمنين مطلب شيطاني كبير، إذ به تتفكك الأسر والجماعات والمجتمعات والدول؛ لذا جاء التحذير الرباني للمؤمنين من التعاطي مع هذا الأسلوب من أساليب الشيطان، لأن من

(1) انظر: (المصدر السابق): (٥٨٧/٧).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٨١/٢٢)
(3) انظر: (المرجع السابق)، و(مفاتيح الغيب): الرازي (٥٨/٢٨).
(4) انظر: (معجم الفروق اللغوية): العسكري (٤٩/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعظم مقاصد الشيطان الخبيث، وأشد حيله: أن يوقع البغضاء والعداوة بين المسلمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة: ٩١)

وهذه الآية تبين السببين الرئيسين لوقوع العداوة والكراهية والأحقاد بين الناس وهما:

أولاً- الخمر: وهو كل ما خامر العقل وغالبه أو غطاه أو أثر فيه أو ستره من مأكول ومشروب أو عن طريق الشم أو الإبر، وذلك أن العقل إذا تخمر وانغلق صار صاحبه كالمجنون[1]، وقد ورد عن عمر رضي الله عنه قال: "والخمر ما خامر العقل"[2].

وسبب نزول هذه الآية يبين خطورة الخمر وإيقاع الشيطان بين المؤمنين، فقد أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا حتى ثملوا، عبث بعضهم ببعض فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلان، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، والله لو كان بي رءوفًا رحيمًا ما فعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله تعالى: ﴿ إنما الخمر والميسر... إلى قوله... فهل أنتم منتهون ﴾ [3].

ثانيًا- الميسر: هو "جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها"[4]، والميسر: عبارة عن أخذ أموال الناس بالباطل؛ لأنه يؤدي إلى ربح بلا عمل ولا تجارة، وخسارة الطرف الآخر يؤجج في النفس نار العداوة والبغضاء، والشيطان لا يريد للناس من تعاطيهم الخمر والميسر إلا الإيقاع في العداوة بأن يعادي بعضهم بعضًا بسبب الشراب، والبغضاء بأن يزرع الكراهية والحقد والنفرة من بعضهم البعض، فيتحقق حينئذ هدف الشيطان من التفريق والتشتيت بعد التأليف بالإيمان والجمع بأخوة الإسلام[5].

---

(1) انظر: (مفردات ألفاظ القرآن): للراغب الأصفهاني (٣٢٥)، و(الكليات): أبو البقاء الكفوي (٤١٤).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأشربه، باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من شراب، عن عمر رضي الله عنه قال:" والخمر ما خامر العقل" حديث رقم (٥٥٨٨)، ص (١٠٤٤).

(3) انظر: (أسباب النزول): الواحدي (١٣٨)، و(جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٧٢/١٠).و(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٢٤٣).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٢٤٣).

(5) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): الزحيلي (٤٠/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حذرنا النبي -ﷺ- من منهج الشيطان الذي يئس من عبادةِ المصلين له فأراد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي -ﷺ- يقول: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)(١).

أي يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن، ويشغل بعضهم ببعض، والشيطان يتخذ سوء الظن والغضب طريقًا نحو التحريش بين المؤمنين، لحديث النبي -ﷺ- الذي رواه سليمان بن صرد(٢)- رضي الله عنه- يقول سليمان: اسْتَبَّ رجلانِ عند النبيِّ -ﷺ- ونحن عنده جُلُوسٌ، وأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فقال النَبِيُّ-ﷺ-: (إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَهً، لَوْ قالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ)، فَقَالَوا للرَّجُلِ: أَلاَ تَسْمَعُ ما يَقُولُ النَّبِيُّ-ﷺ- ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ) (٣).

فحديث النبي-ﷺ- بين أن المشاحنات التي تَحدُث بين المسلمين؛ سببها الشيطان وكم من أحداث وقعت في مجتمعنا أدت إلى سفك دماء، وتفريقٍ بين الأشقاء، وإضفاء العداوة والبغضاء وكل ذلك وراءه الشيطان، فحريٌ بالمسلم أن يلجأ إلى الله وأن يستعيذ بالله من الشيطان ومن مكايده.

إن العداوة والبغضاء التي تقع بين الناس؛ إنما هي بسبب ما يلقيه الشيطان في قلوبهم، فالشيطان لا يفتأ عن التحريش بين الناس، وأن يوقعهم في مخالفة شرع الله لاسيما في هذه النقطة التي تمثل بالنسبة له غرضًا رئيسا، والتي يسلك من أجلها مسالك عديدة، ومن ذلك ما ذكره الله -تعالى- في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ ﴾ (المائدة: ٩١).

وقد ذكر النبيُّ -ﷺ- أن الشيطان لا يقبل من جنوده عملاً غير التفريق، وتقطيع الأوصال سواء بين الأزواج أو بين الأشقاء أو بين الأرحام أو حتى بين المجتمع الواحد، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله-ﷺ-:(إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، رقم الحديث (٢٨١٢)، ص (١٠٨٣).

(2) هو الصحابي: سُلَيْمان بن صُرَد بن أبي الجون، وهو لُحيّ، الخُزاعي، وكان اسمه في الجاهلية يسارًا فسماه النبي-ﷺ- سليمان، يكنى أبا المُطَرِّف، وكان خَيِّرًا فاضلاً، سكن الكوفة أوَّل ما نزلها المسلمون، وكان ممن طلب دم الحسين رضي الله عنه ممن قتله، فقتل رضي الله عنه في معركة عين الوردة سنه خمس وستين للهجرة، وكان عمره حين قتل ثلاثًا وتسعين سنةً. ((انظر: (أسد الغابة): ابن الأثير (٥٢٢/٢)).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم الحديث (٦١١٥)، ص (١١٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ! قَالَ: فَيُدْنِيهِ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ)(١).

فحريٌّ بالمسلمين أن يحذروا من تحريش الشيطان وإلقائه العداوة بينهم على جميع طبقاتهم؛ لأن الشيطان يفرح بتفرقهم وتشتت شملهم، وخاصة المسلمين على هذه الأرض المباركة فلسطين، وقد نهى الإسلام عن كل الأسباب التي تسهل للشيطان مهمته في إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس، كالسخرية من الآخرين، وسوء الظن بهم، والتنابز بالألقاب، والغيبة والنميمة، والحسد، والتقليل من شأن الآخرين، وغيرها من الأسباب التي تمثل الجسر الذي يعبر عليه الشيطان ليوقع الناس في الغواية.

المطلب الثامن: التخويف.

لقد ذكر القرآن الكريم طرق الشيطان التي يسعى من خلالها لتخويف المؤمنين وهما طريقان:

أولاً- التخويف من أولياء الشيطان:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾(آل عمران: ١٧٥)، اختلف المفسرون في معنى التخويف في هذه الآية الكريمة على قولين اثنين:

أحدهما: أنه يخوف المؤمنين من أوليائه المشركين، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم.

والثاني: أنه يخوف أولياءه، وأتباعه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين، فيخافون منه، وهذا قول الحسن، والسُّدي(٢).

وقد بيَّن ابن تيمية أن المعنيين صحيحان(٣)، ولكن المعنى الأول هو الأرجح، ذلك أن قوله تعالى: ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ حذف فيه المفعول الأول لفعل (يخوِّف) بقرينة قوله تعالى بعده: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾، وتقديره يخوّفكم أولياءه؛ لأن فعل (خَوّف) يتعدّى إلى مفعولين إذ هو مضاعف خاف المجرّد، وخاف يتعدّى إلى مفعول واحد فصار بالتضعيف متعدّيًا إلى مفعولين من باب كَسَا، على غرار قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ (آل عمران: ٢٨)، ويعاضد هذا ويقويه قراءة ابن عباس

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان، رقم الحديث (٢٨١٣)، ص (١٠٨٣).

(2) انظر: (النكت والعيون): الماوردي (١/٢٦٤).

(3) انظر: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام): ابن تيمية (١٤/٢٠٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وابن مسعود: يخوفكم أولياءه، وضمير ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ يعود إلى أوليائه، بالإضافة إلى أن سبب نزول الآية بسبب تخويف المؤمنين من الكفار كما أشار سبحانه وتعالى في الآية التي تسبقها: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، فهذه الآيات إنما نزلت فيمن خوف المؤمنين من الناس، وقد قال تعالى: ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ قال قتادة: أي يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾[1]، وهذا الذي يميل إليه الباحث.

فتخويف الشيطان للمؤمنين نجد آثاره في واقعنا المعاصر، فكثيرٌ من المؤمنين لا يقومون بما أمر الله به من الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو عن الجهاد ومقارعة الأعداء وما ذلك إلا لتعظيم الشيطان أعداء الله في نفوسهم، فنجدهم يتقاعسون ويحجمون في كثير من الأحيان عن سبل الخير، وخاصة فيما يتعلق بجهاد اليهود الذين يغتصبون أرضنا المباركة، فنجد الشيطان ينفش الباطل ويصوره على أنه لا يهزم أبدًا، ولا يغلبه غالب، وأنه لا قِبَلَ لكم بهؤلاء الأعداء فهم كثيرو العتاد والعُدَة ولا قِبَلَ لكم بمواجهتهم، فلا يزال الشيطان يهوِّنُ شأن الأعداء في نفوسهم، ويوهمهم أنهم ذوو بأس وذوو شدة وما سيلاقونه هؤلاء الناس إن استجابوا لله ولرسوله، حتى يقعدوا ويثبطوا عن ممارسة الدعوة، والقيام بالواجب.

ولكن الله تعالى يكشف ويُجَلِّي الشيطان للمؤمنين على حقيقته الماكرة، والخادعة، ويعَرِّف المؤمنين على حقيقة مكره ووسوسته، ليكونوا منها على حذر، فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا يخافوهم، فالشيطان وأولياؤه أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى قوة الله الواحد القهار؛ لأن القوة الوحيدة التي تُخشى وتُخاف، هي القوة التي تملك النفع والضر، وهي قوة الله التي لا تقف أمامها قوة، لا قوة الشيطان ولا قوة أوليائه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(آل عمران: ١٧٥).[2]، والمؤمن إذا عرف أسلوب الشيطان في تخويفه للمؤمنين وتعظيم قوة الأعداء، فإنه سيمضي، وسيكتشف وهن وجبن الأعداء أمام من يستند ويعتمد على قوة الله تعالى، قال الله – عزَّوجــــلَّ-: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ .... قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر: ٣٦ – ٣٨)، قال ابن القيم:" فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم"[3].

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٣/٢٨١)، و(تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (١٢٨٣).
(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٢/٢).
(3) إغاثة اللهفان: (١١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا- التخويف من الفقر:

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(البقرة: ٢٦٨).

التخويف من الفقر من أساليب الشيطان التي يسعى من خلالها لترهيب الناس لكي يتركوا ما أمروا به ويترددوا عن القيام به، فبتخويف الشيطان منعوا الزكاة، وتعاملوا بالربا، واقترفوا جميع أنواع المحرمات، وبالخوف يدفعهم إلى وأد بناتهم كما في أيام الجاهلية، إذ خوفهم من العار والفضيحة التي ربما تصدر من البنت إن هي كبرت وانحرفت، ولهذا فإن هذا الأسلوب من أخطر أساليب الشيطان؛ لأنه يدخل من خلاله على نفوس الناس فيفسدها.

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾، ووعد الشيطان هنا تخويفه للمؤمنين من الإفقار، وضياع الأموال إن هم أنفقوا، وتصدقوا في سبيل الله تعالى، ولذلك يحذر الله تعالى المؤمنين من وسوسة الشيطان التي تأمرهم بالمعاصي، والآثام، وتغريهم بارتكابها والتي من أقبحها البخل الشديد والشح المهلك، فعلى المسلم أن يقاوم غريزة البخل، والشح لديه، وألا يخشى فقرًا بصدقة مالية يتصدق بها، لأن الله تعالى يعوض المنفق خيرًا، ويزيده من خيره وفضله، ويعاقب الممسك تلفا[(١)]، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله-ﷺ-: "ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا[(٢)]، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا"[(٣)].

وفي الآية لطيفةٌ جميلةٌ يشير إليها الإمام الخازن: وهي " أن الشيطان يخوف الرجل أولاً بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء، وهي البخل وذلك لأن البخيل على صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع الشيطان أن يحسن له البخل إلاّ بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر، فلهذا قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(البقرة: ٢٦٨) [(٤)].

---

(1) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٧٤٤)، و(التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٦١٨/١).

(2) خلفًا: الخلفُ: الخليفة بمَنْزِله مالٍ يذهب فيخِلفُ الله خَلَفًا، ووالدٌ يموتُ فيكون ابنه خَلَفًا له، أي خليفة فيقوم مقامه، وأخلف الله عليك: عوضك مما ذهب منك خلفًا، (انظر: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (٣٢٣/١).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الزكاة، باب: فأما من أعطى واتقى، رقم الحديث (١٤٤٢)، ص (٢٦٧)، ومسلم في صحيحة، كتاب الزكاة، باب: في المنفق والممسك، رقم الحديث (١٠١٠)، ص (٣٦٣).

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل (٣٠١/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن عطية: " والوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير، وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يقدر بالخير وبالشر كالبشارة وهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه وهو الفقر " (١).

من خلال وعد الشيطان للمؤمنين في الآية الكريمة، يتبين لكل ذي لب أن الشيطان لا ينصح أحدًا بخير ولا يدله على ما فيه صلاحه وخيره، وإنما يدل الناس على هلاكهم ويدفعهم لما فيه أذاهم دفعا، وإن بدا في بعض أساليبه ناصحًا أمينًا، يريد الخير للإنسان كما حدث مع سيدنا آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾(الأعراف: ٢١)، فهو ينصح المؤمنين بعدم الإنفاق، ويحذرهم الفقر إن هم أنفقوا، كما قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ فهو بذلك يحرمهم من الأجر العظيم، ويدفعهم إلى الجحيم دفعًا بمنعهم الزكاة التي من أركان الإسلام، ويغفلهم عن كون الصدقة والإنفاق لا تنقص من أموالهم شيئًا، كما بيَّن سبحانه وتعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١)، وكما أخبر النبي-ﷺ-: (ما نقصت صدقه من مال.....)(٢).

قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

ووعدَ الله –عزَّوجلَّ– عباده أنه بإنفاقهم الصدقات يُغفَر ذنوبهم، ويبارك لهم في أموالهم، أما الشيطان فيصدهم عن ذلك بالتخويف وبتزيين المعاصي، فيحرمهم المغفرة والأجر، والبركة في أموالهم.

قال الخازن: " فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة والفضل إشارة إلى منافع الدنيا، وما يحصل من الرزق والخلف"(٣).

وهذا ما بيَّنه –ﷺ– بقوله: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٣٦٣).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، رقم الحديث (٢٥٨٨)، ص (١٠٠٢).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٣٠١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ بالله من الشيطان) - ثم قرأ - ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾[1].

ومن هنا ينبغي على المسلم أن يقوي إيمانه بخوفه من الله تعالى؛ لأن الذي يخاف من الله لايخيفه الشيطان، ويكون خوفه من الله حاجزًا بينه وبين الشيطان، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(آل عمران: ١٧٥).

المطلب التاسع: التزيين:

مفهوم التزيين: الزَّيْنُ: نقيضُ الشَّيْنِ، زانه الحُسْنُ يزينه زَيْنا، وازدانتِ الأرضُ بعُشبِها، وازَّيَّنَتْ وتَزَيَّنَتْ، والزّينة جامعٌ لكُلِّ ما يتزيّن به[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ .. ﴾(يونس: ٢٤).

استعمال التزيين في القرآن الكريم:

الأولى: ما نسب إلى الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ ...وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ٥ .. ﴾(الحجرات: ٧). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾(النمل: ٤).

الثانية: ما نسب إلى الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩).

الثالثة: مالم يسمّ فاعلة.﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾(البقرة: ٢١٢)، وقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَأُوْلَٰٓئِكَ .. ﴾(آل عمران: ١٤).

فإن كان التزيين من الله تعالى فهو على وجهين:

الأول: قد يكون على جهة الامتحان والابتلاء، والثاني: قد يكون على جهة العقوبة مع الخذلان.

وإن كان التزيين من الشيطان فهو على جهة الوسوسة والكيد للإنسان[3].

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩).

---

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم الحديث (٢٩٨٨)، ص (٦٦٩)، صححه الألباني.

(2) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (٢/٩٢٩).

(3) انظر: (بحر العلوم): السمرقندي (١/٢٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الآية فيها دلالة واضحة على أن الإنسان الذي خلقه الله تعالى بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وخلقه في أحسن تقويم، حياةُ هذا الإنسان قائمة على الابتلاء كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢)، ومن ابتلاء الله تعالى للإنسان، ابتلاؤه بالشيطان الذي لا يغفل عنه البتة، فالشيطان حين أخرج من الجنة خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾(الحجر: ٣٤ – ٣٥).

حينها قال إبليس: ﴿..رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

و إبليس هنا يعترف بربوبية الله –عزَّوجلَّ–، ويعترف بأن الله خالقة، وخالق آدم، وخالق الكون كله كما في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(ص: ٧٦)، لذلك قال: ﴿....رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

والباء في قوله: (بِمَا أَغْوَيْتَنِي) هل هي للقسم؟ أي أقسم بإغوائك إيَّاي لأزينن لهم في الأرض، أم للسببية؟ أي بسبب ما أغويتني.

الباء تأتي في اللغة العربية للسبب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة: ١٣)، أي بسبب نقضهم، وهنا احتمالان قائمان، البعض يقول: إن الفعل لا يجوز الإقسام به، إلا إذا جاء بالصفة مثل قوله تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، وهي صفة من صفات الله –عزَّوجلَّ–، إنما بإغواء الله! ولذلك قالوا: لا، الباء للسببية، أي بسبب ما أغويتني: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، ولأغوينهم أجمعين، والضمير لذرية آدم، كما في قوله تعالى ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٦٢)[2]

تزيين الشيطان المعاصي للإنسان:

يُزَيِّنُ الشيطان للإنسان الشرك والمعاصي بجميع أحوالها وصفاتها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿...وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٤٣).

والتزيين لهم: إما بتحسين المعاصي لهم، وتحبيبها إلى أنفسهم، وإيقاعهم فيها، أو يشغلهم بزينة الدنيا عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيرها[3].

---

(1) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (١٢٢١/٢).

(2) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣٠٩/٩)، و (روح المعاني): الآلوسي (٥/١٠).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٠٣/١٧)، و(فتح القدير): الشوكاني (١٧٩/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بدأ الشيطان بالتزيين للعباد مذ كان سيدنا آدم في الجنة، فزيّن لآدم عليه السلام الأكل من الشجرة، وحسَّنها عنده فقال: ﴿...قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (طه: ١٢٠)، فسمَّاها شجرة الخلد، وهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحب النفوس مسمياتها(١).

وهذا الأسلوب الذي يسلكه ولا يزال يسلكه لإغواء العباد، فهو يظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ولا يزال يحسّن له الباطل ويُكَرهه بالحق حتى يندفع إلى فعل المنكرات ويعرض عن الحق، فيزيِّن المنكر حتى يصبح معروفًا، ويزيِّن المعصية حتى يغري الناس بها، ولا يشبعوا منها أبدا؛ لأن المعاصي كلما ازداد الإنسان منها شربًا كلما ازداد لها عطشًا، كما قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

تزيين الشيطان للأمم السابقة:

هذا ما فعلة الشيطان مع الأمم الكافرة، فقد زيّن لهم أعمالهم، وحسّنها في أعينهم، وحبَّبها إلى قلوبهم، قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(النحل: ٦٣)،وقوله تعالى:﴿...وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(الأنعام: ٤٣).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾(الأنعام: ١١٢).

نماذج للأمم التي زين لها الشيطان:

أولاً- عادٌ وثمودٌ، قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٨).

ثانيًا- قوم سبأ، قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾(النمل: ٢٤).

ثالثًا- كفار قريش، قال تعالى:﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(الأنفال: ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾(فصلت: ٢٥)

(1) انظر: (إغاثة اللهفان): ابن القيم (١١٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣٧).

فهؤلاء الأقوام وغيرهم وقعوا في غواية الشيطان من خلال تزيينه لمعاصيهم، وأعمالهم المنكرة، والمحرمة التي تخالف ما أمرهم به الله وما أمرهم به أنبياؤهم، فصدهم عن الهداية وأقفل نور البصيرة لديهم؛ فأصبحوا بطاعتهم للشيطان من الخاسرين.

ولذلك يقول ابن القيم – رحمه الله –: " وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم حتى يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عما تُحبُّه وتؤثره، فإذا عرفه استعان بها العبد ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك على إخوانه وأوليائه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضا، أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يخذل عن حاجته من دخل منه"(١).

من صور تزيين الشيطان:

إن الشيطان يزيِّن للإنسان الفعل الذي يضره، حتى يُخيل إليه أنه أنفع الأشياء له، ويُنَفِّره من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له، حتى يخيل له أنه يضره، فعلى سبيل المثال:

فهو يزيِّن عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، وفعل المنكرات، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في قالب التودد إلى الناس والتقرب إليهم، وتزيين النفاق، والمداهنة مع أعداء الله تعالى، وهكذا تتعدد صور تزيينه للمعاصي بتعدد صورها (٢).

المستثنون من تزيين الشيطان:

لقد وعد الشيطان أن يغوي العباد من خلال تزيينه لمعاصيهم فيوقعهم في شر أعمالهم، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩).

ولكنه عَلِمَ عِلْمَ اليقين، أنَّ الله –عزَّوجلَّ– لن يعطيه القدرة على إغواء جميع العباد؛ لأن منهم المخلصين والمصطفين، وكيده لا يعمل فيهم، ولذلك لم يرضَ أن يكون كاذبًا فلم يعطِ وعدًا كاذبًا، فيدعي أنه يستطيع أن يغوي جميع العباد، فاستثنى ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (الحجر: ٤٠)، أي: الذين أخلصوا لدينه، واصطفاهم الله –عزَّوجلَّ–، فهؤلاء لم ولن يستطيع إغواءهم(٣).

(1) إغاثة اللهفان (١/١١٢).
(2) انظر: (المرجع السابق): (١/١١٠).
(3) انظر: (مفاتيح الغيب) (٩/٣١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الإمام الشنقيطي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص: ٨٢ – ٨٣): " ذكر الله –عزَّوجلَّ– في هذه الآية الكريمة لما وعد أنه سيضل أكثر بني آدم، استثنى من ذلك عباد الله المخلصين، معترفًا بأنه لا قدرة له على إضلالهم"[1].

فاعتراف إبليس بَضعْفِهِ وقلة حيلته حيال المؤمنين المخلصين المتوكلين الملتجئين إلى الله من العباد، بيَّنها سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النحل: ٩٩ – ١٠٠).

فالآية السابقة تبين أن الله –عزَّوجلَّ– لم يجعل له سلطانًا على أحد من عباد الله المخلصين، بل سلطانه على من اتبعه باختياره، وهذا ما قاله إبليس نفسه يوم القيامة، يوم يتبرأ من أنصاره وأعوانه[2]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

فالمشركون، ومن سار على نهجهم هم من فتح المجال للشيطان بالتسلط عليهم بالإغواء وهذا ما بيَّنه أبو السعود في تفسيره بقوله: "وفيه مع كونه تحقيقًا لما قاله اللعين، تفخيمٌ لشأن المخلَصين وبيانٌ لمنزلتهم ولانقطاع مخالبِ الإغواء عنهم وأن إغواءَه للغاوين ليس بطريق السلطانِ بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارِهم"[3]، ولبعدهم عن ربهم وعدم تحصنهم بالإخلاص له سبحانه وتعالى، فقد جعل الله تعالى من إخلاص العبد له حماية ووقاية يقيه بها الله –عزَّوجلَّ– من إغواء الشيطان بعكس من لم يخلص لله تعالى ولم يجعل الله له سندًا ومعينًا.

فالشيطان قعد لبني آدم في طرقهم ووعد بإغوائهم، وقد صَدَّقَ وَعْدَه على من سلكوا له الطريق لإغوائهم ولم يُحصنوا أنفسهم منه، إلا انه لم يتمكن ممن ركن الإيمان في قلوبهم وتوكلوا على الله تعالى حق توكله وتقوَّوا بقوة إيمانهم وصدق نواياهم، وإخلاصهم لله، فهؤلاء لا يؤثر فيهم كيده لإغوائهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(النحل: ٩٩ – ١٠٠).

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/٢٧٧).
(2) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٩/٣١٣).
(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/٧٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا نرى الشيطان وإن بلغ مكره وكيده مهما بلغ فإنه في غاية الضعف الذي لا يستطيع أن يتسلط من خلاله على المؤمن المخلص بأي حال من الأحوال.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

نماذج قرآنية للساقطين في الغواية، والناجين منها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة نوح وامرأة لوط.

المطلب الثالث: قوم لوط.

المطلب الرابع: النمرود بن كنعان.

المطلب الخامس: فرعون.

المطلب السادس: قارون.

المطلب السابع: أصحاب السبت.

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.

المطلب التاسع: صاحب الجنتين.

المطلب العاشر: أصحاب الجنة.

المبحث الثاني: نماذج قرآنية للناجين من الغواية.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: مريم عليها السلام.

المطلب الثاني: امرأة فرعون.

المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.

المطلب الرابع: سحرة فرعون.

المطلب الخامس: مؤمن سورة ياسين.

المطلب السادس: أصحاب الكهف.

المطلب السابع: صاحب صاحب الجنتين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثامن: أصحاب الأخدود.

المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة لوط.

المطلب الثالث: قوم لوط.

المطلب الرابع: النمرود بن كنعان.

المطلب الخامس: فرعون.

المطلب السادس: قارون.

المطلب السابع: أصحاب السبت.

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.

المطلب التاسع: صاحب الجنتين.

المطلب العاشر: أصحاب الجنة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية:

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يمتحن خلقه، فأوجد الشيطان فتنةً واختبارًا لعباده، ليتبين خبيثهم من طيبهم؛ لأنه سبحانه وتعالى خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن، والطيب والخبيث، فلا بد أن يظهر ما كان في مادتهم، ففي الحديث عن أبي موسى-رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود، والسهل والحزن، والطيب والخبيث)(١).

فجعل سبحانه وتعالى الشيطان بغوايته محكًا يميز به الطيب من الخبيث، كما جعل أنبياءه ورسله محكًا لذلك التمييز، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

لذلك اقتضت حكمةُ الله تعالى التمايز بين البشر، منهم الذين استجابوا لله تعالى، وهؤلاء هم الذين نجوا من الغواية ومن الوقوع فيها،ومنهم الذين استجابوا للشيطان، وهؤلاء هم الذين سقطوا في الغواية.

ومعنى السقوط في الغواية: أي اسقطوا درجة اعتبارهم عند الله تعالى، وعند المؤمنين؛ وذلك بإسقاط أنفسهم بالبلايا القبيحة، استجابة للشيطان(٢).

يقول ابن القيم- رحمه الله-: " اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته، ومن لا يصلح وليمحص النفوس التي تصلح له، ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان؛ إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار، وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخول الجنة"(٣).

وسيبين الباحث في المبحثين القادمين نماذج من الذين سقطوا في الغواية، ونماذج للناجين منها

المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام:

إن أول ما خلق الله البشرية، حتى حصل الشرك في قوم نوح-عليه السلام-، وذلك عن طريق خدعة إبليسيه، حيث جاء إبليس إلى جيل، كان فيه خمسة من الصالحين وهم: (ودٌ و سواعٌ و يغوث ويعوق ونسرا)، فلما ماتوا وَسْوَسَ الشيطان إلى أتباعه، أن اعملوا تماثيل لهؤلاء الخمسة تذكركم بهم؛ فإذا نظرتم إليها اجتهدتم في العبادة،

---

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله -ﷺ-، باب: " ومن سورة البقرة، رقم الحديث(٢٩٥٥)، ص (٦٦٢)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٣٠).

(2) انظر: (الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية): نعمة الله النخجواني (٢/٢٣٧).

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد (١١/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلما مات هذا الجيل، وجاء جيل بعده، ولم يكن فيهم من يعلم لماذا عُمِلَتْ هذه التماثيل، فوسوس إليهم إبليس أن يعبدوها، وهكذا وقع الشرك، وتفشى، وعُبِدَت الطواغيت من دون الله تعالى وشرعَ الناس في الضلالة والكفر[١]، أرسل الله نوحًا-عليه السلام-، فكان أول رسول بُعث على أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف يوم القيامة: (... يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض...)[٢].

فهو أول رسول، وكان من قبله أنبياء، وقد سلك نوح -عليه السلام-سبيل الدعوة سرًا وجهارًا، ليلاً ونهارًا، وفي جميع الأحوال المختلفة، لكن لم يستجب له إلا نفرًا قليلاً من قومه رغم كل محاولاته التي أفنى عمره وهو يدعوهم إلى التوحيد بالترغيب، والترهيب، وبالمناظرات، وفي النهاية قالوا لَإن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين.

ولمَّا أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، كان قد مكث في قومه وهو يدعوهم نحو تسعمائة وخمسين عامًا، وهو ما يرى إلا جيلاً كافرًا بعد جيل، يوحي بعضهم بعضًا بالكفر والعناد، ولن يلدوا إلا فاجرًا كفارًا، دعا دعوة غضب لله فقال الله- تعالى- على لسان نوح-عليه السلام-: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦ – ٢٧).

و نادى نوحٌ ربه، فاستجاب الله دعوته فقال-تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ (الصافات: ٧٥ – ٧٦).

وكانت النجاة بصناعة السفينة بأمر من الله تعالى، فهي ليست اختراعًا من بني البشر، لكنها تعليم من الله تعالى، كما في قوله: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (هود: ٣٧).

وقد كان هناك مواعده من الله لنوح-عليه السلام-، وهي إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فاعلم أن الهلاك قد جاء لقومك فاركب السفينة أنت ومن معك، واحمل فيها من كل زوجين اثنين، أي من الحيوانات والطيور، وغيرها ليبقى النسل، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(هود: ٤٠).

وقد سبقت كلمة الله تعالى أنه سيبقى في بيت نوح-عليه السلام- كفارٌ، منهم زوجته المذكورة في سورة التحريم، وابنه المذكور في آخر هذه القصة[٣].

---

(1) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٤٢١/٥).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ..)، رقم الحديث(٣٣٤٠)، ص (٦١٠).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير(٣٢٠/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولمَّا صعد نوح ومن معه في السفينة ناداهم نوح-عليه السلام- كما في قوله- تعالى-: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (هود: ٤١).

أي: باسم الله وبركته تجري على سطح الماء، وباسم الله يكون منتهى سيرها، وقد ذكر المغفرة والرحمة في هذا المقام، وهو وقت الإهلاك والغرق، لعلهم اعتقدوا في قرارة أنفسهم، أنهم نجوا ببركة علمهم، فالله تعالى نبههم لإزالة العجب منهم؛ فإن الإنسان في جميع أحواله محتاج إلى إعانة الله وفضله حيث أشعرهم بفضله ورحمته على عباده المؤمنين الذين نجاهم(١).

فلمَّا بدأت السفينة تسير فوق الأمواج العظيمة التي تشبه الجبال في ارتفاعها، نادى نوح ابنه كما أخبر تعالى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾(هود: ٤٢ – ٤٣).

وكان ابن نوح-عليه السلام- منعزلاً(٢) في ناحية، قال ابن عاشور: " فِي مَعْزِلٍ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِمَّا لِأَنَّهُ كَانَ لَمْ يُؤْمِنْ بِنُوحٍ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَلَمْ يُصَدِّقْ بِوُقُوعِ الطُّوفَانِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ ارْتَدَّ فَأَنْكَرَ وُقُوعَ الطُّوفَانِ فَكَفَرَ بِذَلِكَ لِتَكْذِيبِهِ الرَّسُولَ"(٣).

وفي كلا الحالتين فإنه أصبح كافرًا، إذ طالبه نوح-عليه السلام- بالإيمان والركوب معه، حتى لا يغرق ويكون مع الكافرين الهالكين.

غير أن هذا الابن الجاحد العاق رد على نوح قائلاً: سآوي إلى جبل يحفظني من الغرق في الماء، ظنًا منه أنه سيل عادي، يمكن النجاة منه بالتحصن في مكان عال أو جبل شامخ، فأجابه نوح عليه السلام: لا شيء يعصمك من أمر الله وعذابه الذي يعاقب به الكافرين إلا من رحمه الله من الهلاك، فعصى الابن ربه، وعقَّ أباه، فحال بينهما الماء الذي بدأ بالارتفاع شيئًا فشيئًا، فكان من المغرقين المهلكين(٤).

---

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٨/٤١١).

(2) المعزِل: بكسر الزاي وهو اسم مكان العزلة، وأصله من العزل وهو التنحية والإبعاد. (الكليات: أبو البقاء الكفوي ١/١٤٠٦).

(3) التحرير والتنوير (١٢/٧٦).

(4) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (٢/١٠٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: امرأتا نوح ولوط عليهما السلام:

هذان نموذجان من نماذج السقوط في الغواية، والذي يتمثل في خيانة الدين، وذلك بمخالفة الأنبياء وتعاليم السماء، التي جاءوا بها، وهذا ما كان من امرأتي النبيين الكريمين، نوح ولوط عليهما السلام، وقد ذكر الله تعالى فعلتهما، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾(التحريم: ١٠).

لقد ضرب الله تعالى في الآية السابقة مثلاً للعبرة والاتعاظ، وذلك بخيانة صادرة من زوجتي نبيين كريمين (نوح ولوط) عليهما السلام، وقد جاء اللفظ القرآني يعبر عن فعلة المرأتين بلفظ " الخيانة" (فخانتاهما).

أقوال المفسرين في الخيانة التي وُصفت بها زوجتا نوح ولوط عليهما السلام:

قيل: أن خيانتهما كانت بالكفر، أي في مخالفتهما للنبيين الكريمين في الدين؛ إذ كانتا مشركتين.

وقيل: كانت امرأة نوح-عليه السلام- تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط-عليه السلام- تخبر بأضيافه.

وقيل: كانت امرأة نوح-عليه السلام- تطلع الكفار على أسراره، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة بذلك، وقيل: كانتا منافقتين، وقيل: خيانتهما النميمة؛ إذا أوحى الله إليهما شيئًا أفشتاه إلى المشركين.

وقيل: كانت امرأة لوط-عليه السلام- إذا نزل به ضيف دخنَّت؛ لتعلمَ قومها أنه قد نزل به ضيف؛ لما كانوا عليه من إتيان الرجال[(١)].

وقد أجمع المفسرون على أنه لا يقصد بخيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام خيانة العرض، فلم تزن امرأة نبي قط، وإنما هي خيانة الدين، وذلك لأن تصور خيانتهما في العرض ينفر من صاحب الرسالة، وينسب إليه النقص، وهو ما يتعارض مع أداء الرسول وتبليغ رسالة ربه[(٢)]، والذي يَهمُ الباحث هنا أنهما وقعتا في الغواية بكفرهما وبانسلاخهما عن القيم الإيمانية؛ لتنْضمَّان إلى قيم الوثنية، فكانت عاقبه سقوطهما الهلاك.

وهذا كان نتاج وقوعهما في الغواية، فاستحقتا عقاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، فقد نجَّى الله تعالى النبيين الكريمين، وأهلك من كان كافرًا من قومهما، ولم يسلم من ذلك العقاب والإهلاك امرأتهما، قال تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود: ٤٠).

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٤٩٧/٢٣)، و (النكت والعيون): الماوردي (٤٦/٦)، و(مفاتيح الغيب): الرازي (٤٤/٣٠)، و(الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢١٠/١٨) و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٧٠/٨).

(2) انظر: (معالم التنزيل): البغوي (١٧٠/٨)، و (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٢٦٨/١٧)، و(أضواء البيان): الشنقيطي(٢٢٤/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي حق عليه القول، وشاء الله تعالى له الشقاوة والهلاك، امرأة نوح وابنه وكانا كافرين [١].

وقال عن لوط عليه السلام: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف: ٨٣)، ومعنى كانت من الغابرين: أي كانت من الهالكين[٢].

ومن هنا يتبين للباحث أن الرابطة المنجيَّة من الهلاك والعقاب، هي رابطة العقيدة والإيمان، وأن كل الروابط ما عدا هذه الرابطة لا قيمة لها عند الله، ولا تغني عن صاحبها شيئًا؛ فإذا اختلت رابطة العقيدة فلا رابطة، وقد بيَّن الله تعالى أن جميع جهات القرابة لا تنفع مع الكفر، لا زوجه مع زوجها، ولا ولد مع والده، ولا والد مع ولده، كما يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(الشعراء: ٨٨ – ٨٩).

وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لمَّا نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤).

قام رسول الله –ﷺ– على الصفا، فقال: " يا فاطمةُ بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يابني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم"[٣].

وبهذا يتبين لكل مسلم أن أحدًا لا يملك نفع أحدٍ يوم القيامة، ولو كان أقرب قريب، إلا بالإيمان، وبما يكرمُ الله به من شاء بالشفاعة[٤].

المطلب الثالث: قوم لوط:

لقد أرسل الله تعالى لوطاً عليه السلام إلى أهل سدوم الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى، وكانوا يقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون.

فلقد ابتدع قوم لوط فاحشة لم يسبقهم إليها أحدٌ من العالمين، وهي إتيان الذكران من العالمين، قال تعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (العنكبوت: ٢٨ – ٣٠)،

---

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم): أبو السعود (٢٠٨/٤).

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (٣٧٠/٥).

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين)، رقم الحديث (٣٥٠)، ص (١٠٠).

(4) انظر: (أضواء البيان): الشنقيطي(٢٢٤/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقطع السبيل: أي قطع الطريق، وذلك بالتصدي للمارين فيه بأخذ أموالهم أو قتل أنفسهم أو إكراههم على الفاحشة؛ إذ كانوا يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه، فقطع الطريق فساد في ذاته، وهو أفسد في هذا المقصد.

وأما إتيان المنكر في ناديهم فإنهم جعلوا ناديهم للحديث بأقبح الكلام أمام بعضهم بعضا، وبالتظاهر في تزيين الفاحشة زيادة في فسادها وقبحها لأنه معين على نبذ التستر منها ومعين على شيوعها في الناس[1].

وفِعلة قوم لوط الشنيعة المنكرة لم يفعلها قوم قبلهم قط، فهم أول من سنَّ هذه السُّنة السيئة، فوصلوا إلى ما وصلت إليه البهائم، بل أحط من البهائم كما قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

فالله تعالى جعل الرجل يشتهي المرأة، والمرأة تشتهي الرجل، فهذه فطرة الله تعالى؛ إذ هي النظام الذي أوجده الله تعالى في كل مخلوق[2]، وقوم لوط خالفوا فطرة الله تعالى، وهذا ما أثار استغراب لوط عليه السلام من فعلتهم، قال تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿....أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴾ (الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦)، بل أخذوا يستهزئون بنبي الله لوط عليه السلام بقولهم: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾(النمل: ٥٤).

فرد قوم لوط دعوة نبيهم لهم بالعفاف، بالتآمر عليه، وبإخراجه من بين أظهرهم؛ لأنه بدعوته إياهم يعكر صفو شهواتهم وملذاتهم، فلا يصلح لمجاورتهم[3]؛ لأنه بنظرهم جريمة كبرى.

فاستمر قوم لوط عليه السلام بفحشهم وشذوذهم الجنسي، وفسادهم في الأرض، ولوط يدعوهم إلى الله تعالى، فلم يؤمن في تلك القرية الظالم أهلها إلا ابنتاه، حتى زوجه لم تؤمن بل كانت كافرة، وكان لوط عليه السلام إذا جاءه ضيوف من الرجال يخفيهم، وكان يحذرهم من دخول القرية، وهذا ما أغضب هؤلاء الفجرة، وهددوه بالطرد من الأرض هو ومن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴾(الشعراء: ١٦٧).

فلم يبالِ سيدنا لوط–عليه السلام– بتهديدهم ووعيدهم، وهذا ديدن الكفرة في كل زمان ومكان؛ إذ يتوعدون ويهددون أنبياء الله تعالى وعباده الصالحين بالأسر، والرجم، والقتل، والطرد والإبعاد، واستمر لوط في دعوته، وفي تلك الأحيان كانت رسل الله قد وصلت لسيدنا إبراهيم عليه السلام في فلسطين لتبشره بالولد، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ.... ﴾ (هود: ٦٩)، ثم بيَّن هؤلاء الرسل لسيدنا

---

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٤٨٨/١٠).

(2) انظر: (المرجع السابق) (٧١/١١).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٢٠٠/٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إبراهيم عليه السلام، أنهم ذاهبون لتدمير وإهلاك قرية لوط عليه السلام، ورسل الله تعالى، هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وقيل كانوا تسعة، وقيل كانوا أحد عشر[1].

فأخذ إبراهيم عليه السلام يجادل رسل الله كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (هود: ٧٤ – ٧٦).

والمجادلة التي حصلت بين إبراهيم والملائكة الذين أرسلوا لإهلاك قوم لوط، قد حكاها – سبحانه – في سورة العنكبوت في قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ ﴾ أي: القرية التي كان يسكنها قوم لوط، ﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣١-٣٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ بيانٌ من الله تعالى للدواعي التي حملت إبراهيم عليه السلام لمجادلة رسل الله من الملائكة في شأن إهلاك قوم لوط[2]، ولم تكن المجادلة ردًا لأمر الله تعالى، ولكن طلبًا للإمهال لعلهم يؤمنون[3]، وخوفًا على لوط –عليه السلام– ومن معه من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الذاريات: ٣١ – ٣٧).

والحليم: أي الذي يتحمل من آذاه ولا يتسرع إلى مكافأته[4].

والأوّاه: كثير الدعاء [5]، وقيل: كثير التأوّه من خوف اللّه [6].

والمنيب: هو كثير الرجوع إلى طاعة الله تعالى، وإبراهيم عليه السلام كان راجعًا إلى الله تعالى في أموره كلها[7].

ولهذا قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (هود: ٧٦).

---

(1) انظر: (المرجع السابق) (٤٨٠/٧)، و (فتح القدير): الشوكاني (٧٣٦/٢).

(2) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٢٤٣/٧).

(3) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ محمد متولي الشعراوي (٤٢٤٧).

(4) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف): البيضاوي (١٠٩/٣).

(5) انظر: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): الطبري (٥٢/١١).

(6) معاني القرآن: الفراء: (٢/ ٢٣)، وتفسير غريب القرآن: ابن قتيبة (١٩٣).

(7) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٦٤/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمقصود بأمر الله هنا، عذابه سبحانه وتعالى وإنه آتٍ قوم لوط لا محالة، وأنه لا مَرَدَّ له، وقد بيَّنه سبحانه وتعالى في مواضع متعددة من كتابه العزيز[1]، قال –تعالى–:﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(هود: ٨٢ – ٨٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (الحجر: ٧٤ – ٧٥).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(الشعراء: ١٧٢ – ١٧٥)، إلى غير ذلك من الآيات التي تتحدث عن أمر الله –عزَّوجلَّ–.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾(هود: ٧٧).

انطلق رسل الله من عند إبراهيم عليه السلام قاصدين لوطًا –عليه السلام– على هيئة غلمانٍ مرد حسان الوجوه، لذلك ﴿ سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ أي ساءه مجيئهم لظنه أنهم أناسٌ فخاف أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم، فلما مشى معهم منطلقًا بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمرُ هذه القرية؟ قالوا: وما أمرُها؟ قال: أشهد بالله إنها لشرُّ قريةٍ في الأرض عملاً، فدخلوا منزله ولم يعلم بذلك أحدٌ فخرجت امرأته فأخبرت به قومها، وقالت: إن في بيت لوطٍ رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قط[2]، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٣٣).

فلوط عليه السلام لا يريد أن يُفضح في ضيفة، وهو لا يعلم حقيقتهم، ويعلم حقيقة قومه، القوم الخبثاء، الذين شذت شهواتهم وأخلاقهم.

فأتوا بابه مسرعين يطرقون بابه، يريدون اقتحام البيت، كما قال تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ (هود: ٧٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ (الحجر: ٦٧ – ٧٢).

قال لهم لوط عليه السلام: ماذا تريدون، قالوا نريد الرجال الذين معك، يا لوط ألم ننهك عن العالمين، ألم ننهك أن تصدَّ عنا الرجال وتخفيهم عنَّا، قال لوط:﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٢/١٨٧).

(2) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود(٣/٣٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، ولكنه عليه السلام لم يجد في قومه رجلاً رشيداً ولا حليماً، لذلك وصف الله تعالى قوم لوط بقوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهذا القسم، إما أن يكون من الله بحياة النبي -ﷺ-، أو من الملائكة بحياة لوط عليه السلام، والمقصود بسكرتهم: أي إنهم في غوايتهم أو شده سكرتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب.

يعمهون: أي يتحيرون ويتمادون، فكيف يسمعون النصح، ويلتفتون إلى نصيحتك[1].

فلمَّا ضاقت الدنيا بلوط-عليه السلام- رفع يديه إلى السماء، وآوى إلى الله تعالى إلى ركن شديد، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾(هود: ٨٠)، قال النبي-ﷺ- وهو يقرأ هذه الآيات: (يغفر الله للوط، إن كان يأوي إلى ركن شديد)[2].

قال ابنُ عبَّاس:" فلمَّا علم جبريل والملائكةُ خوف لوط من تهديد قومه، وقد كان لوط-عليه السلام- أغلق الباب على نفسه وعلى الملائكة، وهو يناشدُ قومَه، قال له جبريل: يا لوط إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذابٌ غيرُ مردود"[3]، فقالوا للوط عليه السلام: ﴿... يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: ٨١).

يقول الرازي رحمه الله: " فلما رأت الملائكة تلك الحالة بشروه بأنواع من البشارات.

أحدها: أنهم رسل الله.

ثانيها: أن الكفار لا يصلون إلى ما همّوا به.

ثالثها: أنه تعالى يهلكهم.

رابعها: أنه تعالى ينجيه مع أهله من ذلك العذاب.

خامسها: إن ركنك شديد وإنَّ ناصرك هو الله تعالى"[4].

حينها اطمأن لوط -عليه السلام- لمَّا علم أنهم رسل الله، استعجل العذاب على قومه من شدة ما بهم من خبث، وفحش، فقالت له الملائكة ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ (الحجر: ٦٦).

---

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣٢٦/٩)، و (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود (٨٧/٤).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبصِرُونَ)، رقم الحديث (٣٣٧٥)، ص (٦١٩).

(3) معالم التنزيل: البغوي (١٩٢/٤).

(4) مفاتيح الغيب: الرازي (٤٤٩/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فخرج إليهم جبريل عليه السلام، لتبدأ أنواع العقوبات لقوم لوط المجرمين، وهم لا يعلمون ماالذي ينتظرهم، قال تعـــالى: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ (القمر: ٣٧ – ٣٩).

قال أكثر المفسرين: إن جبريل –عليه السلام–مسح بجناحيه، وقيل بجناحٍ من أجنحته على وجوههم، فعموا جميعًا، كما قال الله– تعالى–: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾فصاروا لا يعرفون الطريق، وأخذ بعضهم يجول في بعض[(١)]، وهذه العقوبة الأولى لقوم لوط–عليه السلام– وهي طمس الأبصار.

ثمَّ قالوا للوط–عليه السلام–: أن أسر بأهلك بقطع من الليل، وقد بين الحق سبحانه وتعالى في سورة القمر المقصود بقطعٍ من الليل، وهو آخر الليل، قال–تعالى–: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾(القمر: ٣٤).[(٢)]

قال– تعالى–: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ أي: ولا يلتفت منكم أحدٌ خلفه، حتى لا يرى العذاب المروع النازل بالقوم المجرمين؛ وإنما أمرهم الله –عزَّوجلَّ– بعدم الالتفات إلى الخلف؛ لأن عادة من ترك وطنه أن يلتفت إليها عند مغادرته حنينًا إليها[(٣)]. إلا امرأتك فإنها من جمله الهالكين.

وبدأ ترادف وتتابع العذاب على قوم لوط–عليه السلام–فبعد طمس أبصارهم، أخذتهم الصيحة: وهي ما جاءهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وتزامنًا مع رفع بلادهم إلى عنان السماء[(٤)]، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾ (الحجر: ٧٣).

وقد خُسف بقرى لوط–عليه السلام–، فقلب عليهم جبريل عليه السلام ديارهم لقلبهم فطرتهم وطبائعهم، وأمطرهم الحق سبحانه وتعالى بحجارة من سجيل منضود كتلك التي أُمطرت على أصحاب الفيل، وقد أخبر سبحانه وتعالى أن هذه الحجارة معلَّمة عليها علامة العذاب[(٥)] كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾(هود: ٨٢ – ٨٣).

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٢٢/٥٩٨)، و (الكشاف): الزمخشري (٣/١١٠)، و(مفاتيح الغيب): الرازي (١٥/١٨).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي(٢/١٩٠).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٧/٢٥١).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٨/٣٢٠).

(5) انظر: (تفسير الشعراوي): محمد متولي الشعراوي (٤٨٠٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا وعيد من الله تعالى لكل من سقط في وحل غواية قوم لوط، فهو مرشح أن يصيبه ما أصابهم كما قال تعالى: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود: ٨٣).

المطلب الرابع: النمرود بن كنعان:

هذا نموذج آخر للساقطين في الغواية، ومثالاً للتكبر والجحود والعصيان وادعاء الربوبية من دون الله تعالى، فالنمرود لم يسبقه أحد من العالمين في جحوده وتجبره على الخلق، حيث عمَّ في زمانه الكفر وطمَّ؛ إذ كان قومه يتقلبون في دياجير الجهل والضلالة منذ عبادتهم للأصنام والكواكب التي لا تسمع ولا تبصر ولا تملك لهم نفعًا ولا ضرًا، فاستخف النمرود قومه فنصَّبَّ نفسه إلهًا من دون الله تعالى، داعيًا قومه إلى عبادته، فما كان منهم إلا أن أجابوه وأطاعوه[١].

وقد نشأ إبراهيم في هذا المحيط الكافر، وقد أعطاه الله الحجة والبرهان ما يخرس به أفواه الكفرة المعاندين، فابتدأ إبراهيم –عليه السلام– بنفسه وبأبية ومع هذا الجبار المعاند النمرود، وقد سجل القرآن ما دار بين إبراهيم –عليه السلام– وهذا الجبار من مناظرة أدت إلى إفحام وإسكات النمرود، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، وقوله: (أَلَمْ تَرَ) قال الفراء: " بمعنى هل رأيت أي: هل رأيت الذي حاجَّ إبراهيم، وهو النمرود بن كوش بن كنعان"[٢]، وقوله: (إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) المحاجَّة التي ذكرها الله تعالى بين إبراهيم عليه السلام والنمرود هي المخاصمة[٣]، وقوله: (أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) أي: "لأن آتاه الله، أو من أجل أن آتاه الملك، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو، فحاج لذلك، أو على أنه وضع المحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر " [٤]، وقوله تعالى: (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ).

---

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٣/٤٦٢).
(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٣/٢٧١).
(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (١/٥٩٢).
(4) فتح القدير: الشوكاني (١/٣٧٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الإمام الطبري: " يعني بذلك ربي الذي بيده الحياة والموت، يحي من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء"[1].

والإحياء والإماتة عند النمرود فسرها أكثر المفسرين: أن النمرود يُحْيي من وجب عليه القتل بالتخلية والإبقاء، فجعل ترك القتل إحياءً له، ويميت من يقتله من غير سبب يوجب القتل[2].

لقد بيَّن إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد؛ لكن النمرود بكفره وعناده أوَّلَ الإحياء بالعفو والإبقاء، وأَوَّلَ الإماتة بالقتل وإزهاق الروح؛ فكان هذا جوابًا أحمقًا لا يصح نصبه في مقابلة حجة إبراهيم عليه السلام لذلك انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى لا تتيسر فيها المغالطة من النمرود كما حصل معه في الأولى لمَّا ادعى المعاندة والمكابرة، قال له إبراهيم عليه السلام: **(فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ)**.

أي: إذا كنت تدَّعي أنك تُحي وتميت، فالذي يُحيي ويميت قادر على التصرف في الوجود وتسخير كواكبه وحركاته، فالشمس تشرق كل يوم من المشرق، وتغرب من المغرب؛ فإن كنت حقًا كما تدعي فأت بها من المغرب[3].

وكما في صحيح مسلم من حديث أبى ذر الغفاري –رضي الله عنه– أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ يَوْمًا: (أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟): قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ لَهَا ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: (أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟) ذَاكَ حِينَ ﴿**لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا**﴾ (الأنعام: ١٥٨).[4]

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٤٣٢/٥).

(2) انظر: (النكت والعيون): الماوردي (٣٢٩/١)، و(معالم التنزيل في تفسير القرآن): البغوي (٣١٦/١)، و(الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٧٠/٣)، و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٦٨٦/١).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٦٨٦/١).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم الحديث (٢٥٠)، ص(٧٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، أي بعد عجز النمرود عن معارضة إبراهيم عليه السلام، وعلمه القاطع بأنه لا يقدر على المكابرة، بهت وانقطع عن الكلام وتحير، وختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي لا يلهمهم ولا يرشدهم الحجة والبرهان والبيان عند مخاصمتهم ومحاجتهم لأهل الحق لما هم عليه من الضلال والكفر[١].

وقد ذكر الله تعالى حال هؤلاء المعاندين المتكبرين ممن جحدوا وحدانية الله تعالى رغم الدلائل الواضحة كالنمرود وأمثاله، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الحج: ٣-٤).

قال ابن كثير:" يقول تعالى ذامًا من كذب بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، معرضا عما أنزل الله على أنبيائه، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد"[٢].

وهذا حال هؤلاء المعاندين يتركون ما أنزل الله من الدلائل البيِّنات، ويتبعون شياطين الإنس والجن والمريد في قوله تعالى﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ هو الْعَاتِي، تَقُولُ: مَرُدَ الرَّجُلُ - بِالضَّمِّ - يَمْرُدُ، فَهُوَ مَارِدٌ وَمَرِيدٌ: إِذَا كَانَ عَاتِيًا[٣].

والآية الكريمة تتناول كل من اتصف بهذه الصفة، أي في الجدال الباطل، ولقد أبان الحق نهاية كل من اتَّبع الشيطان، وهو أنه قضى على من اتَّبع الشيطان وجعله وليًا من دون الله تعالى أن يوقعه في الضلال، ويدله على الطريق المؤدية إلى النار، وهذا وعيد من الله تعالى لكل من اتَّبع الشيطان أن يضله في الدنيا، وأن يخزيه في الآخرة، وتحذيرٌ من الانسياق مع وساوسه وأباطيله[٤].

نهاية النمرود:

إن الناظر إلى صفحات التاريخ ليرى كيف كانت نهاية هؤلاء الظالمين، أمثال النمرود، وأشباهه الذين تجبروا وتكبروا وطغوا، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة.

فلقد كان النمرود أول من تجبر في الأرض ولم يسبقه إلى فعلته الشنيعة أحد، ولقد ذكر أهل التفسير أن الله –عزَّوجلَّ– ابتلى النمرود بذبابةٍ، دخلت رأسه، وجعلت تطن وهو يحاول إخراجها، لكن دون جدوى، فما كان منه إلا أن أمر عبيده أن يضربوا رأسه بالنعال، فمكث أربعمائة عام في ملكه ومكث مثلهن في تعذيب الله له

(1) انظر: (بحر العلوم): السمرقندي (٢١٤/١).
(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٣٩٤/٥).
(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي (٢٦٤/٤).
(4) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (١٦٢٥/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلال ضربه بالنعال على رأسه، وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه؛ حتى أماته الله– تعالى– ميتةً لا تخلو من الإذلال، فالنمرود ادَّعى إحياء الموتى، وقد عجز أن يميت ذبابه على صغر حجمها وقربها منه [(١)].

ولقد صدق الله في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ (المجادلة: ٢٠)

فأي ذُلٍ لحق بالنمرود، لقد ذلَّه الله تعالى وجعله لمن خلفه عبرةً وآية، فأيُ إلهِ هذا الذي يضرب بالنعال قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الجاثية: ٣٦ – ٣٧).

المطلب الخامس: فرعون:

نموذج آخر للساقطين في الغواية يحدثنا عنه القرآن الكريم متمثلاً بفرعون وقد زاد على من سبقه ممن سقط في الغواية بادعائه الإلوهية والربوبيةَ على حدٍ سواء.

وفرعون لقب لكل ملك من ملوك مصر في ذلك الزمان، كقيصر ملك الروم، وكسرى ملك الفرس[(٢)].

ولقد وصف القرآن الكريم فرعون بالعديد من الأوصاف منها الاستكبار، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (يونس: ٧٥)

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ (المؤمنون: ٤٥ – ٤٦).

قال الآلوسي: "وأصل الاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله بل بمعنى عد نفسه كبيرًا واعتقاده كذلك وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن مآله محض الطلب بدون حصول المطلوب"[(٣)].

ومن الصفات التي وصف الله بها فرعون: العلو، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (يونس: ٨٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤).

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٤٣١/٥)، و(فتح القدير): الشوكاني (٣٧٦/١).

(2) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٨٩/١)، و (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٤٠٢/٥).

(3) روح المعاني (٣٤٨/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد ذكر سبحانه وتعالى في الآية الكريمة مدى العلو والتكبر والتجبر والطغيان الذي كان يمارسه فرعون ببني إسرائيل، والعلو بمعنى الارتفاع، والمعنى هنا: أن فرعون جاوز كل حدٍ في غروره وظلمه، وعدوانه، فاستعلى على رعيته، وعلى وزرائه، وعلى الله –عزَّوجلَّ–، وهذا منتهى الاستعلاء، ومنتهى الطغيان والتكبر.

حيث جعل أهلها شِيعاَ، جمع شيعة: وهي الطائفة التي لها استقلال خاص، وقد جعل الناس طوائف، وأصبح يستخدم كل طائفة منهم على حده فيما يريده من أمور دولته، فهذه الطائفة للبناء، وتلك للسحر، وثالثه لخدمته ومناصرته فيما يريد، وأخرى يسلط بعضها على بعض، ويسخِّر بعضها لبعض(1).

وهذا الفعل ينافي ادعاءه للإلوهية، وهو دليل واضح على بطلان ما ادعاه فرعون لنفسه من ادعاء الربوبية والألوهية؛ لأن المألوهين ينبغي أن يكونوا عند الإله سواسية، لذلك يقول الله تعالى في معرض حديثه عن النبوات، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

ذلك؛ لأن دين الله واحد، وأوامره واحده للجميع وهذا ما كان نقيضه عند فرعون(2)

ثم فسر سبحانه وتعالى الاستضعاف الذي لحق ببني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤)، وقد سمى الله –عزَّوجلَّ– هذا استضعافًا؛ لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم بشتى الوسائل(3).

وقد ترتب على قتل فرعون للذكور واستبقاءه للإناث مفاسد خطيرة، أذكرها من وجوه عده:

أحدهما: أن ذبح الأبناء يقتضى فناء الرجال، وذلك يقتضى انقطاع النسل.

ثانيها: أن هلاك الذكور يقتضى فساد مصالح النساء في المعيشة؛ فإن المرأة لتتمنى الموت إذا انقطع عنها تعهد الرجال.

ثالثها: أن قتل الذكور عقب الحمل الطويل، وتحمل الكد، والرجاء القوى في الانتفاع به، من أعظم العذاب.

رابعها: أن بقاء النساء بدون الذكران من أقاربهن، يؤدى إلى صيرورتهن مستفرشات للأعداء، وذلك نهاية الذل والهوان.(4)

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: سيد طنطاوي (٣٧٥/١٠).

(2) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٦٨١٦/١).

(3) معالم التنزيل: البغوي (١٨٥/٦).

(4) انظر (مفاتيح الغيب): الرازي (٤٣١/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الصفات التي وصف القرآن بها فرعون، الفساد، حيث كان فرعون رمزًا للفساد، وأي فساد أعظم من ادعاء الإلوهية من دون الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (القصص: ٣٨).

وقد بيَّن الحق سبحانه وتعالى صورًا من إفساد فرعون في قومه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤)، فذيلت الآية الكريمة بوصف شامل لفرعون بأنه من الراسخين في الإفساد، وما ذاك إلا لإجترائه على قتل من لا ذنب لهم، وهذا الصنيع لا يكون إلا من أهل الإفساد، وهذا ما بينَّه سبحانه وتعالى في سورة الفجر حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾(الفجر: ١٠ – ١٤)، فالطغيان والبغي يولد معه الفساد والظلم، فلما أكثروا الفساد، كان العلاج تطهير وجه الأرض من الفساد[1] كما قال تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾، وهذه الصورة تتكرر مع كل حاكم ظالم، وهي أوضح ما تكون في الوجه البشع لطواغيت العرب، الذين كشف الربيع العربي زيفهم وحقيقتهم، حينما استمرءوا القتل في شعوبهم، فأتى الله بنيانهم من القواعد.

ومن إفساد فرعون قلب الحقائق لدى الناس عن طريق إغداق الأموال للسحرة ورعايتهم والإنفاق عليهم؛ لسحر عقول الناس، وقد بيَّن سبحانه وتعالى أن هذا من عمل المفسدين كما قال تعالى:

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٨١).

ومن إفساده كفره وتكذيبه بآيات الله –عزّوجلّ–، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف: ١٠٣).

وغيرها من الصفات التي التصقت بفرعون نتيجة أفعاله وتصرفاته، وهذا ينطبق على كل فراعنة عصرنا الذين أثبتوا أنهم على درب سلفهم الأول فرعون، ولكن سنتعرف على النهاية الحتمية التي آل إليها فرعون والتي تنتظر فراعنة هذا الزمان.

ففرعون لمَّا ظن أنه استغنى عن الناس بملكه للثروة، والمال، والجاه والسلطان، وظن أنه ليس في حاجة إلى غيره؛ ادعى الربوبية والإلوهية، فقال: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(النازعات: ٢٤)، وقال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص: ٣٨).

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣٤/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد غاب عن فرعون أن هذه الحياة فانية وإلى زوال وأنه سيرجع إلى الله تعالى، فما كان منه إلا أن توعد كل من اتخذ إلها غيره بالعذاب الشديد، فقال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩).

ووصل الغرور الموهوم بفرعون، الذي غرته الحياة وبهارجها؛ بأن ينادي في قومه ليقنعهم بأن ما فيه من النعيم هو حقيقة لا خيال ولا وهم ودليل راسخ على ألوهيته، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١).

فهو ينادي على قوم تعلقوا بالحياة الدنيا وزينتها، فهم لا يتطلعون إلا إلى الأرض، وفرعون يلفت أنظارهم إلى ما تعلقت به قلوبهم، وامتلأت به عقولهم، ويقدم لهم المغريات الباهرات، وهم لطاعته أسرع، وما ذلك إلا كما وصفهم الله جل وعلا في قوله: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤).

وهذا ناتج عن خضوع الناس له، وسكوتهم عن مظالمه، وخوفهم من سطوته ومن جبروته وانكبابهم على الأمور المادية، والمنافع الدنيوية، ونسيانهم لآخرتهم.

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى فرعون مالاً وثروةً وجاهًا، فقال –عزَّوجلَّ– على لسان موسى– عليه السلام–: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ......﴾ (يونس: ٨٨).

ونسي فرعون أن هذا الجاه والقوة والسلطان إنما هو استدراج من الله تعالى للظالمين للمضي في طغيانهم وغيِّهم وغوايتهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (الحج: ٤٨)، فيستدرج الله –عزَّوجلَّ– الطغاة المفسدين ليزدادوا إثما ﴿...سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم: ٤٤ – ٤٥)، فالله سبحانه وتعالى يمهل الطغاة ويمدهم بأسباب القوة، والقدرة كيدًا ومكرًا بهم لا حبًا لهم ونصرًا، ثم يأخذهم على حين غرة.

نهاية فرعون كما يصورها القرآن:

إن الشر مهما استعلى وطغى وتكبر وتجبر لابد له من نهاية حتمية؛ لأن هذه سنه الله في خلقة.

فالمتكبرون والمتجبرون قد تخدعهم سطوتهم وقوتهم المادية، فينسون قوة الله وجبروته، فيهلكهم الله –عزَّوجلَّ–، وهذا ما حدث بالنسبة لفرعون، أما لماذا لم يهلك الله فرعون منذ أن بدأ بإفساده في الأرض وتنكيله ببني إسرائيل؟

والإجابة تكمن في أن بني إسرائيل يوم أن كانوا يؤدون ضريبة الذل لفرعون وهو يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم، لم ينقذهم الله– تعالى–؛ لأنهم لم يكونوا يؤدون هذه الضريبة إلا ذلاً واستكانةً وخوفًا، أما حين استعلى الإيمان في قلوب الذين آمنوا من أتباع موسى – عليه السلام– واستعدُّوا لاحتمال التعذيب وهم مرفوعوا الرؤوس، تدخلت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القدرة لإدارة المعركة، فأهلك الله فرعون فكان إعلانًا للنصر في الأرواح والقلوب قبل أن يعلن في أرض المعركة[1].

فكانت نهاية فرعون كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ﴾ الزخرف: (٥٤ – ٥٦) أي: لمَّا أسخطونا وأغضبونا بأفعالهم انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم فأغرقناهم في البحر أجمعين[2]، وقال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾(النازعات: ٢٥-٢٦)، أي: انتقم الله منه انتقاما فجعله عبرةً ونكالاً لأمثاله من المتمردين والمجرمين في الدنيا والآخرة[3]وقوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾(الفجر: ١٣ – ١٤).

المطلب السادس: قارون:

وهو نموذج آخر للذين سقطوا في الغواية متمثلاً بقارون، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٦-٧٧).

فقد كانَ قارون من بني إسرائيل وهو ابن عمّ سيدنا موسى –عليه السلام–، وقد رزقه الله تعالى سعة في الرزق، وكثرةً في الأموال حتى فاضت بها خزائنه، واكتظت صناديقه بما حوته منها، فلم يعد يستطيع حمل مفاتيحها مجموعة من الرجال الأقوياء، وكان يعيش بين قومه عيشة الترف، فكان يلبس الملابس الفاخرة ولا يخرج إلا في زينته، ويسكن القصور، ويختار لنفسه الخدم والعبيد، ويستمتع بملذات الدنيا الفانية[4].

ومع كل النعم والأموال التي أغدق الله تعالى بها على قارون إلا أنه وقع في الغواية نتيجة جحوده لنعم الله عليه، فلم يكن عبدًا شكورًا، فاغترَّ بنفسه وتكبَّر على قومه، وافتخر بكثرة ما آتاه الله تعالى من الأموال والكنوز.

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٣١/٥).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦٢٢/٢١).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٠٥/٨).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦١٥/١٩)، و(مفاتيح الغيب): الرازي (١٠٨/١٢)، و(الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٣١٠/١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد نصحه قومه على جهة الوعظ والتنبيه والتحذير من المآل السيئ المحتوم إن استمر في بغيه وغيه، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٧٦).

وكانت نصيحة قومه له واضحة جليَّة مبنية على خمسة أصول راسخة، من تمسك بها وعمل بمقتضاها نجى من الغواية، ومن استهتر بها، واتبع هواه، وأخذ بنقيضها سقط في الغواية، وهي كالتالي:

أولها: لا تفرح لما أعطاك الله من المال فرح البطر، والأشر، والتفاخر، والتعاظم على الناس، والاستخفاف بهم، واستعمال نِعَمِ الله تعالى في معصيته؛ لأن هذه الصفة يمقتها الله تعالى[1]، قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: " كان فرحه شركًا؛ لأنه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى"[2] وقال مجاهد- رضي الله عنه- في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾أي: لا يحب "الأشرين البَطِرِين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم"[3]، ولذلك كانت نصيحة قومه له بالتواضع وشكر نعم الله عليه، إذ بالشكر تدوم النعم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

ثانيها: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، أي: اجعل تلك الأموال والكنوز مسخَّرة في طلب الآخرة، ونعيمها، وثوابها، وادَّخِر لنفسك من الأجور بالإنفاق في سبيل الله وفي وجوه الخير، وما أوجبه الله تعالى، وذلك بالتقرب إليه في أنواع القربات التي يحصل لك بها ثواب في الآخرة[4]؛ لأنها هي الباقية وما سواها إلى فناء وزوال بدليل قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ (الدخان: ٢٥ - ٢٩).

ثالثها: ولا تنسى نصيبك من الدنيا، أي لا تتركها ترك المنسيِّ، مما أباحه الله لك، وكن وسطيًا في ذلك؛ لأن الدين لا يريدك أن تكون عالة على المجتمع، بل يطالبك بالجد والعمل بالكسب الحلال مع إعطاء كل ذي حق حقه، والأخذ من الدنيا بقدر مايكفيك منها للوصول إلى الآخرة[5].

(1) انظر:(فتح القدير): الشوكاني (٥/٤٢١).

(2) مفاتيح الغيب: الرازي (١٢/١١٠).

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٦/٢٥٣).

(4) انظر: (المصدر السابق) (٦/٢٥٣)، و(فتح القدير): الشوكاني (٥/٤٢١)، و(التحرير والتنوير): ابن عاشور (١٠/٤٣٩).

(5) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود (٥/٢٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال مجاهد وابن زيد: " لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب؛ لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة"(١).

وقال جمهور المفسرين:" وهو أن يعمل في دنياه لآخرته، ونصيب الإنسان عمره، وعمله الصالح"(٢).

رابعها: وأحسن كما أحسن الله إليك، لمَّا أمره بالإحسان بالمال، كان الأمر بالإحسان مطلقًا، بجميع أنواعه، سواء كان بالإعانة، أو بطلاقة في الوجه، أو بحسن اللقاء، فإحسان الله يجب أن يقابل بالإحسان إلى خلقة(٣).

خامسها: ولا تبغ الفساد في الأرض، إنه لا يحب المفسدين، أي لا تقصد الإفساد في الأرض بالظلم والبغي والإساءة إلى الخلق بالتطاول والتكبر، وبتسخير المال في الإفساد بين الناس دون الإصلاح، ولا يحب المفسدين كما لا يحب الفرحين(٤).

ولكن قارون أبَى أن يقبل هذا النصح والإرشاد، وكان رده لا يحمل في طياته إلا معاني الفساد والإفساد، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص: ٧٨).

وهنا تتجلى معاني السقوط في الغواية لقارون حينما ردَّ هذا النصح الصادق من أهل الصلاح والتقوى، عندما دعوه لأن يسلك بهذا المال، الطريق التي تحمد عواقبه، وتتم به تلك النعمة، ولكن العُجب بماله استغواه، فاستقبل تلك الدعوة بالاستخفاف والتحدي فقال: ﴿...إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: إنما أعطاني الله هذا المال على فضل علم عندي، وقد جمعت هذا المال بخبرتي ومعرفتي، ولولا رضا الله عني، ومحبته لي، وعلمه بفضلي عنكم، وأني أهلٌ له، لما وصلت إلى ما وصلت إلية(٥)، فهذه المقولة لا تخرج إلا من مغرور أنساه المال شكر ربه، ونظير هذا القول في القرآن قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(الزمر: ٤٩ – ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (فصلت: ٥٠).

---

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (٦/٢٢١).

(2) فتح القدير: الشوكاني (٥/٤٢١).

(3) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٦/٧٤).

(4) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (١٢/١١٠)، و (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥/٤٤٤).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩/٦٢٦) و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٦/٢٥٥) و(في ظلال القرآن): سيد قطب (٥/٤٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقارون ينكر أن يكون لله شيء فيما بين يديه من هذا المال، والعلم الذي يدَّعيه قارون ليس العلم الذي تحصله العقول، وإنما هو العلم الذي تتضح به الطبائع الخبيثة والنفوس المريضة القائمة على النصب والاحتيال والمداهنة والمتاجرة بالذمم في سبيل الوصول إلى المال والجاه.

وهذا النموذج ليس الوحيد في البشرية، فكم من الناس من يظن أن علمه وجهده وشطارته وحدهما سبب غناه، فينسب الفضل لنفسه وبالتالي فهو حر التصرف بماله على الوجه الذي يريده هو، إما بإنفاق أو بإمساك.

فالإسلام لم يمنع الملكية الخاصة، ولم يلغها، بل قدَّر الجهد البشري الذي بُذل في سبيل تحصيلها من الطرق المشروعة، وقد رَسم منهجًا معينًا للتصرف في تلك الملكية، كما رسم منهجًا معينًا لتحصيلها وتنميتها، وهذا المنهج متوازن لا يحرم الفرد ثمرة جهده، ولا يطلق يده للاستمتاع به حتى الترف المطغي، ولا في إمساكه حتى التقتير، ويفرض للجماعة حقوقها في هذا المال، وهذا منهج واضح المعالم والسمات[١].

قال تعالى: ﴿....أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص: ٧٨).

وهذه الآية الكريمة ردٌ من الله تعالى لقارون ولغيره ممن يدَّعون بهذا الإدِّعاء الكاذب الباطل، فلو كان الله تعالى يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه، وخير عنده ولرضاه عنه، لم يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً وأعز نفرا، فالهلاك لا يكون إلا ممن سخط الله عليهم، ولو كانت هناك قوة ذاتية هي التي جمعت له المال لحفظته تلك القوة من الهلاك، فأمره الله تعالى أن ينظر إلى من سبقه من الأمم ممن هم أشد منه قوةً وأكثر مالاً، فلم تغنِ عنهم قوتهم ولا جمعهم من الله شيئًا فأهلكهم الله بكفرهم وعدم شكرهم [٢]، ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: لا يسأل المجرمون عن كثرة ذنوبهم، إذا لا حاجة أن يسألهم الله عن أنواع ذنوبهم؛ لأنه سبحانه عليم بأحوالهم كما قال تعالى: ﴿...وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(البقرة: ٢٨٣)، وقوله تعالى: ﴿...ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (النحل: ٨٤).[٣]

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥/٤٤٤).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٦/٢٥٥).

(3) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): الزحيلي (٢٠/١٦٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نهاية قارون كما يصورها القرآن:

قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (القصص: ٧٩).

فالقرآن يصور لنا الحالة التي خرج فيها قارون على قومه، وهي أحسن وأكمل صورة، وليس في القرآن إلا هذا القدر بغض النظر عما ذكر من تفصيلات في وجوه الزينة، فلمَّا رآه الناس على تلك الزينة، قال من كان يرغب ويتمنى الدنيا، ﴿ ..يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ ﴾، وهؤلاء إما أن يكونوا من السذج والجهال الذين يريدون الحياة الدنيا، وإما أن يكونوا من المؤمنين؛ لأن النفوس لمَّا رأت هذا الموكب العظيم تحركت، وتطايرت من العيون قطرات التمني والاشتهاء؛ والناس انقسموا إلى فريقين، الفريق الأول همه الدنيا ولا تشغل الآخرة فكره، فعظمت الدنيا في وجهةِ، وأشعلت فكره، والفريق الثاني: هم من أهل الحكمة والعلم والنظر، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾ (القصص: ٨٠).

وهذه النظرة ثاقبة؛ لأنها قائمة على حساب سليم سديد مع الحياة الدنيا وحطامها، كما بيَّن سبحانه وتعالى: ﴿ ...قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ يَقُولُونَ .. ﴾(النساء: ٧٧)، فيرضى بما قسمه الله له منها، ويطلب الرزق من طرق شرعية، فيؤدي حق الله والعباد، ولا يصرفه هذا كله عن طلب الآخرة، ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾أي: لا يظفر بها ولا يوفق لقول هذه الكلمة وهي قوله تعالى: ﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ﴾ إلا الصابرون على طاعة الله، وعلى طلب زينة الحياة الدنيا، وإيثار ما عند الله تعالى عوضًا عن لذات الدنيا [(١)].

قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (القصص: ٨١ – ٨٢)

لمَّا أشر وبطر على الخلق خسف الله به وبداره الأرض جزاء عتوه وبطره، ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ قال ابن كثير: " لمَّا ذكر الله تعالى اختيال قارون في زينته، وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض"[(٢)]، فغُيِّبَ في الأرض هو وداره، فأصبح أثرًا بعد عين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ–

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩/٦٢٩).

(2) تفسير القرآن العظيم: (١٠/٤٨٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﷺ- قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)(١).

في لمحة خاطفة ابتلعت الأرض قارون وداره، بعدما كان يطأها مختالاً بجاهه وماله، كما يبتلع الحيوان فريسته، وهكذا تطوى صفحة سوداء من الضلال المتحرك، لتنتهي معالمه دون أن يكون له من ينصره من بأس الله ويدفع عنه هذا المصير، حينها انقشعت الغمة عن أعين السكارى الذين فتنوا بمال قارون، ووقفوا يحمدون الله تعالى أن لم يستجب لهم ما تمنوه بالأمس، ولم يؤتهم ما آتى قارون(٢)، وحينئذ ظهرت العبرة لمن يعتبر.

فالحكم القاطع الذي يمليه هذا النموذج للساقطين في الغواية، أن الاغترار بالمال ونسيان مصدره الرئيس، ونسبة مصدره إلى النفس البشرية؛ قد يتحول هذا المال إلى نقمة وشقاوة في الدنيا والآخرة، ولذلك ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وإن كثرت أموالهم، وإن ملكوا الدنيا فهم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

المطلب السابع: أصحاب السبت:

ويتحدث هذا النموذج عن مجموعة من اليهود، استخدمت التحايل على أمر الله، وعدم الالتزام بشرعة وسيلة للوصول إلى أهدافها، ظنًا منها أن مثل هذا يجوز على الله تعالى.

وكانت بداية هذا التحايل يوم أن اختار الله لهم يومًا مميزًا للعبادة فيه؛ لأنه ما من دين من الأديان إلا وله يومٌ للعبادة، فاختار الله -عزَّوجلَّ- لبني إسرائيل يوم الجمعة، ليكون لهم عيدًا أسبوعيًا يجتمعون فيه، فهو اليوم الذي أتمَّ الله فيه خلق الكون، ولكنهم رفضوا الجمعة، واختاروا السبت لادعائهم أن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح يوم السبت - تعالى الله عما يقولون- فهم يريدون أن يستريحوا ويتفرغوا للعبادة يوم السبت، فهم أبناء الله وأحبائه كما يدَّعون، وهكذا كانت رغبتهم، فأعطاهم الله تعالى ما طلبوا، وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته في هذا اليوم، والله -عزَّوجلَّ- العليم بحالهم يعلم أنهم لن يوفوا بما ألزموا به أنفسهم، فهم أهل الجدال، والعناد(٣)، ولقد شرَّف الله تعالى أمة الإسلام بأن أعطاها يوم الجمعة، كما بين النبي -ﷺ- في قوله: (أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه، رقم الحديث(٢٠٨٨)، ص (٨٣١).

(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤٤٥/٥).

(3) انظر: (تفسير الشعراوي): للشعراوي (٥٠٦٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يوم القيامة، المقضيُّ لهم قبل الخلائق)[1]، وهكذا عميت أبصارهم فاختاروا لأنفسهم ما أملت عليهم شياطينهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾(النحل: ١٢٤).

فابتلوا به وحُرِّم عليهم الصيد، وأمروا بتعظيمه، والتفرغ لعبادة الله، ولكنهم أبوْا إلا المضي في طريق العناد، والجدال، فجعلهم الله مثلاً وخلفًا، قال الله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

أي: اذكر لهم يا محمد واسألهم – وهذا السؤال توبيخ وتقريع– عن أهل تلك القرية وما حدث لهم نتيجة مخالفتهم لأوامر الله تعالى، " وبيان أن كفر المعاصرين منهم ليس جديدا، بل هو موروث؛ فإن أسلافهم ارتكبوا الذنب العظيم، وخالفوا أوامر اللّه تعالى"، وشرعه، وأتباعهم من معاصرينا على ذات الدرب [2].

وحذِّرهم من مخالفتِك يا محمد، لئلا يحل بهم ما حل بسلفهم.وهذه القرية كانت ساحلية، اختلف المفسرون في اسمها، ذلك أن القرآن لم يذكرها مكتفيًا بذكر قصتهم لأخذ العبرة منهم.

ومعلوم أن اليهود لا يعملون يوم السبت، وإنما يتفرغون لعبادة الله تعالى، وحان موعد اختبارهم، وابتلائهم، ليتبين مدى صبرهم على طاعة الله تعالى.

ومن المعلوم أن الابتلاء يصقل النفوس المؤمنة، ويخرجها بعده أقوى عزمًا، وأشد إرادة، إذ تتربى من خلاله النفوس على الصمود أمام الملذات والمغريات.

فقد ابتلاهم الله تعالى، بأن جعل الحيتان تأتي يوم السبت كأنها المخاض لا يُرى وجه الماء لكثرتها، ولا تأتيهم في سائر الأيام، فكانوا على ذلك برهة من الزمن، فانهارت عزائم فرقة منهم حتى وسوس لهم الشيطان أمرًا، فاحتالوا الحيلَ، فهذه صفتهم، وبدأوا بالصيد يوم السبت، فهم لم يصطادوه يوم السبت مباشرة وإنما أقاموا الحواجز والحفر، فإذا قدمت الحيتان وقعت في تلك الحفر فلم تستطع الخروج، فيصطادونها يوم الأحد، وكان هذا الاحتيال بمثابة صيد وهو محرم عليهم، فانقسم الناس لثلاث أمم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٤).

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب، الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم الحديث (٨٥٦)، ص (٣٠٧).
(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: الزحيلي (١٤٢/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمة اصطلاحاً: " هي مجموعة الناس التي تدين بعقيدة واحدة وتصور واحد، وتدين لقيادة واحدة"(١)، فأصبحوا: أمة عاصية غير ملتزمة بشرع الله –تعالى– وتعمل بالحِيَل، وأمة لا تعصي الله، ولكنها تقف موقفًا سلبيا فهي لا تنكر عليهم ما فعلوه، بل تتعجب من صنيع المنكرين، كيف ينكرون على أمة وقد كتب الله عليهم العذاب، وأمة طائعة لله وقفت في وجه الباطل بكل قوة ترشده، وتأمره بالمعروف، وتحذره من غضب الله تعالى، وكان ردهم على المنكرين بقولهم: عظتنا إياهم معذرةٌ إلى ربكم، نؤدي فرضه علينا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعلهم يتقون فيرجعون عن تعديهم، وارتكابهم لما حرم الله تعالى(٢).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾(الأعراف: ١٦٥)

لمَّا استكبر العصاة، ولم تجد كلمات المؤمنين معهم نفعًا حل بالعصاة العذاب البئيس– أي الشديد– جراء إمعانهم، وإصرارهم على المعصية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ": فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم، وفقدوا الناس فلم يروهم، فقال بعضهم لبعض: إن للناس لشأنًا! فانظروا ما هو، فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها مغلقة عليهم، قد دخلوها ليلا فغلقوها على أنفسهم، كما يغلق الناس على أنفسهم فأصبحوا فيها قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد، قال ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين نهوا عن السوء لقلنا أهلك الجميع منهم"(٣).

أما تلك الأمة الساكتة، فقد سكت النص القرآني عن ذكرها بشيء.

يقول سيد قطب: " ربما تهوينًا لشأنها، وإن كانت لم تؤخذ بالعذاب، إذ إنها قعدت عن الإنكار الإيجابي، ووقفت عند حدود الإنكار السلبي، فاستحقت الإهمال وإن لم تستحق العذاب"(٤).

ونظير ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٦٠).

والروايات التي تتحدث عن المسخ، وعن حياتهم بعد المسخ، كثيرة، يستطرد بعض المفسرين في ذكرها، نتوقف دون الخوض فيها، ذلك أن القرآن قد سكت عنها ولم يرد لها ذكر صحيح في السنة النبوية، وما ورد في السنة

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب (٣/٣٠٩).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٣/١٨٥). و(في ظلال القرآن): سيد قطب (٣/٣٠٩)، و(تفسير الشعراوي): للشعراوي (٣٠٨٨).
(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (١/٢٩٠).
(4) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣/٣٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبوية فقط هو السؤال عن نسل القردة والخنازير، فقد سئل النبي-ﷺ- عن نسل القردة والخنازير، هل هي مما مسخ؟ فقال النبي-ﷺ-: (إن الله -عزَّوجلَّ- لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا، فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك)(١).

وقد ذكرت السنة النبوية أن أممًا أخرى من بني إسرائيل قد مسخت فئرانًا والعياذ بالله، فعن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-(فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بني إِسْرَائِيلَ لاَ يُدْرَى مَا فَعَلَتْ وَلاَ أُرَاهَا إِلاَّ الْفَأْرَ أَلاَ تَرَوْنَهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْهُ وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبَتْهُ)، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ كَعْبًا فَقَالَ آنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ ذَلِكَ مِرَارًا)(٢)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أفعالهم الشنيعة مع ربهم منذ القدم.

وهذا تنبيه لنا من الله تعالى؛ لأن ندرك خطورة مخالفة شرعه، وخطورة التحايل على أوامره؛ لأنه عنوان واضح للسقوط في الغواية، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (هود: ١١٦)، لأن المعاصي عندما تعم وتستشري، لابد من الدعاة والمصلحين أن يقوموا بواجبهم في النصح والتذكير، والنهي عن المنكر؛ لينجوا من عذاب الله وسخطه.

لقد جعل الله تعالى أصحاب السبت يترنحون ما بين النكال والموعظة جراء فعلتهم الشنيعة، فتناول القرآن ذكرهم في العديد من الآيات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٦٥ – ٦٦).

ففي هذه الآية أيضًا الخطاب لليهود الذين جحدوا رسالة النبي -ﷺ- واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا، فهم ينكرون ويكتمون سيرة أسلافهم ممن غضب الله عليهم، فالنبي-ﷺ- يذكرهم بالمصير نفسه، إن هم بقوا على ذات المنهج، وهذا من دلائل نبوته-ﷺ-، فهو يخبرهم بما لا علم له به ولا قومه قبل نزول القرآن، ولا يعلم هذا الأمر سواهم، ولذلك قال الله لهم: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾، ونظيره في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾(النساء: ٤٧)،

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: القدر، باب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص...، رقم الحديث (٢٦٦٣)، ص (١٠٢٧).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الزهد والرقائق، باب: في الفأر وأنه مسخٌ، رقم الحديث (٢٩٩٧)، ص (١١٤٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولذلك جعل الله تلك القرية عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا، للأمم الذين كانوا في زمانها، أو الذين جاءوا من بعدها، وخص السياق الموعظة للمتقين لا لغيرهم؛ لأنهم هم المنتفعون وحدهم بمثل هذه الحوادث، قال الله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[(١)].

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء.

نموذج آخر للذين سقطوا في الغواية، وهذا النموذج رهيب عن من أعطاه الله آياته وهدايته، وعلمه، فانسلخ منها كما تنسلخ الحية من جلدها، قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦).

يتحدث القرآن الكريم عن مشهد من المشاهد العجيبة، إنسان يؤتيه الله تعالى من آياته، ويسبغ عليه من نعمائه، ويكسوه من علمه؛ ولكنه ينسلخ من هذا كله انسلاخًا، ينسلخ كأنما الآيات أديمٌ له متلبسٌ بلحمه، ينسلخ من آيات الله، وينحرف عن الطريق القويم، ليتبع هواه، ويسقط في الغواية، ليستحوذ عليه الشيطان، فيصبح ألعوبة بيده يوجه حيث يشاء، ثم إذا نحن أمام مشهد مفزع، إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقًا بالطين، ثم إذا هو مسخ على هيئة كلب، يلهث إن طورد، ويلهث إن لم يطارد، فيأمر الله نبيه بأن يقرأ على اليهود خبر هذا الإنسان الذي أصبح من الغاوين بعد أن كان من الراشدين المصلحين [(٢)].

قال الواحدي:" قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: نزلت في بلعم بن باعوراء من بني إسرائيل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وغيره من المفسرين: هو بلعم بن باعوراء"[(٣)].

وقال ابن كثير:" قلت: هو بلعام بن باعوراء ويتصل نسبه بلوط بن هاران بن آزر... قال ابن عساكر: وهو الذي كان يعرف الاسم الأعظم فانسلخ من دينه وله ذكر في القرآن"[(٤)].

وأما بلعام فقد ارتدَّ عن دينه، وباع الآخرة بالدنيا، وبمجردِّ ارتداده عن دينه ﴿ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ وكأن الشيطان كان بعيدًا عنه، يتربص به، للوقوع في لحظة ضعف فيستحوذ عليه، فعلاً وبمجرد ابتعاده عن الدين جاءه الشيطان فكان من الغاوين، ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ أي لو شاء الله تعالى لثَّبت هذا الرجل على دينه، ورفعه في الدنيا والآخرة وأصبح له شأن لكنه خسر الدنيا والآخرة،

(1) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (١/١٦٠).
(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣/٣٢١).
(3) أسباب نزول القرآن: الواحدي (١/٨١).
(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٦/٤٥٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكنه أخلد إلى الأرض، وشأنه كشأن الكثير من علماء السلاطين الذين يفتون للسلطان هذا حلال وهذا حرام، حسبما يريد، مقابل شهرة ومتاع زائل، يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً. ﴿... فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ ﴾. فقد شبه الله تعالى الرجل بأخس الحيوانات الذي هو الكلب، الذي من طبيعته اللهث سواء كان متعبًا، أم مستريحًا، وخص الكلب بالذكر دون غيره من سائر الحيوانات؛ لأن الكلب همته لا تتعدى بطنه، وهكذا الكافر فهو دائم اللهث على الدنيا ومتاعها[1]، ولهذا استوى علم بلعام، وجهله، فهما سواء، ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

فكل من اشترى بآيات الله ثمنًا قليلاً وبدل دينه مثله كمثل بلعام، فأمر الله نبيه -ﷺ-: أن يقص تلك القصص على الناس للتحذير من تبديل الدين مقابل دنيا فانية، فكم من علماء السلاطين اليوم أمثال بلعام سقطوا في الغواية كما سقط، وجعلوا فتواهم مَطيَّةً لسلاطينهم، يسفكون من خلالها دماء الأبرياء، وينشرون في الأرض الفساد، فهم لا يقولون كلمة الحق، بل لا يتجرؤون، نسأل الله-تعالى- الثبات؛ لأن القلوب كما قال-ﷺ-: (إن قلوب بني آدم كُلَّهَا بين إصبعين من أصابع الرَّحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء"، ثم قال رسول الله-ﷺ-:" اللهم مُصَرِّفَ القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"[2].

والثبات على الدين ليس بالأمر الهيِّن، ولكنه يحتاج إلى دعاء ومجاهدة النفس على هذه الدنيا كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

ومن هنا لا بد أن يأخذ كل من زاده الله بسطة في العلم، العبرة والموعظة من قصة بلعام، وأن يستعين بكل موانع الوقوع في المعصية، حتى يستشعر مكر الله فلا يأمنه أبدا إلا القوم الخاسرون، كما قال -تعالى-: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٩).

المطلب التاسع: صاحب الجنتين في سورة الكهف.

هذا النموذج يضرب الله -عزَّوجلَّ- من خلاله مثلاً لرجلين في الماضي، كان بينهما صلة وصحبة، أحدهما مؤمن والآخر كافر، واكتفى القرآن بذكر قصتهما، فلم يذكر لنا أسماءهما، ولا مكانهما، ولا زمانهما، مكتفيًا بأخذ العبرة والعظة، والذي يَهُمُ الباحث في هذا المطلب هو الرجل الكافر صاحب الجنتين، وسيتناول

---

(1) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٢/١١ ٣).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، رقم الحديث (٢٦٥٤)، ص (١٠٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباحث صاحبه المؤمن في المبحث الثاني والذي بعنوان: نماذج للناجين من الغواية. قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ (الكهف: ٣٢ – ٣٣).

لقد ابتلى الله الرجل الكافر بأن بسط له الرزق، ووسع عليه في دنياه، وآتاه من نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وما ذلك إلا ابتلاءً منه ليشكر، أم يكفر، كما قال الله –تعالى– في حق سليمان– عليه السلام–﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠).

قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾

لقد جعل الله –عزَّوجلَّ– لذلك الكافر (جنتين) أي بستانين، أو مزرعتين، لم يبيِّن سبحانه وتعالى مكانهما مكتفيا بالعبرة والعظة، فأصبح يملك بستانين، وقد وصف القرآن الكريم هاتين الجنتين وصفًا عجيبًا، إذ كانتا مزروعتين بالأعناب، وكانتا مسورتين بنخل من جميع جهاتها، وكان صاحبهما يزرع الزرع بين تلك الأعناب، وقد فجَّر الله له نهرًا، فأصبح الماء يجري بين الجنتين المزروعتين، بدون جهد بشري، وقد صور القرآن هاتين الجنتين وكأنهما مزروعتين بتناسق هندسي جميل، النخل كان محيطًا بهما، والزرع والخضار والبقول يزرع بين أسراب الأعناب، والنهر وقنواته يجري بينهما، حتى إذا آتت أكلها، وأصبح الثمر جاهزا للقطف، واستوى على سوقه، كما قال تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ ولم تظلم: أي لم ينقص منها شيء، كما يحدث في أغلب البساتين؛ لأن الثمار غالبًا تكثر في عام وتقل في عام، وهكذا الأشجار[1].

فهذا المنظر الساحر الخلاَّب يحتاج إلى شكر دائم، فماذا كان من صاحب الجنتين؟

قال –تعالى–: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾(الكهف: ٣٥ – ٣٦).

أُعجِبَ الرجل بجنتيه، وامتلأت نفسه بهما، وازدهاه النظر إليهما، فاختال كالطاووس، وملأ نفسه بالبطر، ونسي أن يشكر الله تعالى على ما أعطاه من تلك النعم.

فدخلهما وهو كافر بربه، متكبر على الآخرين، فوصل به الغرور بأن يجحد نعم الله عليه، موهمًا نفسه أن هذا النعيم لن يفنى أبدا، ثم انتقل إلى مرحلة متقدمة من مراحل الغرور وهي إنكار البعث بعد الموت قائلاً لأخيه: وحتى لو كان البعث حقيقة سيقع؛ فإن الله سيعطينى في الآخرة خيرًا مما أعطاني في الدنيا، أي جحود وكفران للنعمة أكبر من هذا، فلقد اطمأن هذا الرجل إلى الدنيا ونسي أنها لا تبقى لأحد، قال –تعالى–: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ

---

(1) انظر: (روح المعاني): الآلوسي (٢٤٩/١١) و(في ظلال القرآن): سيد قطب (٦٤/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف: ٤٦)، وظن أنه مادام الله تعالى أنعم عليه في الدنيا فلابد أن ينعم عليه في الآخرة، والحقيقة أن هذا قياس فاسد؛ لأن الكفار ينعَّمون في الدنيا، فتعجل لهم طيباتهم في حياتهم، ولكنهم في الآخرة يعذبون، وهذا كقوله- تعالى-: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

(فصلت: ٤٩ – ٥٠)[1] ،ولذلك قابل هذه النعم بهذا التمرد، والعناد، بقوله:﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ فقوله هذا إما على وجه التهكم والاستهزاء، فيكون زيادة كفر على كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس؛ إذ لا تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، ونسي قدرة الله الذي أعطاه ومكنَّه، بأن يسلبه ما آتاه [2].

فماذا كانت نتيجة هذا البطر، والغرور، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ (الكهف: ٤٢ – ٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ وكأن للثمر سُورٌ يحيط به، فلا يكون له منفذ، كما في قوله تعالى: ﴿...وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ..﴾ (يونس: ٢٢).

وقد" قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ ولم يقل: أحيط بزرعه أو بنخله: لأن الإحاطة قد تكون بالشيء، ثم يثمر بعد ذلك، لكن الإحاطة هنا جاءت على الثمر ذاته، وهو قريب الجنْي قريب التناول، وبذلك تكون الفاجعة فيه أشد، والثمر هو الغاية والمحصلّة النهائية للزرع"[3].

قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ (الكهف: ٤٢ – ٤٣)، وهنا تصويرٌ بديعٌ لِما اعترى هذا الجاحد من غم وهم وحسرة وندامة، وهو ينظر إلى جنته كيف كانت عامرة وزاخرة بأنواع الثمرات، وكيف أصبحت ساقطة ومتهدمة كأنها لم تغن بالأمس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥/٦٤)، و (تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف): ابن عثيمين ص (٧١)

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (١/٤٧٧).

(3) تفسير الشعراوي: الشيخ الشعراوي (٥٤١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(يونس: ٢٤).

فأصبح يقول يا ليتني اتبعت نصيحة صاحبي فلم أشرك بربي أحدا، حتى الفئة التي كان يتظاهر بها ويتكبر على الناس بها، بأنهم سينصرونه ويقفون معه لم تغنِ عنه من بأس الله شيئا.

فالأصل في المسلم ألا يصل إلى قول يا ليتني؛ لأنه حينها ولات حين مندم، بل يسرع إلى التوبة في كل وقت وحين.

ولذلك ينبغي أن يعلم الإنسان أن الله تعالى أعطاه هذه النعم ليتقرب بها إليه، وليس ليستغني بها عنه، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ (العلق: ٦ – ٧).

وقال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾ (الكهف: ٤٤).

قال ابن كثير: " ثم اختلفوا في قراءة﴿ ٱلۡوَلَٰيَةُ ﴾فمنهم من فتح الواو، فيكون المعنى: هنالك الموالاة لله، أي: هنالك كل أحد من مؤمن أو كافر، يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب، كقوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴾ (غافر: ٨٤ (وكقوله إخبارًا عن فرعون:﴿ ...حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾(يونس: ٩٠)، ومنهم من كسر الواو من (الْوِلايَةُ) أي: هنالك الحكم لله الحق"(١).

قال تعالى: ﴿ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴾، أي:" خير إثابة وإعطاء لأوليائه، وخير عاقبة لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى"(٢).

فالسبب الرئيس لبقاء النعم ودوامها هي شكر الله وطاعته، وأما الغرور والافتتان بها سبب من أسباب زوالها وهلاكها كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ (إبراهيم: ٧).

المطلب العاشر: أصحاب الجنة في سورة القلم.

ويتحدث هذا النموذج عن مجموعة من الأخوة فتنهم المال، وغرهم الطمع، وظنوا أن ما بأيديهم هو الباق، ونسوا قول الله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾ (النحل: ٩٦)، وعابوا على أبيهم الذي كان يقتطع جزءًا من نتاج

---

(1) تفسير القرآن العظيم(١٦٠/٥).

(2)التفسير الوسيط للقرآن الكريم: سيد طنطاوي (٥٢٤/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أرضه يوم جَنْيِّ الثمار، فأجمعوا أمرهم على حرمان الفقراء حقهم ونصيبهم الذي فرضه الله لهم، وقرروا حصاد محصولهم ليلاً، لئلا يراهم الفقراء، لكن المفاجأة أن قلب الله مكرهم على أنفسهم كما قال الله تعالى: ﴿... يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ (يونس: ٢٣)، وقوله تعالى: ﴿...وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)، فدمَّر الله محصولهم جزاء شحهم وبخلهم على الله ونسوا أنهم أمناء على هذا المال، فالمال مال الله، والعيال عيال الله وقد تحدث القرآن الكريم عن قصتهم بنوع من الإسهاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ (القلم: ١٧ – ٣٣)

فهذه القصة وهذا النموذج ساقه الله تعالى للذين بطروا نعمته من كفار مكة، فلم يشكروه على تلك النعم الجسيمة، وهي بعثة النبي محمد –ﷺ– إليهم، ومقابلتهم إياه بالتكذيب والمحاربة، وقد كانت قصة أصحاب الجنة شائعة ومعروفة عندهم، فيذكرهم الله بها وبعاقبة حالهم.

(وأصحاب الجنة) هم: مجموعه نفر ورثوا بستانًا عظيمًا عن أبيهم الصالح، الذي كان يعطي الفقراء والمساكين حظهم منها، ولكن الورثة بيَّتوا بشأن جنتهم أمرًا، أرادوا أن يستأثروا بالثمار وحدهم فلا يشاركهم أحد، وأن يحرموا المساكين حظهم(1).

قال تعالى: ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾أي: أنهم أقسموا أيمانًا مغلظة على ذلك، رغم اعتراض أوسطهم، ولعل أوسطهم وافقهم على ما أقسموا عليه باعتبار إسناد الفعل لجميعهم، ومعنى قوله –تعالى– ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾ أي: لا يجعلوا شيئا ولو قليلاً من ثمار هذا البستان، وقيل لم يقولوا إن شاء الله من شدة غرورهم، وقوله– تعالى– ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ الطواف: هو المشي حول الشيء من كل جوانبه، ولم يعين هنا جنس الطائف فلعله من جنس ما يصيب الجنات من الهلاك، وعن الفراء: أن الطائف لا يكون إلا بالليل زمنه سمي الخيال الذي يراه النائم في نومه طيفًا، وتنوين كلمة طائف يفيد التعظيم بمعنى أن الطائف كان عظيم التدمير، وقوله– تعالى–﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ وهو تقييد لوقت الطائف، وقوله– تعالى– ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ "قال ابن

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٨/١٨٥) و (في ظلال القرآن): سيد قطب (٧/٣٠٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عباس رضي الله عنهما": أي كالليل الأسود، وقال الثوري، والسدي: مثل الزرع إذا حُصِد، أي هشيمًا يبسًا"[١]، وقوله- تعالى-﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾أي: فلما أصبحوا تنادوا لإنجاز ما أجمعوا عليه أمرهم، والتنادي: أن ينادي بعضهم على بعض وهو مشعر بالتحريض على الغدو إلى جنتهم مبكرين، وقوله- تعالى-﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾والغدو: الخروج ومغادرة المكان في غدوة النهار، ﴿ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ أي: بستانكم إن كنتم قاصدين للصرم وقطع الثمار، وقوله -تعالى-﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾أي خرجوا منسلين بهدوء دون أن يشعر بهم أحد ثم فسر الله تعالى عالم السر والنجوى ما يتخافتون به، قال- تعالى-:﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ يقولون لبعضهم البعض لا تجعلوا اليوم فقيرًا يدخلها عليكم، وقوله- تعالى- ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ أي: انطلقوا وهم قادرون على المنع والحرمان، وقوله- تعالى-: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾أي: فلما أشرفوا عليها فجعوا بما رأوا، فأصبحت جنتهم بغير الحال التي كانت عليه من الخضرة والنضرة والثمار، وأصبحت سوداء مدلهمة لا ينتفع منها بشيء، فاعتقدوا أنهم ضلوا الطريق، ولهذا قالوا إنا لضالون، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتأكدوا أنها هي، فقالوا ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أي: لا حظ لنا فيه ولا نصيب، والجزاء من جنس العمل، بيَّتوا النية لحرمان المساكين فحرمهم الله- تعالى من كل الثمار، وقوله -تعالى-﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾أي: قال أعدلهم وخيرهم مذكرًا لهم بأنهم لم يأخذوا برأيه، وأصروا على معصيتهم، وكان جوابهم يتضمن إقرارًا بأنه وعظهم فعصوه، وقوله- تعالى-: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ إقرار بالندم وتقرير لإجابة أخيهم بتسبيح الله-تعالى- جراء اقترافهم للمعصية، وقوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ فكما هي العادة عند وقوع المصائب، فكل شريك يتنصل من التبعة، ويتوجه باللوم على الآخرين فهم يصنعون الآن ذلك، ثم تركوا التلاوم فيما بينهم ليعترفوا جميعًا بالخطيئة أمام العاقبة السيئة، وقوله- تعالى- ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ إقبال على الله مصحوب بالندم وطلب المغفرة، والعوض، عسى الله أن يبدلنا خيرًا من تلك الجنة، إنا إلى ربنا، لا لغيره، مقبلون وطالبون للصفح والعفو والغفران، وقوله -تعالى- ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾أي: هكذا عقاب الله-عزَّوجلَّ- لمن خالف أمره، وبخل بما أعطاه الله من نعم، ومنع حق المساكين والمحتاجين، فهذه عقوبة الدنيا، أما عذاب الآخرة؛ فإنه أشق وأخزى[٢].

---

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٨/١٩٦).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير(٨/١٩٧) و(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): الآلوسي(٢١/١٨٣) و(التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٩/٨٣) و(في ظلال القرآن): سيد قطب (٧/٣٠١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ساق القرآن الكريم هذا النموذج للساقطين في الغواية إلى كفار مكة، وقد كان هذا النموذج متداولاً بينهم في القصص، فيربط بين سننه في الغابرين وسننه في الحاضرين، ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب إليهم، وفي ذات الوقت يشعر المؤمنين بأن ما يرونه بأيدي الكفار من النعم والثروة إنما هو ابتلاء من الله له عواقبه ونتائجه[1]، وهي من سننه كقوله- تعالى-: ﴿...وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وقوله – تعالى- ﴿...وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٨).

وهذا النموذج يبيِّن لنا كيف نشكر نعم الله، وكيف ننتصر على أنفسنا الأمَّارة بالسوء، فنخرج زكاة أموالنا لنطهر بها قلوبنا، وأموالنا، وندخل السعادة على وجوه الفقراء والمحرومين، وفي نفس الوقت لندرك ما ينتظر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله من العذاب الأليم، كما في قوله- تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤)، وقوله-تعالى-: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠)

وكما أخبر النبي -ﷺ-، وهو يتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة للذين لا يؤدون زكاة أموالهم ولا يؤدوا حق الله منها، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-ﷺ-: (من آتاه الله مالاً، فلم يؤد زكاته، مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان، يُطَوِّقُهُ يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه- يعني شدقيه- ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزُك، أنا مالك)، ثم تلا:﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (آل عمران: ١٨٠)[2]

الخلاصة:

لقد كانت هذه النماذج للمُهْلَكين الذين سقطوا في الغواية نتيجة كفرهم وطغيانهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق، فقد ضربها الله -تعالى- لنا للاتعاظ بما آل إليه مصيرهم جراء كفرهم، واكتفى الباحث بذكر هذه النماذج مع أن القرآن الكريم يعج بغيرها، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، لاحتوائها على الكثير من العبر والدلالات، وقد حرص الباحث على مراعاة التسلسل الزمني فيها.

لقد بيَّن لنا القرآن الكريم أن الهلاك والعقاب لا يمتنع عن أبناء وزوجات الأنبياء ممن سقطوا في الغواية، إذ الرابطة المنجية من الهلاك؛ إنما هي رابطة الإيمان، وما دون ذلك لا قيمة له عند الله-تعالى-، وأن الأقوام التي

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣٠١/٧).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة: كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم الحديث (١٤٠٣)، ص(٢٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تقلب فطرة الله ولم تنصع لأوامر الله وتوجيهات أنبيائه؛ فإن العقاب سيحل بديارهم، وأن من تكبر على الله وادَّعى لنفسه الملك والسلطان والربوبية والألوهية لم يهمله الله، وإن أمهله؛ لأن سنن الله لا تتغير ولا تتبدل، وإنما يؤخرهم لأجل معدود، فقد رأينا كيف انتقم الله منهم.

وقد جعل الله – تعالى– المال والجاه والسلطان سبباً رئيساً للوقوع في الغواية إن لم يستعمل في مساره الصحيح الذي رسمه الله، فنسيان مصدر المال، واغترار النفس به تحوله إلى نقمة وشقاوة في الدنيا والآخرة، فهذه النماذج وغيرها التي في القرآن؛ إنما هي علامات، وإشارات على طريق المؤمن ليكون يقظًا فطنًا فلا تخدعه الدنيا ببريقها وزينتها وزخرفها، ويعلم أن مردَّهُ إلى الله، وأنه ما وُجِدَ في هذه الدنيا إلا للابتلاء والتمحيص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: نماذج قرآنية للناجين من الغواية.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: امرأة فرعون.

المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.

المطلب الرابع: سحرة فرعون.

المطلب الخامس: مؤمن آل ياسين.

المطلب السادس: أصحاب الكهف.

المطلب السابع: صاحب صاحب الجنتين.

المطلب الثامن: أصحاب الأخدود.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نماذج قرآنية للناجين من الغواية.

المطلب الأول: يوسف عليه السلام.

لقد كان لإبليس- لعنه الله- مواقف خبيثة مع جميع الأنبياء- عليهم السلام-؛ لأن إبليس تعهد بإغواء جميع الخلق دون استثناء، كما في قوله تعالى عن الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾(ص: ٨٢ – ٨٣). غير أن الله تعالى عصم جميع الأنبياء- عليهم السلام- من الوقوع في شَرَكه، وسيدنا يوسف-عليه السلام- ابتُلي بأنواعٍ من المحن والشدائد، من إخوته، وفي بيت العزيز، وفي السجن، وفي تآمر النسوة حتى نجاه الله من تلك المصائب، ولولا أن الأنبياء معصومون لسقط يوسف عليه السلام في تلك الغواية كبقية الخلق؛ ولكن عصمه الله من الوقوع فيها، واختار الباحث قصته مع الغواية، وكيف أنجاه الله منها، لتكون عنوانًا لكل من وقع في مثل غوايته، كباقي سير الأنبياء، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

وسيتحدث الباحث عن الغواية التي تعرض لها سيدنا يوسف- عليه السلام- من امرأة العزيز، وكيف أنجاه الله منها، لتكون عنوانًا لشباب الأمة في هذا الزمن الذي ضج بالشهوات والفتن.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾(يوسف: ٢٢ – ٢٤).

يبيِّن لنا الحق-سبحانه وتعالى- أن يوسف- عليه السلام- قد بلغ مرحلة الفتوة، وأصبح جاهزًا لاستقبال التكاليف والمحن، بعد أن كان طفلاً صغيرًا لم تكن عليه ملامح الرجولة التي تُهيِّج امرأة العزيز؛ لكنه بعد أن بلغ نجد أن الحال تغير وتبدل، فأصبحت امرأة العزيز تدرك مفاتنه، وأصبح خيالها يسرح فيما هو أكثر من الإدراك، وهو التهاب الوجدان بالعاطفة، لتأتي مرحلة النزع بعدهما؛ لأن يوسف- عليه السلام- يعيش في كنفها في ذات القصر، إذ لو كانت محجوبة وبعيدةً عنه لما حدثت الغواية[1].

لقد كان يوسف- عليه السلام- في غاية الحسن والجمال، كيف لا وقد قال عنه-ﷺ- في حديث الإسراء الطويل، قال -ﷺ-: (...ثم عَرَجَ بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل:

([1]) انظر: (تفسير الشعراوي): الشعراوي (٤٣٨٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن معك؟ قال: محمد-ﷺ-، قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه، فَفُتِحَ لنا، فإذا بيوسف-عليه السلام- إذا هو قد أُعطيَ شطر الحُسْنِ، فَرَحَّبَ ودعا لي بخير...)(١).

وقد أوصى عزيز مصر امرأته بإكرامه، وحسن رعايته، والظاهر أنهم لم يرزقوا بالأبناء، ولهذا قال عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا... ﴾ (يوسف: ٢١)، فأحبته امرأة العزيز حبًا، ينتهي عنده الوصف، فبعد أن بلغ أشُدَّه نظرت إلية امرأة العزيز نظرة مختلفة، فدعته لمخالطتها، وتزينت له في أبهى زينة لمواقعته إياها، يوضحها الله تعالى في قوله: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾

المراودة: هي الملاطفة في السَوق إلى غرض، وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة بهذا المعنى بين الرجال والنساء، وتقتضي تكرير المحاولة، وهي: بصيغة المفاعله، والمفاعله مستعمله في التكرير(٢)، وقوله – تعالى-: ﴿... وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ فامرأة العزيز غلَّقت الأبواب، وأحكمت الإغلاق؛ لأن من يفعل الأمر القبيح يعلم قُبح ما يفعل، ويحاول أن يستر فعله، وهى فعلت ذلك بمنأى عمن يعيشون في القصر، وأخذت وقتًا وهي تراوده عن نفسه، وهو يمتنع أشد الامتناع، بصبره، وعفته، وتقواه، "مع أن الذي ابُتلي به يوسف- عليه السلام- أمرٌ لا يصبر عليه إلا من صبَّره الله- تعالى- فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي هاهنا في غاية القوة"(٣)، وقوله- تعالى-﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ أي تهيأت له بأحسن ملبس، وأحسن صورة على اختلاف القراءات، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

استعاذ والتجأ إلى الله- تعالى- وهذه حاله حرجه، شاب وامرأة في مكان خالٍ وآمن، والإنسان ضعيف قد فطره الله على الميل إلى الجنس الآخر، فربما تسول له نفسه أن يفعل(٤)، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾، قال بعض المفسرين: إن ما قام به يوسف- عليه السلام- هو همُّ الفعل، وقد رووا في ذلك أساطير كثيرة، يصورون فيها نبي الله بصاحب الغريزة الهائجة المندفعة التي لا يوقفها شيء، لولا أن ساق الله له البراهين الكثيرة وساقوا لها أمثلة، والراجح ما أورده جمهور المفسرين، على أنها همت به همَّ الفعل، وهمَّ بها همَّ النفس، ثم تجلى له برهان ربه

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله -ﷺ- إلى السموات وفرض الصلوات، رقم الحديث (٢٥٩)، ص (٧٩).

(2) انظر: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): ابن عطية (٢٣٢/٣)، و(ر التحرير والتنوير): ابن عاشور(٢٥١/١٢).

(3) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن القيم (١٤٨/١).

(4) انظر: (تفسير القرآن الكريم، جزء عم): ابن عثيمين (٢٤٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فترك[١]، وهذا الهم كما يقول سيد قطب: " هو نهاية موقف طويل من الإغراء، بعدما أبى يوسف في أول الأمر واستعصم، وهو تصوير واقعي صادق لحالة النفس البشرية الصالحة في المقاومة والضعف؛ ثم الاعتصام بالله في النهاية والنجاة"[٢].

لقد تكاملت في هذا النموذج دواعي الغواية، تكاملاً لا نكاد نجده في أي نموذج آخر، فها هي امرأت العزيز تقابل سيدنا يوسف- عليه السلام بثلاث دواعي يحدثنا عنها القرآن الكريم وهي: المراودة، وتغليق الأبواب، وقولها هيت لك، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

فقوبلت دواعي الغواية بثلاث دواعي للعفاف من سيدنا- يوسف عليه السلام-، وهي قوله: معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون، كما قال تعالى:﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، والقرآن الكريم رسم لنا هذه الصورة عن تلك الغواية ليوجب علينا الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة، فما أحوجنا إلى هذا النموذج في ظل الفتن والمغريات[٣]

وقد استعانت عليه لإيقاعه في الحرام بأمور كثيرة، حيث ذكر ابن القيم- رحمه الله- ثلاثة عشر وجها وهي باختصار:

أولاً: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة.

ثانيا: أن يوسف عليه السلام كان شابا.

ثالثا: أنه كان عزبا لا زوجة له.

رابعا: أنه كان في بلاد غربة.

خامسا: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال.

سادسا: أنها غير آبية ولا ممتنعة.

سابعا: أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد.

ثامنا: إنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها.

تاسعا: إنه لا يخشى أن تنمي عليه هي ولا أحد من جهتها فإنها هي الطالبة والراغبة وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

([1]) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٦٤/٧).

([2]) في ظلال القرآن: سيد قطب (٣٠١/٤).

([3]) انظر: (مناهل العرفان): الزرقاني (٦٢٦/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عاشرا: أنه كان مملوكا لها في الدار.

حادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال فأرتهن إياه، وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه فاستعان هو بالله عليهن فقال وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين

ثاني عشر: أنها توعَّدَته بالسجن والصغار.

ثالث عشر: أن الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كلا منهما عن صاحبه بل كان غاية ما خاطبهما به، أن قال ليوسف أعرض عن هذا وللمرأة استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع.

ومع شده هذه الدواعي إلا أن يوسف- عليه السلام- آثر مرضات الله وخوفه، وحمله على اختيار السجن على ارتكاب الفاحشة[1]، غير أن بعض الجهال اتهموا يوسف- عليه السلام- بأنه أيضًا صاحب الفعل.

قال الفخر الرازي:" قد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات:

أولها: قوله ﴿...كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾، والثاني: قوله ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَ قَالَ..﴾ أي: كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، والثالث: قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا﴾والرابع: قوله: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾...، وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته، فلأنه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾(ص: ٨٢ – ٨٣) فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ فكان هذا إقرارًا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى، وعند هذا نقول لهؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه التهمة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته"[2].

خلاصة القول:

أن يوسف- عليه السلام- لم يستسلم لكيدهن، بل التجأ إلى الله تعالى، فنجَّاه الله –تعالى- من تلك الغواية والتي هي أعظم من كيد الشيطان، لأن الله- تعالى- وصف كيد الشيطان بالضعف، فقال: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦)، ووصف كيد النساء بالعِظَم، فقال: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾(يوسف: ٢٨).

لذا لابد للمسلم أن يستشعر خوف الله تعالى ورقابته، فلا يطلق العنان لنفسه، أن تقوده نحو المعصية؛ لأن النفس كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ﴾(يوسف: ٥٣)ولا يطلق العنان لبصره، فينظر إلى ما حرم الله عبر الإنترنت، أو الفضائيات، أو غيرها، ولا يبالي من أجل تمتع ناظريه، بل يتذكر قول الله- تعالى-:

---

(1) انظر: (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) (١/١٤٨).

(2) مفاتيح الغيب (٩/٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠)، وليس النساء بمنأى عن هذا النداء، بل قال– تعالى–: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ (النور: ٣١)، فإذا وقع في معصية يتوب منها ويتذكر قول الله– تعالى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

المطلب الثاني: امرأة فرعون.

ومع نموذج آخر للذين نجوا من الغواية؛ نتيجة استعلاء الإيمان في قلوبهم ويتمثل بإمراة فرعون، وقد ذكر القرآن الكريم امرأة فرعون في موضعين اثنين:

أولها، قوله– تعالى–: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: ٩)، والموضع الثاني، قوله – تعالى–: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم: ١١).

لم يذكر القرآن اسم امرأة فرعون، وإنما ذكرتها السنة النبوية، والتي هي شارحة لكتاب الله – عزَّوجلَّ–، فعن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله–ﷺ–: (كَمَلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسيةُ امرأة فرعون......)[١].

وآسية بنت مزاحم، كانت من خيار النساء، ومن بنات الأنبياء، تزوجها فرعون، فكانت بخلافه، صاحبةَ قلب يملؤه الرحمة، وأماً للمساكين، ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم[٢]، جعلها الله –عزَّوجلَّ– مثلاً أعلى للمؤمنين، وجعلها النبي–ﷺ– من أفضل نساء أهل الجنة، ومن النساء الكُمَّل في هذه الدنيا من لدن حواء إلى قيام الساعة.

قال السُدي: " أمر فرعون أن يذبح مَن وُلِد من بني إسرائيل سنة، ويتركوا سنة؛ فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى-عليه السلام-؛ فلما أرادت وضعه، حزنت من شأنه، فأوحى الله إليها"[٣]

([1]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب، فضائل أصحاب النبي–ﷺ–، باب: فضل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث (٣٧٦٩)، ص (٦٨٤).

([2]) انظر: (معالم التنزيل): البغوي (١٩٣/٦).

([3]) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٥١٩/١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: ﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي.....﴾(طه: ٣٩) أي: " أَحَبَه الله وحبَّبه إلى خلقة"، وقال ابن عطية: " جُعل عليه مسحة من جمال، لا يكاد يصبر عنه من رآه"، وقال قتادة[1]: "كانت في عيني موسى-عليه السلام- ملاحة، ما رآه أحد إلا أحبه، وعشقه"[2].

فاجتمع على أم موسى حبها الفطري لوليدها وحبها بسبب إلقاء محبة الله فيمن ينظر إلية، فلمَّا ضاق عليها أمرها، أوحى الله إليها أن ترضعه، وتضعه في التابوت، وتلقيه في اليم، كما في- قوله تعالى-: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(القصص:٧).

وقوله- تعالى-: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(القصص: ٧)، أمرها الله عزَّوجلَّ- بوحي إلهام- بإرضاعه، فإذا خافت عليه من يقتل من فرعون، أمرها أن تقذفه في اليم، ولا تحزن على فراقه، وأن تكل أمره إلى الله، وأن تضرب بالخوف والحزن جانبًا؛ لأنه في رعاية الله- عزَّوجلَّ-، فاستجابت أم موسى، ووضعت ابنها في التابوت استجابة لوحي الله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ (طه: ٣٧ – ٣٩).

لولا أن القلوب بيد الله – عزَّوجلَّ- لطار قلب أم موسى -عليه السلام-خوفًا على وليدها، وقد عبر القرآن عن الحالة التي أصبحت فيها أم موسى-عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص: ١٠)، أي: أصبح قلب أم موسى-عليه السلام- فارغًا من كل شيء سوى موسى، وهمها وخوفها عليه، لدرجة أنها كادت تكشف أمره بالصراخ من شده ما ألَمَّ بها من الخوف على ولدها؛ ولكن ثبَّتها الله –عزَّوجلَّ-، وصبرَّها لتكون من المصدقين لوعده، [3].

وكانت النتيجة التي تخشاها أم موسى-عليه السلام-: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾(القصص: ٨)، إنها القدرة الإلهية، تتحدى فرعون وهامان وجنودهما، فيقف التابوت

---

(1) قتادة: هو قتادة بن دُعامة بن قتادة السَّدوسِي أبو الخطَّاب البصري الضَّرير، ثقة ثبت، كان رأسًا في العربية والغريب، وأيام العرب وأنسابها، حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب الناس، يُقال ولد أكمه، مات سنة ١١٧هـ، نظر: (تقريب التهذيب): ابن حجر العسقلاني (٤٥٣)، و(طبقات النَّسَّابين): لبكر أبوزيد(٣/١).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (١١/١٧٧).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩/٥٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمام قصر فرعون، فالتقطته الجواري وذهبْن به إلى امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، فلما كشفت عنه، وفتحت التابوت، أوقع الله محبته في قلبها.

فلم ينج الله موسى بالسلاح ولا بالمال ولا بالجاه، وإنما بستر رقيق شفاف، إنه ستر الحب كما قال- تعالى-: ﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي..﴾، فاقتحمت به يد القدرة قلب امرأة فرعون، بعد أن اقتحمت عليه حصنه، فحمته بالمحبة[١]، في وقت كان فيه زبانية فرعون يتتبعون أخبار الذكور من مواليد قوم موسى-عليه السلام-، خوفًا على ملكهم وعرشهم، ويبثون عيونهم في كل مكان كي لا يفلت منهم طفل، فها هي القدرة الإلهية تلقي في أيديهم بلا بحث ولا كد الطفل الذي على يديه هلاكهم جميعًا، فاقتحم على فرعون حصنه، ليكون لهم عدوًا يتحداهم، وحَزَنًا يدخل الهمَّ على قلوبهم[٢].

وتحرك الإيمان والحنان لدى امرأة فرعون لتقف في وجه السفاح بقولها: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص: ٩).

أي: تخاصم عنه وتحببه إلى فرعون: إنه مما تقر به العيون وتفرح له القلوب، لي ولك يا فرعون، قال فرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا، فكان كذلك[٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما:" لو أن عدو الله قال في موسى-عليه السلام- كما قالت آسية: عسى أن ينفعنا، لنفعه الله، ولكنه أبى، للشقاء الذي كتبه الله عليه"[٤]، ثمَّ بيَّنت العلة التي قالت لأجلها ما قالت.

قوله- تعالى- ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾أي: علنا نصيب منه خيرًا، إذ رأت فيه علامات النجابة، ومخايل اليُمن، وقوله -تعالى-:﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ لما فيه من الوسامة والجمال التي تجعله أهلاً لتبني الملوك، وكانت لا تلد فاستوهبته من فرعون، فوهبه لها، وأضفت عليه حبها [٥].

قال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيها أربعة أقوال.

أحدها: لا يشعرون أنَّه عدوٌّ لهم.

والثاني: أنَّ هلاكهم على يديه.

والثالث: لا يشعر بنو إسرائيل أنَّا التقطناه.

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥/٢٤١١).

(2) انظر: (المصدر السابق) سيد قطب (٥/٢٤١١).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩/٥٢٤).

(4) معالم التنزيل: البغوي (٦/١٩٣).

(5) انظر: (تفسير الشيخ المراغي): أحمد المراغي (٢٠/٣٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرابع: لا يشعرون أنّي أفعل ما أريد لا ما يريدون(١).

والمتأمل في الأقوال الأربعة يجد أنها واقعة بهم، فهم لا يشعرون.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص: ١٢ – ١٣).

لقد تجلت عناية الله ورعايته لنبي الله موسى-عليه السلام-في جميع أطواره منذ ولادته وحتى وفاته، ورجع موسى-عليه السلام- إلى الحضن الذي فارقه بعد أن حرمَّ الله عليه المراضع ليتحقق وعد الله لها في رضاعته وكفالته، ولها على ذلك أجر، فلمَّا بلغ موسى أشده، لم يستطع أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل، إلى أن قتل فرعونيًا نصرة للإسرائيلي، فهرب موسى حتى خرج من تلك الديار، ليرجع بعد عشرة من السنين يحمل الدعوة والرسالة إلى فرعون وملئه.

ولمَّا وقعت المواجهة بين موسى-عليه السلام-وبين فرعون وسحرته، كانت آسية ترصد الموقف وتراقب عن كثب، وتدعو الله سبحانه وتعالى أن ينصر موسى-عليه السلام- على فرعون وملئه، فأصبح موسى-عليه السلام-قرة عين لها بقضاء الله وقدره، بعد أن عرفت الحق آمنت برسالة موسى ودعوته وكفرت بألوهية فرعون، وأصبحت مثلاً للمؤمنين في إصرارها على الإيمان وتركها للقصور والنعيم الدنيوي، واختارت ما عند الله على ما عند فرعون.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم: ١١).

فقد ضرب الله في هذه الآية الكريمة مثلاً للمؤمنين في الثبات على الدين رغم شده البلاء واللأواء، فآسية امرأت فرعون كانت تعيش تحت أعدى أعداء الله، فآمنت بالله وكفرت بفرعون، ونجت من الغواية، فلمَّا علمَ فرعون بإيمانها وتَدَّ لها أربعة أوتاد، وأضجعها على ظهرها، وجعل على صدرها رحى، واستقبل بها عين الشمس، وألقى عليها صخرة عظيمة، فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فرقى بروحها إلى الجنة، فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه(٢).

وهذا الدعاء يشعر بأن فرعون وزبانيته، قد صدوها عن الإيمان، وعذبوها، بل وهددوها بأنها إن آمنت.. حرموها من قصر فرعون، وزينته وفخامته(٣).

---

(1) انظر: (زاد المسير): ابن الجوزي (٦/٢٠٤).

(2) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (١٥/٣٩٠)، و (فتح القدير): الشوكاني (٧/٢٦١-٢٦٢).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (١٤/٤٨٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد وصفها الله تعالى بالإيمان والتضرع إليه، وقد سألت ربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة وأن يعوضها عن دار فرعون في الدنيا، دارا في أعلى درجات الجنة بجوار الرحمن.

فاختارت الجوار قبل الدار، وأن ينجّيها من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها[١] فاستحقت آسية أن تكون أفضل نساء أهل الجنة على صبرها، وإيمانها وثباتها رغم الفتن والشدائد التي تعرضت لها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده، عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: خطَّ رسول الله -ﷺ- في الأرض أربعةَ خطوط، (قال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله -ﷺ-: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران رضي الله عنهنَّ أجمعين)[٢].

المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون.

ومع نموذج آخر للذين نجوا من الغواية مؤمن آل فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(غافر: ٢٨).

والراجح من أقوال العلماء أن هذا الرجل من جماعة فرعون بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾(غافر: ٢٨)[٣].

وقد جاء ذكر الرجل المؤمن في القرآن الكريم في عدة مواضع.

أولها: حينما أنكر على فرعون وملأه عندما قرروا قتل موسى-عليه السلام-، قال- تعالى- على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ (غافر: ٢٦)، فقال لهم الرجل المؤمن: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾.

الثاني: لمَّا قال فرعون لقومه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩).

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٨٧٤/١).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٠٩/٤)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٥٠٨)، ص (٨٢/٤)..

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٣٤٥/٢١)، و (مفاتيح الغيب): الرازي (٣٢٦/١٣)، و (فتح القدير): الشوكاني (٦٩٦/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى على لسان الرجل المؤمن: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ (غافر: ٣٠ – ٣٣).

الثالث: لمَّا طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحًا استهزاء برب العالمين، قال تعالى: ﴿ فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (القصص: ٣٨)

فقال الرجل المؤمن: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾(غافر: ٣٨).

الرابع: لمَّا وجدهم الرجل المؤمن على الكفر أراد تخويفهم وترهيبهم، فقال لهم: ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (غافر: ٤٤).

وهذا النموذج يُمَثِّلُ عنوانًا للذين يصدحون بكلمة الحق في وجه السلطان الجائر، ومثلاً لمن ذاقوا حلاوة الإيمان، فآثروا إعلان براءتهم من الكفر، وإظهار موالاتهم لدين الله–عزَّوجلَّ–.

وظهرت قصه مؤمن آل فرعون عندما اشتدَّ حقد، وغضب فرعون على موسى–عليه السلام– ودعوته، فأمر فرعون بقتل موسى كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ ﴾، وسبب القتل بيَّنته بقية الآية الكريمة، في قوله– تعالى–: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴾ (غافر: ٢٦).

وقد رأى مؤمن آل فرعون ما يدبِّر له فرعون وملؤه من قتلٍ لموسى–عليه السلام–، فتحرك الإيمان الكامن والمكتوم في قلبه ليصدح بكل وضوح ببراءته من فرعون ودينه، وموالاته التامة لموسى–عليه السلام– ودينه.

وبدأ مؤمن آل فرعون يظهر للعيان بدون خوف أو وجل ليحاجج قومه ويثبت خطأهم وفساد عقيدتهم بالحجة، والبراهين، قال – تعالى–: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ (غافر: ٢٨).

لقد كانت هذه الرسالة الأولى من مؤمن آل فرعون لفرعون وقومه عن سبب قتل موسى–عليه السلام–:وهو يقول لهم: ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾، وهو الذي جاءكم بالحجج، والبراهين الواضحة؛ فإن كان كاذبًا فإنما إثم كذبه عليه، وإن كان صادقًا في قوله، أصابكم ما وعدكم به من العقوبة بسبب بقائكم على دينكم الذي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنتم عليه، فلا حاجة بكم إلى قتله؛ لأن قتله سيزيد ربكم سخطًا على سخطه جراء كفركم، وقوله- تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾أي لا يُوَفق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله[1].

والظاهر أن مؤمن آل فرعون قد خاض مع قومه جولة ضخمة جالها مع المتآمرين من فرعون وقومه، وقد بدأ معهم بعد استنكاره على أمرهم بقتل موسى-عليه السلام-، وأخذ يسوق لهم أدلة بطلان قتل موسى-عليه السلام-، قال –تعالى-: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ (غافر: ٢٩).

لقد ظهر شعور مؤمن آل فرعون إلى السطح، وأخذ يشعر بما يشعر به كل قلب مؤمن تجاه دين الله، فأخذ يحذرهم من بأس الله؛ لأنه أقرب ما يكون من أصحاب الملك والسلطان، فهم أولى الناس باتقائه؛ لأن بأس الله يتربص بهم، ثم أخذ يذكرهم بما هم فيه من النعم والسلطان والغلبة على الناس، ويشعرهم أنه واحد منهم، وهو يذكرهم ببأس الله﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾، وهذا ما يجعلهم يأخذوا نصيحته باهتمام، ويشعرهم أن بأس الله إذا جاءهم فلا مردَّ له، ولا ناصر، وهم أضعف ما يكونون تجاهه.

هنا ينتفض فرعون ويأخذه ما يأخذ كل طاغية توجه له النصيحة، تأخذه العزة بالإثم، ويرى في نصيحة الرجل المؤمن تدخلاً في نفوذه وسلطانه، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩)، قال فرعون لا أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي، وهو الصواب والرشاد بلا شك ولا جدال، وهذا ديدن الطغاة، فقد أضلهم الله، وختم على سمعهم وقلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فيعتقدوا أن ما يفعلونه هو الصواب الحق، ومع هذا الصلف والتكبر والعربدة يجد الرجل المؤمن أن من واجبه إسداء النصيحة لفرعون وملأه رغم ما يعلنون من رفض لنصيحته، فأخذ يطرق أسماعهم وقلوبهم بإيقاع آخر علَّهم ينتفعوا وعلَّهم يستجيبوا، فأخذ يحذرهم من بأس الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ (غافر: ٣٠ - ٣٣).

فيبدو أن قومه طُبع على قلوبهم، فهو يقرع أسماعهم، وقلوبهم بتذكيرهم بمصارع الأقوام الذين كذبوا، وكفروا بالله عبر التاريخ، أمثال قوم نوح، وعاد، وثمود، وكيف أصبحت مصارعهم شاهدة على بأس الله يوم أن جاءهم، ثم انتقل بهم إلى يوم القيامة وما فيه من أهوال، فما زادهم نصحه، ووعظهم إلا طغيانًا ونفورا[٢].

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٢١/٣٧٧).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٧/١٤٣)، و (في ظلال القرآن): سيد قطب (٦/٢٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وانتقل فرعون إلى مرحلة جديدة من الكفر والطغيان وهي تكذيبه بأن هناك إلهًا غيره، قال –تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾ (غافر: ٣٦ - ٣٧).

فلمَّا رأى مؤمن آل فرعون تعلق قومه بالملك والسلطان وبزهرة الحياة الدنيا على حساب الآخرة، أراد أن يبيِّن لهم حقيقة وقيمة الدنيا بالنسبة للآخرة، وأنها لا قيمة لها في مقابل دار الخلود والنعيم المقيم، قال– تعالى–: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(غافر: ٣٨ – ٤٠).

قبل لحظات كان فرعون يقول لقومه ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩)، كذبًا وزورًا وبهتانًا، والرشاد ضد الغي، وفي الآية تعريض شبيه بالتصريح، وكأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي[١].

والجميل أن الرجل المؤمن لم يخش قوة سلطان فرعون وصدح بكلمة الحق في وجهه، وبيَّن ما يدعيه هو الكذب، فقال لقومه ممن تمردَّ وطغى وآثر الحياة الدنياكَذَٰلِكَ ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾، ثم بدأ يبيِّن لهم سبيل الرشاد، وهي أن يعرف كل واحد منهم حقيقة الدنيا، وأنها متاع زائل، وأن الآخرة هي دار البقاء، وإليها النظر الدائم، ثم إذا هو يقرر لهم قاعدة الحساب والجزاء في الآخرة، قال –تعالى–: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، وهذا فضل من الله لعباده في هذه الحياة الدنيا، إذ اقتضت سنته وحكمته أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات رحمة منه لعباده، بل جعلها كفارة للسيئات، فإذا دخلوا الجنة رزقهم فيها بغير حساب.

وبعد هذه الجولة المحتدمة بين مؤمن آل فرعون و فرعون وقومه، يصبح متهمًا عندهم في إيمان، فحاوره قومه للرجوع عن دينه، والعودة إلى الوثنية، مما جعله يستهجن من هذا العرض الساخف، قال تعالى: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴾ (غافر: ٤١ – ٤٢).

يستنكر الرجل المؤمن أن يدعوهم إلى الجنة والنعيم المقيم والدائم، وإلى النجاة من عذاب الله بقوله: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ﴾، وهم يدعونه إلى الكفر، والوثنية،﴿ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ

---

(١) انظر: (الكشاف): الزمخشري (٦/١١٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ فشتان ما بين الدعوتين، دعوةُ واضحة صريحة مستقيمة، تدعوا إلى إله واحد، ودعوة تدعوا إلى الشرك والكفر بالبراهين والحجج التي تدل على وحدانية الله(١).

فلمَّا تبيَّن له إصرارهم وتمسكهم بعقيدتهم الفاسدة، اقتنع أن لا جدوى من استجابتهم له، وأن عدائهم سيجرهم إلى عقوبة إلهية، فأحزنه ذلك فهددوه وتوعدوه بالقتل، فقال لهم بحال المؤمن المشفق عليهم من النار، ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤).

أي: سوف تتذكرون صدق قولي لكم، ودعوتي لكم بالنجاة من الكفر والشرك، والالتزام بأوامر الله، والبعد عن نواهيه، وإني مفوض أمري إلى الله فمنه أستمد الاستعانة والعصمة من كل سوء، وهو وحده المطلع على عباده العليم بأحوالهم(٢).

قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥).

وهذا دليل واضح على أن التوكل الصادق، وتفويض الأمور إلى الله، سبب رئيس في الحفظ، والوقاية من كل سوء، وقد جاء ذلك في العديد من آيات القرآن الكريم، قال– تعالى–: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ (الطلاق: ٣)، وفي قوله– تعالى–: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾(آل عمران: ١٧٣).

فلا شك أن فرعون وأعوانه مكروا بمؤمن آل فرعون، ولم يفصح القرآن الكريم عن طبيعة المكر الذي تعرض له، ولكن يبدو أنه تعرض للتعذيب، والمطاردة، ولكن الله–تعالى– وقاه سيئات ما مكروا وأنجاه الله من بطشهم وإفسادهم، وحاق بآل فرعون أشد العذاب فهم يعذبون في الحياة البرزخية ويوم القيامة ينتظرهم أشد العذاب(٣).

فكانت النتيجة الحتمية، أن إيمان هذا الرجل، وجهره بالحق في وجه السلطان الطاغية والجائر أن وقاه الله– تعالى– من غوايتهم، ومما أراده الظالمون به من أذى وعدوان، كما قال– تعالى–: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾(فاطر: ٤٣)(٤).

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٢٥٩/٦)

(2) انظر: (التفسير الوسيط): الزحيلي (٢٢٧٦/٣).

(3) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود (٢٧٨/٧).

(4) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): سيد طنطاوي (٢٩٥/١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع: سحرة فرعون.

نموذج آخر للذين سلكوا طرق الغواية، فأنجاهم الله منها عندما استنارت قلوبهم بالإيمان.

لقد كان سحرة فرعون جزءًا من نظام فرعون القائم على استرهاب الناس، وسحق وعيهم سحقًا وحشيًا، حتى أضحت عقولهم مقيدة للأوهام والأباطيل، فلمَّا أوحى الله– تعالى– إلى موسى–عليه السلام–، وكلَّفه بالرسالة إلى فرعون وملئه، أيده الله– تعالى– بالآيات والبراهين الدالة على صدق رسالته ودعوته، وقد كان من هذه الآيات التي أعطاها الله لموسى–عليه السلام– هي العصا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (طه: ١٧ – ٢٣).

لقد اتهم فرعون موسى–عليه السلام– بالسحر، وكان فرعون يعتمد على السحرة في استمالة قلوب وعقول الناس نحوه، فأراد أن يواجه موسى–عليه السلام–، كما قال تعالى:﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ (طه: ٥٦ – ٥٩).

إنَّ الفرق بين ما جاء به موسى–عليه السلام– وما جاء به قوم فرعون، يبيِّنه الإمام الشعراوي بقوله:" السحر لا يقلب حقيقة الشيء، بل يظل الشيء على حقيقته، ويكون السحر للرائي، فيرى الأشياء على غير حقيقتها، كما قال تعالى:﴿ ..سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ .. ﴾(الأعراف: ١١٦) فلما ألقى السحرةُ حبالهم كانت حبالاً في الحقيقة، وإنْ رآها الناظر حيّات وثعابين تسعى، أما عصا موسى فعندما ألقاها انقلبت حية حقيقية، بدليل أنه لما رآها كذلك خاف منها"(١).

فقالوا لموسى–عليه السلام– حدد لنا موعدًا معلومًا نجتمع نحن وأنت، فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر، وليكن المكان وسطًا بين الفريقين، فقال لهم موسى–عليه السلام–: موعدكم يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم، يجتمع فيه كل سكان مصر، يتزينون فيه، وهو الوقت المعلوم الذي أشار إلية الحق في سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾، واليوم المعلوم هو: يوم الزينة، وأن يُجمع الناس في وقت الضحى، كما قال – تعالى–: ﴿ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ أي: ضاحين، وموسى–عليه السلام– يريد أن يكون هذا اللقاء في وضح النهار ليشهده الجميع(٢).

---

(1) تفسير الشعراوي (٥٧٠٢/١).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٢٨/٤)، و (تفسير الشعراوي): للشيخ الشعراوي(٥٧٠٣/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فانطلق فرعون يحشد الحشود من كبار السحرة في جميع أنحاء مصر، كما في قوله– تعالى–: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ (الأعراف: ١١١-١١٢)،

وقوله–تعالى–: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ (يونس: ٧٩)، وقوله–تعالى–: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾(طه: ٦٠).

وجاء فرعون بسحرته للميعاد المعلوم الذي بينه وبين نبي الله موسى–عليه السلام– ليغلبه على حد زعمه بسحره، وقد كان فرعون في استقبالهم ليشد أزرهم، والسحرة في هذا الوقت طلاب دنيا، فقالوا لفرعون: ﴿.... أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ (الشعراء: ٤١ – ٤٢).

يقول الشيخ الشعراوي: " فانظر إلى مسيرة الإله فرعون في رعيته، فالإله الحق يُطْعِم ولا يُطْعَم، ويجير ولا يُجَار عليه، الإله الحق يُعطي ولا يأخذ، ولما اجتمع السحرة وهم أبطال هذه المباراة، ويعلمون مدى حاجة فرعون إليهم في هذا الموقف؛ لذلك بادروا بالاتفاق معه والاشتراط عليه: إنْ كنت تُسخِّر الناس في خدمتك دون أجر، فهذه المسألة تختلف، ولن تمر هكذا دون أجر"[١].

وهل الإله الحق يحتاج إلى معاونة الغير؟

وقد كان السحرة في هذا الوقت من طلاب الدنيا فطلبوا من فرعون أن يغدق عليهم المال مقابل دعم إلوهيته الباطلة، فوعدهم بالمال والجاه ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾[٢].

وجاء السحرة من كل مكان في مناظرة علنية واضحة، بين نبي الله موسى–عليه السلام– و فرعون وسحرته، واختلف المفسرون في عددهم، حتى أن بعضهم أوصلهم إلى سبعين ألفًا[٣].

واجتمع الناس من كل حدب وصوب، سواء كان من الفراعنة، أو من بني إسرائيل، وموسى وهارون ليس معهم إلا الله –عزَّوجلَّ–، وبدأ السحرة يحاورون موسى وهم في منتهى الثقة بأنفسهم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ (الأعراف: ١١٥ – ١١٦)، وقوله – تعالى–: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ (طه: ٦٥ – ٦٦)

---

(1) تفسير الشعراوي (٦٥٣٨/١).

(2) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٤٧٣/١١).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٢٦/١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه الآيات تبيِّن أن السحرة كانوا متأدبين مع موسى-عليه السلام-، وهذا الأدب منهم كان سببًا في رحمة الله بهم وبهدايتهم فكانوا أول المؤمنين(١).

فاختار موسى-عليه السلام- أن يبدءوا بإلقاء حبالهم وعصيهم وما حملوه معهم، فألقوا حبالهم وعصيهم، كما قال –تعالى-: ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (الشعراء: ٤٤).

لقد أقسم السحرة بعزة فرعون؛ لأن فرعون لا يغلب ولا يقهر في نظرهم، والحقيقة أن العزة الحقة لا تُغلب، وعزة فرعون مصطنعة، وكاذبة، وليس لها رصيد من الحق، وما دام الأمر كذلك، فأنتم الأذلة، والمهزومون(٢).

فإذا بالحبال والعصي تتحول إلى ثعابين مرعبة، ومخيفة، وقد وصف الله-تعالى- ما جاءوا به من السحر، بالسحر العظيم، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأعراف: ١١٦)، فالقرآن يقرر أن السحر عظيم، والسحر وقع على أعين الناس، وأثار السحرة الرهبة والخوف في قلوب الناس كما أخبر القرآن﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾.

فالساحر يسيطر على عين المسحور ليري ما ليس واقعًا، وما ليس حقيقة، لتصبح عين المسحور خاضعة للساحر، قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾(طه: ٦٦).

والسحر تَخَيُّل وليس حقيقة، فالحبال والعصي لا تسعى، فالساحر يسحر أعين الناس، والمرئي يبقى كما هو لا يتغير، فالعصى هي هي، والحبال هي هي، والذي يتغير هو عين الرائي، ولذلك قال الله-تعالى-﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾، فالسحر لا يقلب الحقيقة، ويراها الساحر على طبيعتها، ولذلك ظل ما ألقوا في نظرهم حبالاً وعصيًّا، غير رؤية الناس، قال- تعالى-: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾، خُيِّلَ للجماهير فقط أنها تسعى، وليس للسحرة؛ لأن السحرة يعرفون الحقيقة، (٣).

فهذا المشهد المفزع انعكس على نبي الله موسى، لأنه في النهاية بشر؛ ولكنه مؤيد من رب السماء، قال تعالى:﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(طه: ٦٧ – ٦٨)، فموسى-عليه السلام- لم يخف من الثعابين؛ ولكنه خاف أن يفتن الناس بما رأوا من السحر، فظن السحرة أن موسى-عليه السلام- سيخاف وتنتهي المناظرة بالتسليم للسحرة، ونسوا أن موسى مؤيد بالمعجزات.

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٧/٢٣٠).

(2) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (١/٦٥٤١).

(3) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٢/٣٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الله-تعالى-:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٧ – ١١٩)، وقوله- تعالى-: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾(الشعراء: ٤٥)،وقوله- تعالى-:﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾(طه: ٦٨ – ٦٩).

احتاج موسى-عليه السلام- في هذا الموقف العصيب إلى وحيٍ جديد، وقد كان قد دُرب على إلقاء العصا من قبل؛ لأن هناك فرقًا ما بين التعليم للإعداد لما يكون، والتنفيذ لما يكون، فربما قد دخل على بشرية موسى شيء من الخوف والضعف نتيجة السحر العظيم والاسترهاب، فلا بد من أمر جديد[١].

فأوحى الله إليه أن يلقي عصاه، فإذا هي تلقف ما يأفكون، والإفك هو: قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذب إفك؛ لأنه مقلوب عن وجهه، والعصا هنا تلقف ما قلبوه من الحق إلى الباطل بسحرهم[٢]، وإذا بها تأكل كل الثعابين الموجودة في الميدان لا تألوا على شيء؛ لأن ما صنعوه كيد ساحر، والكيد: هو التدبير الخفي، بالمكر والحيلة للتغلب على الخصم، ولا يفلح الساحر أنَّى ذهب؛ لأنه لا يعتمد على الحقيقة الثابتة، بل يعتمد على التخيل، في قلب واضح للحقائق[٣].

قال تعالى: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ (الأعراف: ١١٩ – ١٢٢)، وقوله- تعالى-: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ (الشعراء: ٤٦ – ٤٨)، وقوله تعالى:

لقد حدث مالم يتوقعه فرعون، فلم ينظر السحرة إليه، بل مباشرة بمجرد رؤيتهم لعصا موسى وهي تلقف ما صنعوا، فقال-تعالى-﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾، ولم يقل﴿وسجد السحرة﴾؛ لأن خرورهم سجدًا ليس برأيهم، ولكن نتيجة عملية إنبهارية لما حدث أمامهم، فكأن شيئًا أخر ألقاهم ساجدين، وهو الانبهار الحق، فالساحر يعتقد أن ما يفعله هو سحر؛ لأنه على غير الحقيقة، لكن لمَّا رأى السحرة الحية حقيقية، فهم لا يعرفون دعوة موسى -عليه السلام-، لكن الذي علموه يقينًا أن موسى مؤيد بالمعجزات، وما رأوه معجزة حقيقية، فعرفوا أن المسألة ليست سحرا، وهم العلماء والخبراء في السحر، فلقفت ما ألقوا من الحبال والعصي التي تقدر بأنها حُمِّلت على

---

(1) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٣٠٠١/١).
(2) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (٢١٢/٧).
(3) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٢٧/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبعين بعير، والحية تلقف كل هذا دون أن يتغير حجمها، فهذا لا يمكن أن يفعله الساحر بأي حال من الأحوال[١].

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾، لحظات زمنية معدودة تفرق بين الكفر والإيمان، كانوا قبل لحظات يقولون لفرعون: ﴿.... أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾ وأصبحوا الآن في عداد المؤمنين.

قال الله-تعالى- على لسان فرعون: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴾(طه: ٧١)، وقوله- تعالى-: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾(الشعراء: ٤٩).

هذه الآيات تبيّن أن فرعون فزع، وارتعب من إيمان السحرة؛ لأن السحرة بإيمانهم بدعوة موسى، ونبوته، يهدمون ألوهية فرعون المزعومة ويثبتون ألوهية الواحد الأحد، بدليل أن فرعون لمَّا هددهم بالقتل والتعذيب، والنكاية، واتهم موسى بأنه كبيرهم، الذي علمهم السحر، مع أن موسى غائب عن أرض مصر عشر سنوات، والسحرة جَمعهم فرعون من أرجاء مصر وليس موسى، فهو لم يرهم إلا في هذا المكان، كان رد السحرة صريحًا، ينبئُ عما بداخلهم من إكراه فرعون لهم على صنعهم للسحر، قال-تعالى-: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾(طه: ٧٢ – ٧٣)، وقوله-تعالى-: ﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٥٠ – ٥١)، فكأنهم يعلمون مسبقًا أنهم كاذبون، وما يفعلونه من السحر، إنما هو خداع للناس. ولذلك قالوا: إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا ما اقترفناه من إثم في تضليل الناس، فآمنوا جميعًا إيمانًا حقيقيًا، فكل التهديدات التي تلقوها من فرعون لم تمنعهم من الرجوع عن الدين الجديد، حتى قتلوا جميعًا، قال قتادة: "كانوا في أول النهار كفارا سحرة، وفي آخره شهداء بررة"[٢].

وهكذا الإيمان إذا لامست بشاشته القلوب، لكن السؤال كيف يقتلهم فرعون وقد كانوا جزءًا رئيسًا في نظامه، بل ركنًا هامًا في تثبيت ملكة، والجواب: أن هذا دأب الطواغيت في كل عصر من العصور، فهم لا يتورعون في قتل أحد، كائنًا من كان في سبيل المحافظة على الملك، والسلطان، أما موسى-عليه السلام-، فلا يستطيع فرعون في تلك الأثناء أن يقتله؛ لأن الموقف أصبح بيد موسى، فأصبحت له الغلبة والعزة، والجماهير متعاطفة مع

([1]) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٣٠٠٥/١).

([2]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي (٣٥٢/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موسى-عليه السلام-، فلو قتله لربمَّا أصبح هناك فتنة في مصر وربما آمن الناس جميعًا، كما حدث مع أهل الأخدود لمَّا تبين لهم صدق الغلام، فترك موسى-عليه السلام-يعيش في مصر لتُدبَر له بعد ذلك المكيدة تلو والمكيدة في سبيل الوصول إلى قتله بعيدًا عن أعين الجماهير.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٧).

ويبدأ القرآن بذكر مشهد جديد بعد إعلان الهزيمة المنكرة لفرعون، وأتباعه، لقد كَبُرَ عليهم أن يخرج موسى-عليه السلام- ومن معه، فبدأ الملأ يأتمرون بهم، ويهيِّجون فرعون لقتله، ويخوفونه من العاقبة الأليمة، وهي القضاء على إلوهية فرعون، وتثبيت السلطان لموسى -عليه السلام-، قال فرعون:﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾.

ومن هنا نعلم أن المقربين من فرعون، هم أحرص من فرعون نفسه على السلطان، ليس خوفًا وشفقه على فرعون، بل حفاظًا على مصالحهم، ومنافعهم الشخصية؛ لأن زوال حكم وسلطان فرعون، هو زوالٌ وانتهاءٌ لمنافعهم، والحقيقة أن هذا ما نراه عيانًا في أنظمة الطواغيت، إذ الذي يدافع عنهم ويوغل في دماء الشعوب، إنما هم المتحكمون في مفاصل الحكم حفاظًا على مصالحهم الشخصية.

ويمضي فرعون في تنفيذ، وعيده، وتهديده لمن آمن مع موسى-عليه السلام- وما آمن له إلا القليل من قومه، كما بيَّن القرآن: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾(يونس: ٨٣)، فلمَّا رأى بنو إسرائيل ما رأوا من إيذاء فرعون لهم، قالوا لموسى-عليه السلام-: ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٩).

فيمضي موسى-عليه السلام- في تثبيت المؤمنين، ويقرر لهم الحقيقة بأن الأرض ليست لفرعون، ولا لأتباعه، بل لله الواحد القهار والعاقبة لا تكون إلا للمتقين.

المطلب الخامس: مؤمن آل ياسين:

وهذا النموذج للناجين من الغواية يمثل العنوان الأبرز لكل الدعاة والمصلحين، ومن يعملون لنصرة الحق، وإعلاء كلمه الله-تعالى- في كل زمان ومكان؛ لأن الله- تعالى- يقيِّض لدينه رجالاً يتصدون للباطل، وينتصرون للحق، ولو كلفهم ذلك أغلى ما يملكون، ومنهم مؤمن آل ياسين، فقد حدثنا القرآن عن قصته في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قولـه –تعـالى–: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾(يس: ١٣ – ١٩).

وتبدأ قصة مؤمن آل ياسين، بالأحداث التي وقعت للرسل الذين أرسلهم الله –تعالى– لتلك القرية، كما قال –تعالى–: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

اختلف المفسرون في اسم هذه القرية، وفي ماهية الرسل الذين جاؤوها، فقال جمع من المفسرين أن هذه القرية هي أنطاكية، والمرسلون هم من الله –تعالى–، وقيل أنهم رسل من عيسى –عليه السلام– على الابتداء(١)، غير أن ابن كثير ومعه بعض المفسرين قالوا: أن القرآن الكريم لم يذكر من هم أصحاب القرية؛ لأن اهتمام القرآن في هذه القصة وغيرها من قصص القرآن إنما هو للعبرة، والاتعاظ، وعدَّدَّ ابن كثير الوجوه التي يبين بها حجته:

الأول: أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله– عز وجل– لا من جهة عيسى، كما قال –تعالى–: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل عيسى إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح –عليه السلام–، ولهذا كانت عند النصارى، إحدى المدن الأربعة التي فيها بتاركه– أي: علماء دين–.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب عيسى، كانت بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغيره، أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين(٢).

وهذا الذي يرجحه الباحث بعد الرجوع إلى بعض أقوال المفسرين، أن الله–تعالى– لم يعين اسم هذه القرية؛ وذلك لأنه لو كان في بيان هذه القرية بعينها مصلحة لبيَّنها، وكذا حال بعض الأشخاص، أو الأماكن، أو الأزمان؛ لأنه ليس فيه فائدة تذكر، والمقصود في مثل هذه المواطن هو العبرة بما وقع في هذه الأحداث(٣).

---

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٧/١٥) و(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم): أبو السعود(٤٠٦/٥) و(فتح القدير): الشوكاني (٥٧٩/٤).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٣٥٨/١١) و (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦١/٦).

(3) انظر: (تفسير القرآن الكريم سورة يس): ابن عثيمين (٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله- تعالى-: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (يس١٥-١٧).

يبيِّن الله-تعالى للنبي الكريم-ﷺ- أن ما قامت به قريش من تكذيب هو عين ما حدث للمرسلين من قبلةِ كأصحاب هذه القرية، فكانت المواجهة بالتكذيب لا بالتسليم، وفي هذا تطمين للنبيِّ-ﷺ- بأن ما يلاقيه من قريش ليس بدعًا من الأمر، وإنما هذه طبيعة الدعوات، فكل رسالة حق لابدَّ وأن يواجهها باطل، وهذه سنن الله لا تتغير ولا تتبدل.

فأرسل الله-تعالى-إلى أهل تلك القرية رسولين لإقامة الحجة، وتوصيل رسالة الله إليهم، فتمت مقابلتهما بالتكذيب، والاستهزاء، فعزَّزهما-عزَّوجلَّ- برسول ثالث، يؤكد أنهم رسل الله، وليشدَّ من أزر الرسولين الكريمين، فتقدموا جميعهم إلى أهل القرية من جديد، فقال الله-تعالى- على لسانهم:﴿...إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾فتم مقابلتهم بثلاث اعتراضات وهي:

الأول: ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ أي ما أنتم رسل وإنا بشر مثلنا.

الثاني: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ ﴾ وأن ما تدعونا إليه ليس من عند الله ولا عن طريق الوحي، وإنما من عند أنفسكم.

الثالث: ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴾ وتدَّعون كذبًا أنكم مرسلون.

قوله-تعالى-: ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ فكانت إجابة الرسل لأهل القرية بكل ثقة ويقين بأن ما جاءوا به هو الصدق، فقالوا لهم ربنا يعلم وهذا يكفي، ثم حددوا وظيفتهم؛ بأنه ليس لهم إلا توصيل الرسالة وما كلفوا بتبليغه إليهم، فهكذا كان رد الرسل على أهل القرية، فلم يقابلوا سفاهة أهل تلك القرية بمثلها، وإنما قابلوها بالمنطق السليم(١).

وقد أكد هؤلاء الرسل رسالتهم بثلاث مؤكدات:

الأول: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ ﴾وهذا جاري مجرى القسم.

الثاني:﴿ إِنَّآ ﴾.

والثالث:﴿ لَمُرۡسَلُونَ ﴾ اللام، لشدة إنكارهم لرسالتهم(٢).

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٦/١٦٢) و (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (١٢/٢٠)..

(2)انظر: (تفسير القرآن الكريم سورة يس): ابن عثيمين (٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه المؤكدات لم تكن لتقال لولا شدة التكذيب الذي لاقوه هؤلاء الرسل من أهل تلك القرية.

قوله -تعالى-: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾

هكذا طبيعة الدعوات لابد وأن تتعرض للمعيقات، وهكذا طبيعة المكذبين، تأخذهم العزة بالإثم، فهم لا يطيقون من يأمرهم إلى الحق والهدى، فدعوة الحق عندهم شر، وصاحبها متهم يجب أن يسكت وإلا فالرجم والعذاب الأليم، فيعمدون إلى استعمال أغلظ الأساليب لمقاومة الحق، والحجة؛ لأن الباطل ضيق الصدر لا يستطيع الصمود، لذلك قالوا للرسل: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾

والتطير: هو التشاؤم، وهو من دعاوى الجاهلية، والخير والشر لا يأتي من خارج النفس، بل من داخلها ومرتبط بنواياها وبأعمالها، فالعبد هو المتحكم في حظه؛ لأن إرادة الله تنفذ إليه من خلال نيته وعمله، وأما التشاؤم بالوجوه، وبالأماكن، والأشخاص والطيور، فهذا كله من الخرافات التي لا أصل لها[1] وقد بيَّن -ﷺ- ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (لا طيرة، وخيرها الفأل)، قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)[2].

فكان التهديد والوعيد من أهل تلك القرية للرسل الكرام بالرجم والعذاب الأليم، والحقيقة أن هذا دأب المكذبين المعاندين من لدن آدم إلى قيام الساعة في مواجهة دعوات الحق بالرجم وبالتهديد والوعيد، وقد حدثنا القرآن الكريم عن نماذج من الأنبياء، والرسل، والصالحين، الذين تعرضوا لمثل هذه التهديدات.

فنوح-عليه السلام- تم تهديده بالرجم قال-تعالى-: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٦)

وإبراهيم-عليه السلام- واجهوه بنفس التهديد، قال-تعالى-: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾(مريم: ٤٦)، وشعيب-عليه السلام-هُدِّدَ كذلك، قال-تعالى-: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴾ (هود: ٩١)، وأصحاب الكهف أيضًا هُدِدُوا كذلك، قال-تعالى-: ﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ (الكهف: ٢٠).

فهذه طبيعة الدعوات، تشق طريقها رغم المصاعب والأشواك التي تعتري طريقها إلا أن النصر في النهاية حليفها، والهلاك والخسران لمن يقف في وجهها.

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٦/١٦٣).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: الطب، باب: الطِّيَرَة، رقم الحديث (٥٧٥٤)، ص(١٠٧٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله-تعالى-: ﴿...أَيِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾(يس: ١٩)، أي بسبب أنَّا ذكرّناكم ما فيه صلاحكم وهدايتكم ونجاتكم، بل أنتم متجاوزون للحد ومتعجرفون في قولكم(١).

فبعد هذه المحاورة التي دارت بين أهل القرية و الرسل، والتي تدل على سفاهة أهل القرية وسوء أدبهم مع رسل الله، يبيِّنُ تعالى ما دار بين هؤلاء القوم والرجل الصالح الذي ساءه تنكر قومه لرسل الله-تعالى، وتطاولهم عليهم، بل تهديهم إياهم بالرجم والعذاب الأليم، قوله-تعالى-: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(يس: ٢٠ - ٢١).

أي: جاء رجل ذو فطرة سليمة، يسرع الخُطا لينصح قومه، وينهاهم عن إيذاء الرسل، ويأمرهم باتباعهم؛ لأنه حينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان، تحركت هذه الحقيقة فلم يسكت وهو يرى الضلال والفجور من حوله(٢)، وفي مجيء هذا الرجل الصالح من ﴿أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ فيه تنبيهٌ على أنه من فقراء الناس، وليس من أشرافهم، وإنما هو من الضعفاء؛ ولأن الإيمان عادةً يسبق إليه الضعفاء؛ لأنهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة والوجاهة من ترفٍ وعظمةٍ، والمعتاد في هؤلاء أنهم يقطنون وسط المدينة وليس في أطرافها(٣)، وقد جاء في حديث أبي سفيان الشهير والطويل مع هرقل عظيم الشام، عندما أرسل إليه رسول الله -ﷺ- كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، وقد تزامن هذا مع وجود قافلة لقريش في الشام على رأسها أبو سفيان، فما كان من هرقل إلا أن استجوب أبا سفيان يسأله عن محمد-ﷺ- وعن دعوته، فكان مما سَئل: (.... قال: فأشراف الناس يتَّبِعونهُ، أمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فقلت: بل ضُعَفَاؤُهُمْ، قال: أيزيدون أم ينقضون، قلتُ: بل يزيدون،......، فقال للترجمان: قل له:.....، وسألتك: أشراف الناس اتَّبعوه أم ضُعفاؤُهم؟ فذكرت أنَّ ضُعفاءهم اتَّبعوه، وهم أتباع الرسل......، فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدميَّ هاتين...)(٤).

قال الرازي: قوله-تعالى-:﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ " في تنكير الرجل مع أنه كان معروفًا معلومًا عند الله فائدتان الأولى: أن يكون تعظيمًا لشأنه أي رجل كامل في الرجولية، الثانية: أن يكون مفيدًا لظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال إنهم تواطؤا"(٥).

(1) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود (١٦٣/٧).
(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٣/٦).
(3) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٣٦٦/٢٢).
(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: بدء الوحي، باب: بابٌ، رقم الحديث (٧)، ص (١٤).
(5) مفاتيح الغيب (١٩/١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله–تعالى–:﴿ يَسْعَىٰ ﴾ وهذا دليل على أن الرجل جاء مسرعًا، وقد بلغه همُّ أهل القرية برجم الرسل، أو بتعذيبهم، فأراد أن يؤدي الواجب المنوط به من النصيحة خشيةً عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناءٌ من الله–تعالى– على هذا الرجل، يفيد أن يكون هذا الرجل قدوةً في الإسراع إلى تغيير المنكر(١)، وهذا نموذج لكل الدعاة والمؤمنين أن يبذلوا قصارى جهدهم في النصح والدعوة لدين الله–تعالى–، وإنكار المنكر، فلا يوجد منكر أكبر مما لاقاه هذا الرجل، ومع ذلك لم يبق متفرجًا، بل أقدم لينصر الرسل في أحلك الظروف ليؤدي الواجب الذي عليه تجاه دعوته، ولتكن النتائج ما تكن، المهم أن يقيم الحجة عليهم ويبرأ إلى الله–تعالى–.

وقد أكثر بعض المفسرين من ذكر صنعة هذا الرجل، وحاله قبل مجيئه، فقيل أنه كان نجارًا، وقيل إسكافًا، وقيل غير ذلك، واختلف بعض العلماء في اسم هذا الرجل(٢)، والحقيقة أنه لا حاجة لنا في تفصيل ذلك؛ لأنه لم يرد نص صريح لا في الكتاب ولا في السنة يوضح ذلك، وبناءً عليه فإننا نكتفي بالهدف الذي ضرب من أجله المثل والقصص وهو الاعتبار والاتعاظ.

قوله–تعالى–: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يبيّن الله–تعالى– أن هذا الرجل بمجرد وصوله إليهم بدأ بنصحهم، وبدأ حديثه معهم بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ﴾ ولم يقل لهم يأيها السفهاء، أو يأيها الجهال، مع أنهم أساءوا أدبهم مع رسل الله، بل بقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ﴾ توددًا، وتعطفًا، وليونةً حتى يحببهم إلى قلوبهم، وهذا الذي يجب أن يسير عليه الدعاة في تعاملهم مع العصاة، قوله–تعالى–: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين جاءوا لهدايتكم وإنقاذكم من الغواية؛ لأن هؤلاء الرسل دعوا إلى ما دعت إلية الرسل كلهم(٣)، قال–تعالى–: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

قوله–تعالى–: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ أي: اتبعوا هؤلاء الرسل الذين جاءوا بأمر ربكم إليكم، ليرشدوكم إلى الطريق الحق، فهم لا يبتغون أجرًا ولا مغنمًا، وإنهم لصادقون، وإلا فما الذي يحملهم لتحمل المشاق والإيذاء والاستهزاء، وهم لا يجنون من ذلك كسبًا لولا أنهم مكلفون، والحال أنهم في أنفسهم ثابتون على الهدى، فهم يدعون إلى إلهٍ واحد، وعقيدة راسخة سليمة خالية من الخرافات(٤).

---

(1) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٢٣/١٢).

(2) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (١٧/١٥) و(تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٥٧٠/٦) و(فتح القدير): الشوكاني: (١٥٧/٦).

(3) انظر: (تفسير القرآن الكريم، سورة يس): ابن عثيمين (٧٣).

(4) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٤/٦) و (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٣/١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبدأ في حض قومه على الإيمان، واتباع الحق، عن طريق بيانه للأسباب التي حملته على الإيمان، ليستثير قلوبهم نحو الهداية، قال–تعالى-: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ (يس: ٢٢ – ٢٣).

يبيِّن الله–تعالى– أن الرجل المؤمن استنكر على قومه ما هم فيه من غواية وضلال في عبادتهم لغير الله، فيقول لهم: وأي شيء يمنع أن أعبد الإله الذي خلقني،فهذا أصل الفِطَرْ؛ لأن الفطر مجذوبةٌ إلى الذي فطرها، فانحراف الفطر وضلالها إنما نتيجة مؤثر خارجي وليس من داخلها، فكيف لي أن أدع عبادة خالقي الذي خلقني، وأعبد من دونه مالا تنفع شفاعتهن إن أرادني الله بسوء، ولا تملك لي إنقاذًا، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي إلية تصيرون، وتردون(١).

قوله–تعالى-: ﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(يس: ٢٤)، أي: إن اتخذتُ هذه الآلهة شريكًا مع الله في العبادة، وهذا تعريضٌ بهم، لأكونن في ضلال واضح، وهو الخسران(٢)، ثم ختم حديثه مع قومه في تحدٍ واضح بإعلان إيمانه بكل صراحةٍ وقوة ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الذي خلقكم ورزقكم،قوله–تعالى-:﴿فَاسْمَعُونِ﴾(يس:٢٥) أي: واشهدوا لي بذلك عنده، وقال بعض المفسرين: أن الخطاب للرسل، فقال لهم:اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني أمنت بربكم وبرسالتكم(٣).

فهذه النصائح القيِّمة، والغالية من صاحب القلب المُفعَمْ بالإيمان، لم تجد آذانًا واعية، بل السياق يبيِّن أنهم قتلوه، قال–تعالى-: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يس: ٢٦ – ٢٧).

قال ابن كثير: "قال ابن إسحاق، فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب: فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه، وقال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: "اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون". فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله"(٤)، فالسياق يوضح أن القوم لم يمهلوه أن قتلوه، وإن كان لم يذكر من ذلك شيئاً، ثم يسدل الستار على الدنيا وما فيها، وعلى قومه وما هم فيه من تكذيب، ويرفع مكانة هذا الرجل إلى منازل الشهداء(٥)، قوله–تعالى-: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ أي: ادخل الجنة،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٥٠٦/٢٠) و (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٦٤/٦).

(2) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (١٥٧/٦).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٥٧١/٦).

(4) تفسير القرآن العظيم (٥٧١/٦).

(5) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٥/١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فدخلها، فلما عاينها قال:﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ (يس: ٢٦ – ٢٧)، أي: ياليت قومي يعلمون بمآلي وحالي فيؤمنوا بمثل إيماني، فيصيروا إلى مثل ما أنا فيه من النعيم، وما أعدَّه الله لي من مغفرة، وبما جعلني في زمرة المكرَّمين المقربين الشهداء، الذين تلحقهم كرامة الله–تعالى–[1].

قال القرطبي: "قلت: والظاهر من الآية أنه لما قُتل قيل له ادخل الجنة، قال قتادة: أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق، أراد قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾(آل عمران: ١٦٩)"[2].

وقال الطاهر ابن عاشور: " والمعنى: أنه لم يُلهِه دخوله الجنة عن حال قومه، فتمنى أن يعلموا ماذا لقي من ربه ليعلموا فضيلة الإيمان فيؤمنوا وما تمنّى هلاكهم ولا الشماتة بهم فكان متّسِمًا بكظم الغيظ وبالحلم على أهل الجهل"[3].

فهذا الرجل نصح قومه حيًا وميتًا، فهو لا يحمل في قلبه إلا الخير والشفقة والرحمة لقومه العصاة، وهذا الذي يتوجب على الدعاة فعلة، أن يحملوا في قلوبهم همّ هداية الناس، حتى يُنَجُّوا أنفسهم من الغواية كما نجا هذا الرجل، ولم تنته قصته إلى هنا، بل قال الله–تعالى–: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾(يس: ٢٨ –٢٩).

أي: وما أنزلنا على قومه بعد موته جنودًا من السماء؛ لأنهم لم يحتاجوا إلى ذلك، لحقارتهم، ولهوانهم على الله، قوله–تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ أي: وما صح وما استقام في حكمتنا أن ننزل عليهم جندا من السماء؛ لأنهم أحقر، وأهون من أن يفعل معهم ذلك[4]، قوله–تعالى–:﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾ قال المفسرون: " أخذ جبريل بعضاضتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة؛ فإذا هم هامدون ميتون"[5]، لا حراك لهم كأنهم لم يكونوا؛ جزاء فِعلهم الشنيع مع رسل الله–تعالى–من خلال تكذيبهم المرسلين، وقتلهم للمصلحين الناصحين.

فهكذا كانت عاقبة المعاندين المكذبين الذين وقفوا في وجه الدعوات، فمثلهم كمثل غيرهم من الأمم المكذبة.

---

(1) انظر: (المرجع السابق): (٢٦/١٢).
(2) الجامع لأحكام القرآن (٢١/١٥).
(3) التحرير والتنوير (٢٧/١٢).
(4) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٦/١٢).
(5) معالم التنزيل: البغوي (١٦/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله-تعالى-: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾(يس: ٣٠ – ٣١).

فالحسرة عبارة عن انفعال نفسي تلقائي على حال مؤسفة لا يملك الإنسان حيالها شيئاً، والله- عزَّوجلَّ- لا يتحسر على العباد، ولكنه يقرر أن حال هؤلاء العباد يستحق الحسرة، فهي حال مؤسفة، أُتيحت للعباد فرصة النجاة؛ ولكنهم أعرضوا، مع أن مصارع الظالمين ماثلة أمامهم، فلم ينتفعوا ولم يتعظوا، بل يسيئوا أدبهم مع رسل الله، الذين يرسلهم بين الفينة والأخرى لتذكير العباد[1].

المطلب السادس: أصحاب الكهف.

نموذج آخر للذين نجوا من الغواية يتمثلُ بفتيةٍ صَنَعَهُمْ الإيمان، فجعل قلوبهم تتعالى على زخارف الدنيا الفانية، لِتَفِرَّ بدينها من بين أظهر الوثنية وتنجوا من الغواية التي وقع قومهم فيها.

قال-تعالى-: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ (الكهف: ٩ – ١٤).

وقد وردت قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم بسبب سؤال كفار مكة للنبي-ﷺ-، فقد روي أنهم أرسلوا رجلين منهم إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن صدق الرسول-ﷺ-، وما ورد في كتبهم، فلما ذهب الرجلان إلى يهود المدينة، قال لهم يهود: إن أردتم معرفة صدق محمد فاسألوه عن ثلاث أشياء، فإن أجابكم فهو صادق، اسألوه عن قصة القوم الذين ذهبوا في الدهر مذاهب عجيبة؟ وعن قصة الرجل الطوّاف الذي طاف الأرض؟ واسألوه عن الروح؟ فإن أصاب في ذلك كله فليس بنبي وإن لم يجب في ذلك فليس نبيًا وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهو نبي فسألوه عنها، فقال رسول الله فتأخر-ﷺ-: أخبركم غدًا، فتوقف الوحي خمسة عشر يومًا، لم ينزل عليه الوحي، واغتم النبي-ﷺ- لئلا يتخذ المشركون تأخر إخبار الوحي له وسيلة لتكذيبه، والحقيقة عكس ذلك؛ لأنهم سيقولون أن محمدًا وعدنا غدًا أن يخبرنا ولم يصدق، والحقيقة أن تأخر الوحي دليل قطعي على صدقة؛ لأنه لو كان كاذبًا لاختلق قصة من نسج خياله، ثم نزل الوحي على رسول الله-ﷺ- فأنزل

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٦/١٦٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله تعالى في شأن الفتية﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾إلى آخر القصة ونزل في الروح قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ ﴾ (الإسراء: ٨٥).(١)

وقد بدأ السياق بأسلوب استفهام تعجبي ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾.

قال الرازي: " اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف، سألوا عنها الرسول-ﷺ-على سبيل الامتحان، قال تعالى: أم حسبت أنهم كانوا عجبًا من آياتنا فقط، فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادرًا على تخليق السموات والأرض ثم يزين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيدًا جرزًا خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم، هذا هو الوجه في تقرير النظم، والله أعلم"(٢).

قوله- تعالى-:﴿ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ فالفتحة في الجبل إذا ضاقت تسمى غار، وإذا اتسعت تسمى كهفًا، وهم قد دخلوا كهفًا، ولذا نسبهم الله إلية، أما الرقيم فهو العلامة أو الكتابة أو الرسم على الشيء، ومعناه هنا: قيل هو اللوح الذي سجلت عليه أسماؤهم، وقيل كتاب دونت فيه أسماؤهم، وقيل اسم الجبل وقيل اسم القرية(٣).

والراجح أنه اللوح الذي دونت فيه أسماؤهم، ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴾ (المطففين: ٢٠) أي: مكتوب.

قوله-تعالى-: ﴿ .....كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾أي: هل حسبت يا محمد أن واقعتهم، وقصتهم عجيبة، مقارنة بقدرة الله؛ فإن في مخلوقاتنا من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله ما هو أعظم وأعجب من ذلك(٤).

ثم يبيِّن الله- عزَّوجلَّ- ما حدث لهم، حيث حطوا رحالهم في الكهف، فقال- تعالى-:﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾(الكهف: ١٠).

قوله-تعالى-: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾أي: لجأوا إلى الكهف فرارًا بدينهم، وخوفًا من الوقوع في الغواية كما وقع قومهم، والتي تتمثل في الشرك ونكران البعث والنشور، و﴿ ٱلۡفِتۡيَةُ ﴾ جمع فتى، وهو الشاب القوي صاحب العزيمة(٥)، فقال هؤلاء الفتية: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾أي: أعطنا من عندك رحمة،

---

(1) انظر: (أسباب النزول): الواحدي (٢١٦/١) و (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٤٩/٥) و (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني): الآلوسي(٢١١/١١).

(2) مفاتيح الغيب (١٦١/١٠).

(3) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (١٦٢/١٠) و(فتح القدير): الشوكاني (٣٧١/٤).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (١٣٥/٥).

(5) انظر: (تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف): ابن عثيمين (٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويسر لنا أمرنا بعد تركنا لأهلنا، ومساكننا، وقومنا الماكثين على العقائد الفاسدة، والرشد: ضد الغي، وهو الاهتداء إلى الطريق المستقيم والثبات عليه.

وقد ذكرهم الله هنا بوصفهم فتية، مع أن الحديث ذكرهم في بداية القصة بأصحاب الكهف؛ ليدل على فتوتهم ورشدهم[1]، وبذلهم وتضحيتهم، فقد تركوا أهلهم وأوطانهم من أجل سلامة عقيدتهم، والصغير قد يكون راشدًا، وأن الشيخ الكبير قد يكون غير راشد؛ ولذلك لابد أن يُعتنى بالصغار، وأن يُسمع لهم، فالصغير قد يُرى منه تُقى، إذ الأصل التشجيع وعدم الإهمال.

قولـه–تعـالى–: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾(الكهف: ١١-١٢) أي أنمناهم نوماً ثقيلاً، وخص الأذن هنا دون البصر؛ ليكون نومهم ممتنعاً على غيرهم أن يوقظهم[2]، قال ابن عطية: "وأما تخصيص (الآذان) بالذكر؛ فلأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم، وقلّما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يُستحكم نوم إلا من تعطل السمع"[3]، وقد ضرب لنا الرسول الكريم فيمن ينام عن صلاة الفجر مثلاً، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكِرَ عند النبي–ﷺ– رَجُلٌ نام لَيْلَهُ حتَّى أصبح، (قال ذاك رجُلٌ بال الشيطانُ في أذنيه)، أو قال: (في أُذنه)[4].

قوله–تعالى–: ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ لم يبيِّن الله تعالى هنا عدد السنين التي نامها الفتية، ووضَّحها في آية أخرى من سياق قصتهم، في قولـه–تعـالى–: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾(الكهف: ٢٥)، قولـه–تعالى–: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾أي: بإيقاظهم من نومهم، وسمى الله–تعالى– الاستيقاظ من النوم بعثًا؛ لأن النوم اخو الموت، قال–تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الزمر: ٤٢)[5].

قوله–تعالى–: ﴿ ..لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾أي: ثم أيقظناهم من بعد نومهم الطويل لنرى أي الفريقين أدقُّ إحصاءًا للمدة التي ناموها في الكهف؟

قال الشنقيطي: " ولم يبين هنا شيئاً عن الحزبين المذكورين ، وأكثر المفسرين: على أن احد الحزبين هم أصحاب الكهف، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر

---

(1) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٤٧٦/٨).

(2) انظر: (أضواء البيان): الشنقيطي (٢٠٧/٣).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٢٩٠/٤).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث (٣٢٧٠)، ص(٦٠٠).

(5) انظر: (تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف): ابن عثيمين (٢٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفتية، وقيل هما حزبان من أهل المدينة المذكورة، كان منهم مؤمنون وكافرون، وقيل: هما حزبان من المؤمنين في زمن أصحاب الكهف، اختلفوا في مدة لبثهم، إلى غير ذلك من الأقوال [١].

قوله–تعالى-: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾(الكهف: ١٣).

بعد أن صور لنا القرآن الكريم مشهد أصحاب الكهف بصورة إجمالية، فهاهو يشرع في تفصيلها.

فقد ذكر الله–تعالى– لنا قصتهم هنا بالتفصيل، فذكر أنهم فتيه من الشباب حديثي السن، قذف الله في قلوبهم الإيمان، وزادهم هدى، فدل تعالى في هذه الآية الكريمة أن الشباب أقبل للدين والحق من الشيوخ، وهذا ما حدث مع النبي–ﷺ–في مكة؛ إذ كان أكثر المستجيبين لله–تعالى– ولرسوله شبابًا، وأما الشيوخ من قريش، تمترسوا حول عقيدتهم الفاسدة إلا قليلاً منهم، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتيانًا، اعترفوا لله بالوحدانية، فزادهم هدى، وهذا من صميم العقيدة أن الله–تعالى– يزيد صاحب الإيمان إيماناً وتُقى، بدليل قوله–تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٤)[٢].

قال أبو السعود: "﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ بأن ثبتناهم على الدين، وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه"[٣].

قوله–تعالى-: ﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴾ (الكهف: ١٤)، أي: ثبتناها وقويناها بالإيمان؛ لأن قومهم على ضدهم، ومخالفة التيار بحاجة إلى تثبيت من الرب الكريم[٤]، لا سيما أنهم أحداث الأسنان، فهم قابلون للتأثير والتغيير؛ ولكن الله ربط على قلوبهم فثبتهم، وهذا دليل على أن المؤمن عند حدوث الفتن والابتلاءات بحاجة إلى تثبيت من الله، وإن كان قلبه مفعماً بالإيمان، والرباط على القلوب يجعلها ثابتة راسخة، مطمئنة إلى ما عرفت من الحق، قوله–تعالى-: ﴿إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ ﴾ والقيام حركة تدل على العزم والثبات والهمة، قوله–تعالى-: ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗا ﴾(الكهف: ١٤).

---

(1) أضواء البيان (٣/٢٠٨).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٥/١٤٠).
(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤/٢٤٢).
(4) انظر: (تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف): ابن عثيمين (٢٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختلف المفسرون في هذا القيام على أقوال:

فقيل: إنهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أكبر القوم: إني لأجد في نفسي شيئًا، إن ربي ربّ السموات والأرض، فقالوا: ونحن أيضًا كذلك نجد في أنفسنا، فقاموا جميعًا ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾.

وقيل: أنه كان لهم ملك جبار يقال له: دقيانوس، وكان يدعوا الناس إلى عبادة الطواغيت، فثبَّت الله هؤلاء الفتية، وعصمهم من السقوط في الغواية، فقاموا بين يديه﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾.

وقال عطاء: إنهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ أي: لن نعبد معبودًا آخر غير الله لا اشتراكًا ولا استقلالاً[١].

والذي يراه الباحث أن هذه الأقوال جميعها محتملة؛ إذ لا تعارض بينها، فجميعها تتضمن معنى النهوض بالحق، وتحمل تبعاته.

قوله– تعالى-:﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ "وهذه الجملة مؤكده بثلاث مؤكدات، وهي: (اللام) و(قد)و(القسم الذي دلَّت عليه اللام)، وقوله: ﴿إِذًا ﴾ أي: لو دعونا إلهًا سواه ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ أي: قولاً مائلاً وموغلاً بالكفر، وصدقوا، لو أنهم دعوا غير الله إلهًا لقالوا هذا القول المائل الموغل بالكفر والعياذ بالله"[٢].

قوله–تعالى-: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الكهف: ١٥).

بعد أن أعلنوا توحيدهم الخالص لله، أعلنوا براءتهم من كل الاعتقادات الشركية الفاسدة؛ لأن طريق الاعتقاد الصحيح لابد له من دليل قوي يستند إليه، وإلا فهو الكذب والافتراء على الله﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾، فهؤلاء الفتيه أنار الله بصيرتهم، فعرفوا الحق من الباطل، فبان لهم تباين الطريقين، واختلاف المنهجين؛ إذ لا سبيل للالتقاء، ولا المشاركة، فقرروا الفرار بدينهم؛ لأنهم ليسوا رسل ولا أنبياء ليتحملوا أعباء ونتائج الدعوة والمواجهة، وإنما هم فتية تبيَّن لهم الحق وسط ظلام من الكفر والشرك، وهم لا قِبَل لهم به حتى يصدحوا بالحق، فلا سبيل لهم إلا الفرار بالعقيدة، فاختاروا الكهف على زخارف الدنيا الفانية[٣].

(1) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي (١٧٩/١٠) و (فتح القدير): الشوكاني (٣٧٣/٤).
(2) تفسير القرآن الكريم، سورة الكهف: ابن عثيمين (٢٨).
(3) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥٥/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قولـه–تعـالى–: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ (الكهف: ١٦)، أي: فارقتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله، وفارقتموهم بأبدانكم ﴿ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ أي يرحمكم ويستركم من قومكم ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾أي ما أنتم فيه، أمرًا ترتفقون فيه، فحينئذٍ هربوا بدينهم إلى الكهف، فآووا إليه، وفقدهم الملك، فعمَّى الله أبصارهم عنهم، كما حدث مع النبي–ﷺ– وصاحبه الصديق حين لجأ إلى الغار وعمَّى الله المشركين عنهما، فلم يهتدوا إليهما.

فهؤلاء الفتية اعتزلوا قومهم، وهجروا ديارهم، وفارقوا أهلهم، وتجردوا من الدنيا الفانية، وانتقلوا من العيش الرغيد، إلى الكهف الخشن الشديد؛ لكن الكهف الضيِّق اتسع برحمه الله، فأصبح فسيح رحيباً، وسيعاً، تنتشر فيه الرحمة، لتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بلينها ورفقها، فهكذا الإيمان يفعل بأصحابه، إذ لا قيمة للماديات في ظل البعد عن الله، ولو أعطي الإنسان الدنيا بحذافيرها(١).

ومن هنا يتبيَّن لنا كيف نجى الله–تعالى– هؤلاء الفتية من الغواية بعد محاولات قومهم إيقاعهم فيها، ليظهر لكل عاقل أن صاحب الإيمان الصادق يضحي في سبيل دينه بالغالي والنفيس؛ لذلك استحق هؤلاء الفتية أن يربط الله–تعالى– على قلوبهم، وأن يزيدهم هدى، وأن يصبحوا نبراسًا لكل الشباب إلى يوم القيامة.

المطلب السابع: صاحب صاحب الجنتين.

هذا النموذج ضربه الله–تعالى–لأصحاب الإيمان عندما يواجهون من يغتر بالمال والنِعَم، في نسيان واضحٍ للمُنْعِم المتفضل، فصاحب صاحب الجنتين لم ينخدع ولم يفتتن بما أعطى الله الرجل الكافر من النعم والذي تحدثنا عنه ضمن النماذج التي سقطت في الغواية، بل علم هذا الرجل عِلْمَ اليقين أن عطاء الله للرجل الكافر إنما هو فتنة وابتلاء، كما في قوله–تعالى–على لسان سيدنا سليمان –عليه السلام–: ﴿...هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ (النمل:٤٠)، فقابل الصاحب المؤمن الرجل الكافر بكل ثبات وبكل قوة، في إشارة واضحة إلى تساوي القوتين، الحق والباطل، فلم ينزوي الحق ولم يختبئ، بل أظهر قوة اعتزازه وصلته بالله.

قال–تعالى–: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾ (الكهف: ٣٧).

لمَّا اغتر الرجل الكافر بما أعطاه الله في الدنيا من نِعَمْ وخيرات، وادّعى أن هذا النعيم لن يفنى أبدًا، وأن الساعة لن تقوم، ولئن قامت سيكون له أفضل منها، انبرى له الصاحب المؤمن بكل قوة

---

(1)انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥/٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واعتزاز بالدين لينكر عليه بطره وكبره، ليوجه إلى الأدب الواجب مع المنعم، وينذره عاقبة أمره، فلقد استشعر الصاحب المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خيرٌ وأبقى[1].

قوله–تعالى–: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾

قال الزمخشري: " ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: خلق أصلك؛ لأن خلق أصله سبب في خلقه، فكان خلقه خلقًا له، ﴿سَوَّىٰكَ﴾أي: عدّلك وكمّلك إنسانًا ذكرًا بالغًا مبلغ الرجال، جعله كافرًا بالله جاحدًا لأنعمه، لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول–ﷺ– كافرًا[2].

بعد أن بيَّن الصاحب المؤمن للرجل الكافر أصل خلقه، أعلن موقفه بكل وضوح وشجاعة وفخر واعتزاز، بقول الله على لسانه: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾(الكهف: ٣٨).

أي: إن كنت يا هذا تنكر خالقك الذي خلقك من تراب ثم سواك رجلاً؛ فإني لست بكافرٍ، بل معترف لله–تعالى– بالطاعة والعبادة، ولا أشرك معه أحدًا لا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته[3].

ثم يرشده ويوجهه إلى ما كان الأولى أن يسلكه عند دخول جنته فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (الكهف: ٣٩) أي: فهلّا حين دخلت حديقتك وبستانك، وأُعجبت بما في داخلها من أشجار ثمار وزروع، قلت: هذا من فضل الله، إذ لولاه لما كان، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: قال المؤمن للكافر: إن كنت تغتر وتعتز عليَّ بكثرة ما أعطاك الله[4].

قال الزَّجاج: " لا يقوى أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله، ثم لمَّا علمه الإيمان وتفويض الأمور إلى الله سبحانه أجابه على افتخاره بالمال والنفر فقال:﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾"[5].

وفي هذه الآية الكريمة توجيهٌ لكل مؤمن صادق أن يكون مفتاحًا للخير، يحب الهداية لجميع الناس، وخاصة للعصاة منهم.

فها هو الرجل المؤمن يدل صاحبه على مفتاح السعادة والخير الذي يزيده من خير الدنيا زيادةً على ما أعطاه الله، فمفتاح زيادة الخير والنعم في الدنيا، أن تقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1].

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥/٦٤).

(2) الكشاف (٢/٧٢٢).

(3) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٨/٥١٨).

(4) انظر: (صفوة التفاسير): الصابوني (٢/١٧٧).

(5) فتح القدير: الشوكاني (٤/٣٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قوله–تعالى–: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴾(الكهف: ٤٠ – ٤١) أي: في الآخرة﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾أي: على جنتك التي ظننت أنها لن تفنى أبدا﴿ حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ "قال ابن عباس، والضحاك، وقتادة، ومالك عن الزهري: أي عذابًا من السماء"[٢].

ثم يسدل الستار على جنتي الرجل الكافر لينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الخراب والدمار، ومن هيئة البطر والعُجب إلى هيئة الندم، قال تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ (الكهف: ٤٢ – ٤٣) فهذا ما توقعه الصاحب المؤمن لصاحبه الكافر الجاحد للمنعم والجاحد لنعمه، الذي سقط في الغواية وينجوا هو منها لعلمه أن هذا المال إنما هو ابتلاء وفتنة من الله.

قال ابن كثير: " وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يركن إلى الحياة الدنيا، ولا يغترَّ بها، ولا يثق بها، بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينية، وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده، وفيها أنَّ من قدَّم شيئًا على طاعة الله والإنفاق في سبيله، عُذِّبَ به، وربَّما سُلبَ منه؛ معاملة له بنقيض قصده، وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المُشفق، وأنَّ مخالفته وبالٌ ودمارٌ على من ردَّ النصيحة الصحيحة، وفيها أنَّ الندامة لا تنفع إذا حان القدر، ونفذ الأمر الحتم، والله المستعان..."[٣].

المطلب الثامن: أصحاب الأخدود.

وهذا النموذج يحدثنا عنه القرآن الكريم وتفصله لنا السنة النبوية لفئة من المؤمنين السابقين على الإسلام، قيل إنهم من النصارى الموحدين، ابتلوا بأعداء لهم طغاة، أجبروهم على تركهم لعقيدتهم، فأبوا وتمنَّعوا بعقيدتهم، فحفر لهم الطغاة الأخاديد في الأرض، وأوقدوا فيه النار، وأنزلوهم فيها فماتوا حرقًا، على مرأى ومسمع من الجموع التي حشدوها لمشاهدة الجريمة[٤]، قال الله–تعالى–: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (البروج: ٨).

---

(1) نظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٥٤١٣).
(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (١٥٩/٥).
(3) البداية والنهاية (٥٧٧/٢).
(4) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٥٠٠/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه الفئة المؤمنة التي ذاقت طعم الإيمان وحلاوته، لم تفرط في دينها، حتى وإن تعرضت لأبشع طريقة في القتل؛ لأنها علمت أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة فنجت من الغواية وفازت بالسعادة.

قال الله –تعالى–: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾(البروج: ٤ – ١٠).

يبيِّن الله –تعالى– أن هؤلاء الظلمة الفاتنين ملعونون وخاسرون في الدنيا والآخرة، وسوف يكون مصيرهم نار جهنم والتحريق فيها إن لم يموتوا على توبة صادقة وندم شديد جراء تجرئهم على حفر الأخاديد وإشعال النيران فيها وإلقاء المؤمنين الموحدين، والفترة التي كان فيها هذا الحدث الجلل بين عيسى ومحمد عليهما السلام(١).

وقد تعددت الروايات في الحديث عن نجاتهم من الغواية واختيارهم للسعادة بعد استشهادهم حرقًا،والمعنى متقارب في كل الروايات، وقد اخترت رواية الإمام مسلم عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله –ﷺ– قال: (كان ملك فيمن **كان** قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك، راهب، فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفى أحدا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك؟ فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجئ بالغلام فقال له الملك: أي بني! أقد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل؟! قال: أنا لا أشفى أحدا، إنما يشفى الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجئ بالراهب، فقيل له: أرجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جئ بجليس الملك فقيل له:

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٢٧/١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ارجع عن دينك، فأبي فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جئ بالغلام فقيل له: أرجع عن دينك، فأبي فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فسقطوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه، في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت، تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فحدت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له أقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال، لها الغلام: يا أمة اصبري فإنك على الحق)[(١)].

وقوله-تعالى-: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾(البروج: ٤) "دعاء على هؤلاء الكفار بالإبعاد من رحمة الله- تعالى، وقيل: معناه الإخبار عن قتل أولئك المؤمنين، أي إنهم قُتلوا بالنار فصبروا، وقيل: هو إخبار عن أولئك الظالمين، فإنه روى أن الله قبض أرواح الذين ألقوا في الأخدود قبل أن يصلوا إلى النار، وخرجت نار من الأخدود فأحرقت الذين هم عليها قعود"[(٢)].

وتبدأ الإشارة إلى الحادث بإعلان الغضب والنقمة على هؤلاء القوم لبشاعة ما اقترفوه من ذنب الذي يثير غضب الحليم، فاستحقوا الغضب واللعنة في الحالة التي كانوا عليها وهم يرتكبون تلك الجريمة، فالقرآن يصور ما اقترفوه وكأنه رأي العين﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾(البروج: ٥-٧)، وهذا تعبير يصور موقف المجرمين وهم يوقدون النيران، ويلقون بالمؤمنين فيها واحد تلو الآخر، فهم يشاهدون عملية التعذيب، وفعل النار في الأجساد في لذة وسعار، وهذا دليل على أن القوم غلاظ القلوب، تمكن الكفر والباطل منهم وتجردوا من الإنسانية والرحمة، ودليل أيضًا على أن المؤمنين كانوا أشد صلابة في

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الزهد، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والرَّاهب والغلام، رقم الحديث (٣٠٠٥)، ص (١١٤٥).

(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (٢٩٤/١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عقيدتهم، وإصرارهم على إيمانهم الذي تعالى على العذابات والفتن، بل وانتصر على النار وعلى الحياة ذاتها[١]، قوله- تعالى-:﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (البروج: ٨ – ٩)، أي: وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الحميد، الغالب الذي لا يُغلب، المحمود في كل حال، وهو مالك السموات والأرض والية الأمر كله، ومن كان بهذه الصفات فهو حقيقة بأن يؤمن به ويوحَّد، والله شاهد بما فعلوا، وأشار بقوله العزيز: أي أن الله لو شاء لمنع الطغاة من اقتراف جريمتهم بل وإحراقهم بها، والحميد: إلى أن المعتبر عنده سبحانه بالعواقب، فهو وإن أمهل فهو لن يهمل، وأنه سيجازي المؤمنين، ويعاقب المجرمين[٢]، وتختم الآية بقوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(البروج: ٩)، "ثم هو الشهيد على ما كان من أمر المؤمنين وأصحاب الأخدود.. وهذه لمسة تطمئن قلوب المؤمنين، وتهدد العتاة المتجبرين، فالله كان شهيدًا، وكفى بالله شهيدًا"[٣]، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾(البروج: ١٠).

يبيِّن تعالى أن عقوبة هؤلاء المجرمين بالنار أيضًا، فالجزاء من جنس العمل، لكن الفارق بين الحريقين أن حريق الدنيا يوقدها الخلق وحريق الآخرة قد أوقدها الخالق، كما أن حريق الدنيا لحظات وأن حريق الآخرة أبد الآباد[٤].

وهذا النموذج يضربه الله–تعالى– للمؤمنين ليكون لهم نبراسًا لهم في حياتهم، ويصبروا على ما يلاقون من الأذى والمشقات، وليتأسوا بهذا الغلام وبمن آمن بدعوته، الذين رسخ الإيمان في قلوبهم، فتعالَوا على الغواية وعلى الفتن بل على الدنيا بأسرها، فهم كسحرة فرعون، الذين استعلى الإيمان في قلوبهم، بل لامست بشاشته شغاف قلوبهم، قال–تعالى–: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (طه: ٧٢).

وقد كان هذا النموذج درسًا عمليًا لأصحاب النبيِّ–ﷺ– الذين صبروا على المحن والابتلاءات كعمار وأمه سمية وبلال وخبيب وخباب، وغيرهم، فهم علموا أن هذا هو درب الأنبياء والأصفياء، فالطريق إلى الجنة محفوف بالمخاطر والأشواك، لكن كل ذلك يزول مع أول غمسه في الجنة.

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (١/٨) و (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): وهبة الزحيلي (١٥٩/٣٠).

(2) انظر: (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): وهبة الزحيلي (١٥٩/٣٠).

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب (٢/٨).

(4) المرجع السابق: (٣/٨) " بتصرف".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلاصة:

لقد اقتضت حكمة الله –تعالى– أن يكون الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة، فالباطلُ يُسَخِّرُ كل إمكانياته ووسائله في سبيل إيقاع المؤمنين في الغواية، وضمهم إليه ليزيد انتفاشًا وقوةً؛ لكن أصحاب الحق وإن رأوا قوة الباطل وسحره لعيونهم، بكثرته وقوته، إلا أنهم علموا حقيقته، وزيفه، فلم تضرب أيديهم، ولم تزغ أبصارهم، فآثروا الانضمام إلى قوافل الناجين، وهذه نتيجة واضحة لاستقرار الإيمان في قلوبهم، واكتفى الباحث بذكر هذه النماذج، مع أن القرآن الكريم ملئ بغيرها، لتصبح نبراسًا لكل السالكين لدرب الإيمان، فيتمترسوا خلف إيمانهم ليحظوا بسعادة الدارين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

نتائج الغواية وسبل النجاة والوقاية منها

. ويشتمل على مبحثين:-

المبحث الأول: **نتائج الغواية**

وفية ستة مطالب:-

المطلب الأول: الكفر.

المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم .

المطلب الثالث: الخسران والندم.

المطلب الرابع: العذاب الأليم في الآخرة.

المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين .

المطلب السادس: الهداية إلي السعير .

المبحث الثاني: **سبل النجاة والوقاية من الغواية**.

وفية ثمانية مطالب:-

المطلب الأول: إخلاص العبادة لله .

المطلب الثاني:التوبة.

المطلب الثالث: المداومة علي ذكر الله .

المطلب الرابع: الاستغفار و التعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

المطلب الخامس: كثرة السجود لله تعالي .

المطلب السادس: الحياء والحشمة .

المطلب السابع: الزواج .

المطلب الثامن:التوكل على الله.

المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة.

المطلب العاشر: الدعاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول: نتائج الغواية

وفية ستة مطالب:-

المطلب الأول: الكفر.

المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم .

المطلب الثالث: الخسران والندم.

المطلب الرابع: العذاب الأليم في الآخرة.

المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين .

المطلب السادس: الهداية إلي السعير .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الكفر.

إن الشيطان يسعى من خلال إيقاع الناس في الغواية؛ بإضلالهم، وإيقاعهم في المعاصي والمنكرات، إلى الوصول بهم على النتيجة الحتمية المترتبة على غوايتهم وهي الكفر؛ لأن التمادي في الغواية والإصرار عليها، توصل الإنسان إلى الكفر، وهذا الذي يسعى إلية الشيطان عبر جميع أساليبه ووسائله، لأن هذه النتيجة يترتب عليها الهدف الأسمى الذي يسعى الشيطان لتحقيقه وهو دخول النار، وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم، قال– تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(فاطر: ٦).

فهذه غايته ومقصوده من الغواية أن يوقع أتباعه في جهنم وبئس المصير[١] .

لذا فقد حذر سبحانه وتعالى عباده في العديد من مواضع القرآن الكريم من الوقوع في شَرَكِ الشيطان بل كشف لنا خططه التي سعي من خلالها لإيقاع الناس في الغواية، وذلك في قوله–تعالى–: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٧).

فوقوع الإنسان في الغواية، يحتم علية الوصول إلى النتيجة التي يريدها الشيطان وهي الكفر بالله–عزَّوجلَّ–؛ فإذا تحقق هذا الهدف استراح الشيطان، وهذا ما حدث مع من سقط في الغواية وكيف أوصلهم الشيطان إلى الكفر حتى إذا كفروا بالله–تعالى– تبرأ منهم الشيطان، وهذا ما بيَّنه الله– عزَّوجلَّ– في قوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الحشر: ١٦)

فسياق الآية الكريمة يتحدث عن المنافقين، فيقول الله–تعالى–، ومثل هؤلاء المنافقين الذين وعدوا اليهود بالنُّصْرَةِ والمدد إن قُوتِلُوا، وبالخروج معهم إن أُخرجوا من ديارهم، كمثل الشيطان الذي غَرَّ الإنسان، وزَيَّنَ له الغواية، وسهل له الوقوع فيها، ووعد الإنسان بالنصرة عند الحاجة إلية، إذا أطاعه وكفر، فلما احتاج الإنسان إليه، وطلب منه النصرة، تبرأ الشيطان منه، وخذله وتركه لمصيره، بل قال له: إني أخاف الله إن نصرتك أن يشركني معك في العذاب[٢] .

وقد ذكر المفسرون أنَّ عابداً من بني إسرائيل تعبد الله–عزَّوجلَّ– مدة طويلة من الزمن، وإن الشيطان قصده يريد إغوائه، فعمد إلى امرأة فأجنَّها، فقال لإخوتها، عليكم بهذا العابد؛ فإنه له القدرة على شفائها، فجاءوا بها إلية فداواها، وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت منه، فأتاه الشيطان، فقال له سيفتضح أمرك فاقتلها، فقتلها، وجاء إخوتها فسألوا عنها، فأجابهم الراهب: أن شيطانها أخذها، أي ماتت، فما زال

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٦٦٤/١).

(2) انظر: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): أبو السعود (٢٣٢/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشيطان بهم حتى دلهم على مكان قتلها، وجاءوا للراهب فما زالوا به حتى اعترف بجريمته، وعندما حانت ساعة قتله، تمثل له الشيطان بالناصح الأمين، ليخلِّصه مما هو فيه، فكان طلبه أن يسجد له سجدة واحدة، فلما سجد له قال إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين[١] ، فهذه القصة موجودة عند أكثر المفسرين، ليست من أسباب النزول وإنما على سبيل كيفية تبرؤ الشيطان من الإنسان عند كفره، فهذه الغاية التي يريد أن يصل إليها في الدنيا، فيتبرأ من الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد حدثنا القرآن عن الجدال الحاصل بين الشيطان والمتمكنين في الغواية ممن استحقوا دخول النار، فيقولون للشيطان أنت أغويتنا وزينت لنا، فيقول لهم، كما بيَّن –تعالى– على لسانه: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

وقد بيَّن الباحث بعض النماذج للذين أوصلهم الشيطان بعد سقوطهم في الغواية إلى الكفر، أمثال ابن نوح –عليه السلام– وزوجته، وقوم لوط، والنمرود، وفرعون، وبلعام بن باعوراء وغيرهم.

المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم .

وهذه نتيجة أخرى للغواية استحقها من خالف أوامر الله–تعالى– وتوجيهات أنبيائه عليهم السلام، فاليهود، والنصارى وغيرهم ممن كفروا بالله لم يصلوا إلى هذه النتيجة إلا عندما أغواهم الشيطان، فتجرئوا على الله تعالى، وعلى كتبه، وعلى أنبيائه ورسله، وقد بيَّن الله–تعالى– غوايتهم في القرآن الكريم، قال–تعالى– في بيان تطاولهم على الذات الإلهية وتحايلهم على الله وعلى شريعته، فبغوايتهم هذه، وصلوا إلى نتيجة الغضب الإلهي واللعن والطرد من رحمة الله– عزّوجلّ–، وقد سجل القرآن الكريم هذا الغضب واللعن في العديد من الآيات، قال تعالى: ﴿ ....وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١)، وقوله–تعالى–: ﴿ ...فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (البقرة: ٩٠)، وقوله–تعالى–: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٢)، وقوله–تعالى–: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ

[١] انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٢٩٧/٢٣) و (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٣٨/١٨) و (تفسير القرآن العظيم): ابن كثير (٧٥/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٢)، وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ (المائدة: ٧٨)

والغضب واللعن ليس خاصاً باليهود والنصارى فحسب، بل في كل من سار على ذات النهج، وقد رأينا كيف حل غضب الله–تعالى– بالأقوام السابقة الذين سقطوا في الغواية، فالغضب واللعن نتيجة من نتائج الغواية تنتظر كل من يخالف المنهج الذي رسمه لنا سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: الخسران والندم.

ومن النتائج المترتبة على الغواية حالة الندم التي تستولي على المعرض عن ذكر الله–تعالى–؛ لأن الله–تعالى– قيض للمشركين قرناء سوء يلازمونهم طيلة حياتهم، ليزينوا لهم الغواية، قال– تعالى–: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٥).

وقد اقتضت حكمة الله–تعالى–عندما يغفل قلب الإنسان عن الله، أن يجد الشيطان طريقه إليه فيلزمه ، ويصبح له قرين سوء، يوسوس له، ويزين له الباطل، فقرناء السوء وظيفتهم أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله ، قال– تعالى–: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ (الزخرف: ٣٦). بينما هم يحسبون أنهم مهتدون، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾(الزخرف:٣٦)، وهذا أسوأ ما يصنعه القرين بقرينه، أن يصده عن السبيل الواحدة الواضحة، ثم لا يدعه حتى يفيق ليتبيَّن الحق من الضلال، وإنما يوهمه أنه سائر في الطريق الصحيحة الصائبة القاصدة، حتى يصطدم بالمصير الأليم، فإذا هو يرى نفسه في جهنم وبئس المصير [١]، ثمَّ يبيِّن سبحانه وتعالى ما يكون بين هذا الإنسان الكافر، وبين قرينه من الشياطين يوم القيامة، قال–تعالى–: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾(الزخرف: ٣٨)، وهذا تعبير عن حالة الندم التي يعيشها الإنسان الكافر عندما يظفر بمن أغواه وأوقعه في الضلال، فيقول له: أتمنى أن تكون المسافة بيني وبينك من البعد والمفارقة، كالمسافة بين المشرق والمغرب، فالمراد بالمشرقين : المشرق والمغرب، وقد عبَّر عنهما بالمشرقين على سبيل التغليب لأحدهما على الآخر[٢]، وقد ساق الله–تعالى– العديد من الآيات الدالة على تقييض الشياطين للكفار، لإغوائهم وإضلالهم، وقد

([1]) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣٥٥/٦).

([2]) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٨١/١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيَّن الباحث العديد منها في الفصل الثاني، ضمن مبحث أساليب الشيطان مع الكافرين، ونسوق بعضها في هذا المطلب للتوضيح، قوله–تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم: ٨٣)، وقد بيَّن الباحث أقوال المفسرون في معنى الأزّ في الآية الكريمة في ذات الفصل الثاني، وقد بيَّن –تعالى– قوله﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾، وقوله–تعالى: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ ﴾ (فصلت: ٢٥)، على أن قرناء الشياطين جديرين بالذم الشديد، قد صرَّح بذلك في آية أخرى، قال–تعالى-: ﴿ .....وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ (النساء: ٣٨).

قال الشنقيطي: " وقوله﴿ فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ بمعنى﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾؛ لأن كلا من ساء وبئس فعل جامد لإنشاء الذم"(١).

والخسران الذي يجنيه الشيطان واتباعه ممن سقط في الغواية قرَّره الله–تعالى– في العديد من الآيات القرآنية، قال–تعالى-: ﴿ ....وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ١١٩).

فيبيِّن الله–تعالى– في الآية الكريمة أن من يتبِّع الشيطان ويواليه، ويسير خلفه في طريق الغواية، ويترك طريق الحق والهدى، فقد خسر خسراناً واضحاً بيِّناً؛ لأن الشيطان لا يدعوا الإنسان إلا ما يهلكه، ويخزيه في الدنيا والآخرة(٢) .

قال السعدي: " وأي خسار أبين وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياه؟!! فحصل له الشقاء الأبدي، وفاته النعيم السرمدي"(٣) .

وقد ساق لنا القرآن الكريم العديد من الآيات التي تعبر عن حالة الندم التي يعيشها الكفار يوم القيامة جراء اتباعهم الشيطان وانغماسهم في الغواية، قال–تعالى-: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(الكهف: ٤٩) ، وفي قوله–تعالى-: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠)، وفي قوله– تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان: ٢٧ – ٢٩)، وفي قوله–تعالى-: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٢٧/٧).

(2) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٣١٦/٣).

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٠٣/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: ٥٦ – ٥٨)، وغيرها من الآيات التي تكشف لنا عن حالة الندم التي تنتاب هؤلاء الكفار نتيجة سقوطهم في الغواية.

المطلب الرابع: العذاب الأليم في الآخرة.

لقد أمر الله- عزَّوجلَّ- المؤمنين أن يتخذوا الشيطان عدواً؛ لأن الشيطان يدعوا أصحابه ليكونوا من أصحاب السعير، وهذا ما بيَّنه الله-تعالى- في الآية الكريمة﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(فاطر: ٦).

ومع هذا الأمر الإلهي إلا أن كثيراً من الناس غفلوا عن هذا الأمر واتخذوا الشيطان صديقاً ملازماً لهم في حياتهم؛ فأطاعوه في معصية الله، وأعانهم على الغواية، فاستحقوا العذاب الأليم؛ لأن هؤلاء لم ينجوا من وعيد الشيطان لبني آدم بالإغواء، بسبب تمكينهم للشيطان في أنفسهم، فلم يستجيبوا لنداء الحق- سبحانه وتعالى- الذي بيَّن لعباده وسائل النجاة من الغواية، والتي تشكل مانعاً للإنسان من السقوط فيها، وقد بيَّن الله -تعالى- لعباده أن اتباع الشيطان في الغواية يؤدي بهم لأن يكونوا من أصحاب السعير، وفي ذلك يقول-تعالى-:﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾، ولكنه سيقول لأتباعه بعد أن أسقطهم في الغواية، عندما يعاينون عقاب الله-تعالى-: ﴿ .....إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(إبراهيم: ٢٢).

وهذه الآية تأكيد من الله-تعالى-للتحذير من اتباع الشيطان فيما يدعوا إلية من الغواية، فَيَعِدُ الشيطان اتباعه وعوداً كاذبة وباطله، ويمنيِّهم بالأماني الكاذبة، حتى لا يفتروا عن طاعته، والحال أن الشيطان ما يعدهم إلا بالأمور الكاذبة الخادعة التي ظاهرها يغري وباطنها يردي إلى جهنم وبئس المصير[1]، و القرآن الكريم يعجُّ بالعديد من الآيات التي تبيِّن خسارة من يقع في غواية الشيطان في الآخرة.

([1]) نظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٣١٧/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين.

لقد وعد الله– عزَّوجلَّ– كل من سار على درب إبليس في الغواية، وسار خلف شهواته ونزواته، مفضلاً الفانية على الباقية، أن يسوقهم مجتمعين مع شياطينهم الذين كانوا يغرونهم ويغووهم بالمعصية، ويزينوها لهم، وهذا ما بيَّنه الله–تعالى– في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (مريم: ٦٨).

وفائدة القسم في الآية الكريمة أمران:

"أحدها: أن العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين.

الثاني: أن في إقسام الله–تعالى– باسمه مضافاً إلى الرسول رفعاً من شأنه، كما رفع من شأن السموات والأرض في قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾(الذاريات: ٢٣)"(١).

وحشر هؤلاء الكفار وشياطينهم في موقفين اثنين:

الموقف الأول: جمع في المحشر.

وهذا ما أكدته الآية الكريمة في قوله–تعالى–: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (مريم: ٦٨).

أي: أقسم الله–تعالى– بذاته الكريمة، أنه لا بد أن يُحْشَرَ هؤلاء المجرمون الذين أنكروا الآخرة، وأنكروا البعث، وكفروا بالله–تعالى–، بأن يحشروا من قبورهم أحياء مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم، فيقرن كل كافر مع شيطانه بسلسلة، ثم يكون إحضارهم حول جهنم، وهذا الإحضار يكون قبل ورودهم النار، بأن يحضرهم الله–تعالى– ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (مريم: ٦٨)، فيرسم الحق–سبحانه وتعالى– صورة حسية لحال هؤلاء المجرمين وهم جاثون حول جهنم جثوّ الخزي والذل والمهانة، في قوله–تعالى–: ﴿جِثِيًّا﴾؛ لأن البارك على ركبتيه صورته صورة الذليل المهان، وهذه صوره مفزعه، مرعبه، فعندما يتصور الإنسان جموع الناس الذين لا يحصيهم عدد وهم محشورين، ومحضرين حول جهنم، ينتظرون في كل لحظة أن يلقوا فيها وهم جاثون على ركبهم في ذلة وفزع، وهذا ما بيَّنه –تعالى–في قوله:﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الجاثية: ٢٨)(٢) .

---

(1) مفاتيح الغيب: الرازي (٣٣١/١٠).

(2) انظر: (مفاتيح الغيب): الرازي(٣٣١/١٠) و(فتح القدير): الشوكاني (٤٩٠/٣) و (في ظلال القرآن): سيد قطب (١٠٤/٥) و(تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي(٥٥٨٨) و(التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج): الزحيلي (١٤٥/١٦) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموقف الثاني: جمع في جهنم.

وهذا الجمع بيَّنته الآية الكريمة في قوله–تعالى–: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ (الشعراء: ٩٤ – ٩٥).

قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ فيها أربعة أوجه:

أحدها:" معناه جمعوا في النار.

الثاني: طرحوا فيها على وجوههم.

الثالث : نكسوا فيها على رؤوسهم.

الرابع : قلب بعضهم على بعض"[١] .

وجميع هذه الأقوال قريبةٌ من بعضها، إذ يصور الحق–سبحانه وتعالى– حال هؤلاء المجرمين وهم يلقوا في جهنم هم والذين أضلوهم، وجنود إبليس الذين زيَّنوا لهم الشر والمعاصي، فلم يفلت منهم أحد، وقد جاء– سبحانه وتعالى– بلفظة الكبكبة التي تدل على التكرير في المعنى، وكأنهم ينكبوا في جهنم مرةً بعد مرةً.

يقول سيد قطب: " وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف، فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه، وإنهم لغاوون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوين، هم ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ والجميع جنود إبليس، فهو تعميم شامل بعد تخصيص "[٢] .

وهؤلاء ما استحقوا هذا العذاب إلا من أجل غوايتهم واتِّباعهم للغاوين، فكانت نتيجة غوايتهم أن يحشروا مع من أغواهم ، وقد قال الله–تعالى–: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(النمل: ٨٩ – ٩٠).

المطلب السادس: الهداية إلى السعير.

لقد حذّر الله–تعالى– عباده المؤمنين بل وجميع بني آدم من خطورة عداوة الشيطان للإنسان، وخطورة الهدف الذي يسعى الشيطان لتحقيقه من خلال عداوته لهم وذلك من خلال العديد من الآيات الكريمة، قال–تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٦)، ينهانا الحق–سبحانه وتعالى– أن نغترَّ بغرور الشيطان إيانا بالله–تعالى–، وأن ننزِّله من أنفسنا منزلة العدو الماكر المخادع؛ لأنه يزين

[1] النكت والعيون: الماوردي (١٧٨/٤).

[2] في ظلال القرآن (٣٥٥/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعصية في ثوب الطاعة، فاحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه، ولا تتولَّوه، فالعدو لا يتبع خطى عدوه وهو يعقل! فالشيطان لا يدعو إلى الخير ولا إلى النجاة﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ فالعاقل لا يجيب دعوة الداعي إلى عذاب السعير، فهذه لمسة وجدانية صادقة؛ لأن الإنسان حين يستشعر ويستحضر صورة المعركة بينه وبين الشيطان؛ فإنه يتحفز بكل قواه، أن يدفع غوايته وإغرائه، فيصبح متيقظاً فطناً لكل وسائل الإغراء التي يكيد الشيطان بها للإنسان، وهذه الحالة التي يريدها الله–تعالى– من الإنسان، حالة الاستعداد الدائم للمعركة الأبدية بين الإنسان والشيطان(١)، فهو يدعو حزبه ومن أطاعه في دعوته وكفره، كما قال–تعالى–: ﴿ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

قال ابن عاشور: " واللام في قوله: ﴿ لِيَكُونُوا۟ ﴾ إما أن تكون لام العلة؛ فإن الشيطان قد يكون ساعياً لغاية إيقاع الآدميين في العذاب نكاية بهم، وهي علة للدعوة المخفية في خاطره الشيطاني وإن كان لا يجهر بها؛ لأن إخفاءها من جملة كيده وتزيينه، وإما أن تكون اللام لام العاقبة والصيرورة مثل ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ... ﴾ (القصص: ٨) (٢) .

قال ابن عطية:" لأنه لم يدْعُهم إلى السعير إنما اتفق أن صار أمرهم عن دعائه إلى ذلك"(٣) .

ولولا موالاتهم للشيطان لما دعاهم إلى دخول النار، قال–تعالى–: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٠).

وابن كثير–رحمه الله– يلفت انتباهنا إلى نقطةٍ مهمةٍ؛ وهي أن الشيطان ليس له القدرة على التسلُّط على الناس من تلقاء نفسه، فلم يمكِّنه الله–تعالى–من ذلك إلا بسببهم ومن جرَّاء موالاتهم له، وبذلك يقول–تعالى–: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ١٠٠).

فيسلِّطه الله–تعالى–عليهم بموالاتهم له وليس لاستقلاله بذلك، فليس إذن مُجْبَرُون، بل موالاتهم له هي المسؤوله عن تسلُّطه عليهم، ومن ثمَّ استطاع – لعنه الله– أن يجرَّهم إلى جهنم(٤).

قال الله–تعالى–: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(الحج: ٤) .

---

(1)انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٤٣٩/٢٠) و(في ظلال القرآن): سيد قطب (١٣٥/٦).

(2) التحرير والتنوير (٤٤٣/١١).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٣٠/٤).

(4) تفسير القرآن العظيم (٦٠٢/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي: كتب الله علي هذا الشيطان، أن من سار على دربهِ وتابعهُ ووالاهُ فإنه﴿ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾أي: يضله عن طريق الحق والخير، ويهديه أي: للشر، والهدى كما أنه يستعمل في الإرشاد والدلالة على الخير، فإنه يستعمل أيضاً في الدلالة على الشر، فالدلالة مطلقة، ونظير ذلك في قوله–تعالى–: ﴿ ...فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (الصافات: ٢٣)، وقوله–تعالى–: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (القصص: ٤١) [١] .

وقوله–تعالى– :﴿ٱلسَّعِيرِ ﴾ "هي النار المتوهجة التي لا تخمد ولا تنطفئ"[٢]

فهكذا تكون نتيجة الغواية واتباع الشيطان؛ فإنه يهدي أتباعه وحزبه ليكونوا من أصحاب النار، فهذا غايته ومقصوده ممن تبعه، أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد.

الخلاصة:

لا شك أنَّ سلوك السبل التي تؤدي إلى الغواية، واتباع الشيطان فيما يدعو إليه من الوعود الكاذبة والأماني الباطلة، تمثل النهاية المؤلمة التي تنتظر كل من وقع فيها؛ لأن الشيطان لم يفتر البتة عن إغواء الناس بشتى الوسائل والأساليب بهدف إيقاعهم في الغواية، كما بيَّن–تعالى–: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦ – ١٧).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ– رضي الله عنه– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ–ﷺ– يَقُولُ: (إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي)[٣] .

ومن هنا فإن النهاية مؤلمة لكل من سلك سبيل الغواية؛ لأنه بذلك حقق مراد الشيطان في إهلاك الناس، ويشتدُّ الألم عليه أكثر عندما يتبرأ الشيطان من أتباعه بعدما أسقطهم في الغواية، ومعاينتهم لعقاب الله–تعالى– أمام أعينهم، فيكشف حينها عن الحقيقة التي غابت عن كل من يركض خلف الشهوات والنزوات والشبهات في سبيل إرضاء الشيطان، كما قال–تعالى–: ﴿ .....إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(إبراهيم: ٢٢).

---

(1) انظر: (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٥٩٧٤) و (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): الشنقيطي (٤/٢٦٢).

(2) تفسير الشعراوي: الشيخ الشعراوي (٥٩٧٤)

(3) تم تخريجه ص(٨٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا بد لكل عاقل أن ينظر إلى هذه النتيجة المؤلمة التي تنتظر كل من يقع في الغواية ويسلك سبل الشيطان، وأن يتيقن أن الطريق الوحيد للنجاة هو طريق الله، كما بيَّن -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(الأنعام: ١٥٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: سبل النجاة والوقاية من الغواية.

وفية ثمانية مطالب:-

المطلب الأول: إخلاص العبادة لله .

المطلب الثاني:التوبة.

المطلب الثالث: المداومة علي ذكر الله .

المطلب الرابع: الاستغفار و التعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

المطلب الخامس: كثرة السجود لله تعالي .

المطلب السادس: الحياء والحشمة .

المطلب السابع: الزواج .

المطلب الثامن:التوكل على الله.

المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة.

المطلب العاشر : الدعاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: سبل النجاة والوقاية من الغواية.

من رحمة الله –تعالى– بعبادة أن يسرَّ لهم سبل النجاة والوقاية من الغواية، والتي تندرج تحت طريق الهداية، التي أمر الله –تعالى– عباده أن يسلكوها، وألا يتنكبوا الطريق فيتركوها؛ لأن الشيطان توعدهم بإسقاطهم فيها، وهذه السبل تمثل طريق الخلاص والنجاة من غواية الشيطان، وقد بيَّن الله –تعالى– في العديد من الآيات القرآنية توعدَّ إبليس لعباده بالإغواء، حتى ظن الظانَّ أنه لن ينجو من غوايته أحد، قال –تعالى–:﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾(الأعراف: ١٦ – ١٧)، وقوله–تعالى–: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(الحجر: ٣٩)، وقوله–تعالى–: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٢ – ٦٤).

ومع هذا التهديد والوعيد من الشيطان للإنسان بالإغواء إلا أن الله –تعالى–كشف لعباده خطط الشيطان التي يسعى من خلالها لإسقاطه في الغواية، وبيَّن سبل النجاة والوقاية التي هي بمثابة الحصن الحصين للمسلم من غواية الشيطان، والتي سيبيِّنها الباحث في المطالب التالية.

المطلب الأول: إخلاص العبادة لله .

إن الله–تعالى– لا يقبل من العبادات إلا ما كان خالصاً، ولهدي النبي–ﷺ–موافقاً، فعليهما مدار القبول، فلا ينفك أحدهما عن الآخر، وكما قال–تعالى–: ﴿ ....فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف: ١١٠) ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله–ﷺ– يقول: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة)[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله –ﷺ–: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشْرَكَ فيهِ معي غيري، تركته وشِرْكَهُ)[٢] .

([1]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الأشربة، باب: استحباب لعق الأصابع....، رقم الحديث (٢٠٣٣)، ص (٨٠٧).

([2]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله(وفي نسخة: باب تحريم الرياء)، رقم الحديث (٢٩٨٥)، ص (١١٤١)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بيَّن- سبحانه وتعالى- أن الشيطان لا سبيل له على المخلصين، الذين أخلصوا لله عبادتهم، فلم يكن للشيطان ولا غيره نصيب فيها.

وقد عرَّف العلماء الإخلاص بعدة تعريفات:

قال الكفويّ:" الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السرّ والقول"(١)

وقال المناويّ: " الإخلاص هو تخليص القلب من كلّ شوب يكدّر صفاءه، فكلّ ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصا، وقيل: الإخلاص: ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوًى فيميله "(٢).

وقال الطحاوي: " والإخلاص: خلوص القلب من تأله ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبته"(٣).

فمن خلال أقوال العلماء يتبين للباحث أن الإخلاص هو عبارة عن تنقية الأعمال والأقوال والعبادات من كل ما يشوبها، بحيث تُبرأ عن كل ما دون الله تعالى.

وقد أمر الله-تعالى- عباده بإخلاص العبادة له وحده في العديد من الآيات، قال-تعالى-:﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ..... قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾(الزمر:١١- ١٤)، وغيرها من الآيات.

قال الشوكاني: "وفى الآية دليل على وجوب النية، وإخلاصها من الشوائب؛ لأن الإخلاص من الأمور القلبية التي لا تكون إلا بأعمال القلب، وقد دلت السنة الصحيحة على أن ملاك الأمر في الأقوال والأفعال النية(٤)، كما في حديث: (إنما الأعمال بالنيات)(٥) .

لذلك؛ فإن العبد إذا حقق الإخلاص يقطع السبيل على الشيطان من أن يتسلَّط عليه، وقد استثنى هو بنفسه-لعنه الله- المخلصين من غوايته، وأخرجهم من ضمن أهدافه؛ إذ لا سلطان له عليهم.

يقول- تعالى- مخبراً عما قاله إبليس- لعنه الله-:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩ – ٤٢)، وقال- تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص: ٨٢ – ٨٣).

---

(1) الكليات(٦٤/١).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف (٤٣/١) .

(3) شرح العقيدة الطحاوية (٤٤٣/١).

(4) فتح القدير: (٤٤٨/٤).

(5) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: بَدْءِ الْوَحْيِ، باب: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ-، رقم الحديث (١)، ص(١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد بيَّنت الآيات الكريمات أن المخلصين فقط، هم المستثنون من غواية الشيطان، وقُرأت(اَلْمُخْلَصِيْن) بالفتح، أي:" الذين أخْلَصتهُم واستخلصتَهُم لعبادتك بتوفيقك وهدايتك"، وقُرِئ(المُخْلِصِينْ) بالكسر، أي: " الذين أخلصوا لك العبادة"[١] .

ومن هنا فإن هذا الشرط الذي قرره إبليس– اللعين– قرره وهو يدرك أن لا سبيل إلى سواه، فهذه سُنةُ الله أن يستخلص من عباده من يخلصون له أنفسهم؛ لذلك كانت النتيجة في قوله–سبحانه وتعالى–: ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤١ – ٤٢)، والاستثناء المذكور في الآية﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾استثناء مقطوع؛ لأن الغاوين ليسوا جزءاً من عباد الله المخلصين، كما أن الشيطان لا يغوي إلا الشاردين كما يتلقف الذئب الشاردة من القطيع، أما الذين أخلصوا لله أنفسهم، وجردوا له الوحدانية فهؤلاء ليس للشيطان عليهم سبيل[٢].

قوله–تعالى–: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾، وقوله–تعالى–: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٌ ﴾(سبأ: ٢٠ – ٢١).

فالله–تعالى– لم يعط إبليس–لعنه الله– القدرة على إجبار الناس، وإغوائهم وإضلالهم، وإنما له القدرة على العباد الذين يرضون فكره، ويتابعونه محض إرادتهم المطلقة، وهذا مأخوذ من قوله–تعالى–:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾، وقوله–تعالى–: ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ (النحل: ١٠٠).

والسلطان الذي أعطيه الشيطان هو تسلطه عليهم بالإغواء، والإضلال، وتمكنه منهم، بحيث يؤزهم على الكفر أزا، ويستحوذ عليهم، كما بيَّنا ذلك في أساليبه مع الكافرين [٣] .

وسلطانه على أوليائه ليس فيه حجة ولا برهان؛ إنما استجابوا له بمجرد أن دعاهم، فهم الذين أعانوه على أنفسهم ومكنوه منهم بموافقتهم ومتابعتهم إياه، لذلك استحقوا أن يجمعهم الله–تعالى– في النار[٤]، كما في قوله–تعالى–:

﴿ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءً مَّوۡفُورًا ﴾(الإسراء: ٦٣).

لذلك فقد عصم الله أهل الإخلاص من غوايته وسلطانه عليهم، وتوكل الله برعايتهم.

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (١٠٣/١٧) و (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٨/١٠).

(2) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٤٣٧/٤).

(3) انظر: (التحرير والتنوير): ابن عاشور (٤٨١/٧) و (تفسير الشعراوي): الشيخ الشعراوي (٦٨٢).

(4) انظر: (عالم الجن والشياطين): عمر الأشقر (٢٦/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نسأل الله-تعالى- أن يرزقنا الإخلاص في أقوالنا وأفعالنا وفي عبادتنا، وأن يجعل إخلاصنا حرزاً وحصناً لنا من الغواية.

المطلب الثاني: التوبة والاستغفار.

من رحمة الله بعبادة أن يسَّر لهم باب التوبة من الغواية، والتحصن والوقاية منها بالاستغفار؛ لأنهما سبيلا النجاة في الدنيا والآخرة، كما قال-تعالى-:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾(محمد: ١٧).

وقد أمر- سبحانه وتعالى- عباده الأخذ بالتوبة ولزوم الاستغفار؛ وسمَّى نفسه بالغفار والغفور وغافر الذنب، وأثنى على المستغفرين، ووعدهم بجزيل الثواب، فالتوبة والاستغفار هما الجدار الواقي للعبد من الغواية.

والتوبة في الشرع: "هي ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة"[١].

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي تحث على التوبة والاستغفار، نذكر منها:

قوله-تعالى-: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (غافر: ٣).

أي: غافر ذنوب المستغفرين، وقابل توبة التائبين، وراحم المنيبين، وهو شديد العقاب على من تجاوز حدوده، واستهان بأمره، وأصر على ذنبه، وهو صاحب التفضل على العباد، وصاحب الإنعام على الخليقة، إذ لا معبود بحق سواه ولا إله غيره، ولا شريك له، إليه يرجع الخلق لإحقاق الحق ومجازاة كل بما يستحق[٢] .

والله-تعالى- فتح لعباده باب التوبة، ليقطع الطريق على الشيطان في إغواء العباد، فكل من أذنب ذنباً ثم تاب إلى الله-تعالى- واستغفر، لن يقدر الشيطان على إغوائه؛ لأن التوبة والاستغفار صفتان من صفات عباد الله، وقد قال الله-تعالى-: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤٢)، وقد قال-ﷺ- في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ-ﷺ-، فيما يحكي عن ربه عزَّوجلَّ قال: (أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أيْ رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أنَّ له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثمَّ عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك)[٣] .

---

(1) مفردات غريب القرآن: الر اغب الأصفهاني (٧٦/١).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): السعدي (٧٣١/١).

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب....، رقم الحديث (٢٧٥٨)، ص (١٠٥٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذلك كان التوجيه الإلهي للعباد بالمسارعة إلى التوبة والاستغفار في العديد من الآيات القرآنية، قال–تعالى–:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ١١٠)

والمعنى: أن من يعمل ذنباً وهو السوء، أو يظلم نفسه بإكسابها إياها ما تستحق من عقوبة، ثم يتوب إلى الله من تلك الأعمال، وعمل ما يحبه الله من الأعمال الصالحة والطاعات، وداوم على الاستغفار، يجد ربه ساتراً عليه ذنبه؛ وذلك بصفحه له عن عقوبة جرمه(١) .

فالتوبة والاستغفار عبارة عن الحصن الذي يأوي إليه المسلم عندما تنزلق قدماه تجاه المعصية، فبهما يصل العبد إلى شاطئ النجاة، وهذا ما بيَّنته الآيات الكريمات، والأحاديث النبوية المطهرة.

قوله–تعالى–: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف:١٥٣).

أي: والذين يقترفون السيئات بجميع أنواعها كبيرها و صغيرها، ثم يرجعوا إلى الله–تعالى– بالتوبة والاستغفار والإنابة، وإخلاص الإيمان؛ فإن الله–تعالى– من بعد تلك العظائم لغفور رحيم، ساتر على ما كان منهم، وهذه الآية الكريمة تحمل في طياتها من البشائر والفرح للمذنبين ما الله به عليم، ليُعْلم أن الذنوب وإن جُلت، وعظمت؛ فإن عفو الله وكرمه أعظم وأجل، شريطة التوبة والإنابة(٢) ، وهذا ما يهلك ويحزن إبليس، ويقطع عليه فرحته، وينغص علية عيشته؛ لأن هدفه الأسمى هو إيقاع الناس في المعاصي والذنوب التي توصلهم إلى النار، فكيده وغوايته تذهب أدراج الرياح بمجرد عودة العبد إلى ربه، وهذا ما بيَّنته السنة المطهرة.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ– رضي الله عنه– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ–ﷺ– يَقُولُ: (إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي)(٣) .

وفي الحديث القدسي عن أنس بن مالك–رضي الله عنه–قال: سمعت رسول الله–ﷺ– يقول: (قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك، على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثمَّ استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثمَّ لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)(٤) .

فالتوبة والاستغفار باب لا يغلقه الله–عزَّوجلَّ– في وجه أحد من الناس إلا في الحالتين الآتيتين.

أولهما: عند حشرجة الروح في الحلق.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (١٩٤/٩).

(2) انظر: (الكشاف): الرازي (١٩٤/٢) و (مفاتيح الغيب): الرازي (٢٥٧/٧).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٢٤٤)، ص (٣٤٤/١٧)، صححه الألباني.

(4) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدَّعوات، باب: فضل التوبة والاستغفار...، رقم الحديث (٣٥٤٠)، ص (٨٠٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما بيَّنته السنة المطهرة، فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– عن النبيِّ –ﷺ– قال: (إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر)[١].

ثانيهما: عند طلوع الشمس من المغرب.

وهذا بيَّنه قوله–تعالى–: ﴿ .....يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

قال ابن كثير: "أي: إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك؛ فإن كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم، وإن كان مخَلِّطًا فأحدث توبة حينئذ، لم تقبل منه توبته، أما قوله–تعالى–:﴿....أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...ۗ ﴾ أي: ولا يقبل منها كَسْبُ عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك"[٢] .

وعن أبي موسى الأشعريّ–رضي الله عنه– قال: قال رسول اللّه–ﷺ –: (إنّ اللّه– عزّ وجلّ– يبسط يده باللّيل ليتوب مسيء النّهار، ويبسط يده بالنّهار ليتوب مسيء اللّيل، حتّى تطلع الشّمس من مغربها)[٣] .

وحتى تصبح التوبة حصناً للمؤمن من الغواية لابد وأن تستكمل شروطها.

شروط التوبة:

قال النّوويّ: "التّوبة واجبة من كلّ ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وربه لا تتعلّق بحقّ آدميّ فلها شروط ثلاثة وهي:

١– أن يقلع عن المعصية.

٢– أن يندم على فعلها.

٣– أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثّلاثة لم تصحّ توبته، ويزاد شرط رابع إذا كان الذنب متعلقاً بحق آدمي، أن يبرأ من حق صاحبه"[٤] .

فما أحوجنا إلى سلاح التوبة والاستغفار، فبالتوبة والاستغفار ننجِّي ونتقي أنفسنا من الغواية .

([1]) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعبادهن رقم الحديث (٣٥٣٧)، ص (٨٠٣)، قال الألباني حديث حسن.

([2]) تفسير القرآن العظيم (٣٧٦/٣).

([3]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم الحديث (٢٧٥٩)، ص (١٠٥٨).

([4]) رياض الصالحين (١٧/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: المداومة على ذكر الله.

لا شك أن المداومة على ذكر الله–تعالى– على كل حال مطردةٌ للشيطان، ودفعٌ لغوايته ووساوسه التي يسعى من خلالها إلى إغواء العباد، لذلك قال الله–تعالى–: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠١).

قال الطبري: " إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان– ما كان ذلك العارض– تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره، وقوله–تعالى–: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ أي: فإذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان"(١).

أما إذا غفل المسلم عن ذكر الله–تعالى– جثم الشيطان على قلبه، وألقى إليه الوساوس بأنواعها، والتي هي أصل الذنوب والمعاصي، فإذا ذكر الله العبد؛ فإن الشيطان ينخنس وينقبض، وهذا ما أشار إليه ابن كثير عند تفسيره لقوله–تعالى–: ﴿ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ (الناس: ٤)أي: " أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس"(٢) .

والشيطان يعيش بمعزل عن الذي يذكر الله تعالى، والعبد الذي يحافظ على ذكر الله يحفظ نفسه من وساوس الشيطان، كما جاء في حديث النبيِّ–ﷺ–: (كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصنا حصينًا فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى)(٣).فذكر الله–تعالى–مقمعته التي يقمع بها، كما يقمع المفسد والشرير بالمقامع التي تردعه، ولهذا يكون الشيطان المؤمن هزيلاً ضئيلاً من شدة ما يعذبه المؤمن، ويقمعه من ذكر الله وطاعته(٤). فالذي يداوم على ذكر الله–تعالى– لا يستطيع الشيطان أن يتسلط عليه؛ إنما يتسلط على الغافل البعيد عن الله، وهذا ما بيَّنته الآية الكريمة في قوله–تعالى–: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٦ – ٣٧)ومفهوم المخالفة من الآيات الكريمات أن الذي يذكر الله لا يقيض له هذا الشيطان؛ لأنه حصن نفسه بهذا الذكر، من أن يغويه ويصده عن سبيل الله.وقد جاءت السنة المطهرة زاخرة ومفصلة للأذكار التي تطرد الشيطان، وتكون حرزاً لصاحبها من الغواية.

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٣٧/١٣).

(2) تفسير القرآن العظيم (٥٣٠/١٤).

(3) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الأدب عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، رقم الحديث (٢٨٦٣)، ص (٦٤٠)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (١٧٢٤)، (٣٥٦/١).

(4) انظر: (بدائع الفوائد): ابن القيم (٧٩٢/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالسنة جعلت أذكاراً للصباح وأذكاراً للمساء، وذكراً عند الاستيقاظ من النوم، وآخر عند الأكل، وعند الشرب، وعند اللبس، وعند دخول البيت، وعند الخروج منه، وعند دخول الخلاء وعند الخروج منه، وعند الأذان وعند الإقامة، وغيرها، فلم تدع السنة وقتاً إلا وخصص بذكر.

ومن هنا فلابد للعبد أن يحرز نفسه بذكر الله–عزَّوجلَّ–؛ لأن الشيطان لا يدخل عليه إلا من باب الغفلة، فإذا ذكر الله انخنس، وتصاغر وانقمع.

وقد بيَّن النبيِّ–ﷺ– أنَّ الذاكر يعيش في معية الله–عزَّوجلَّ– ، قال رسول الله–ﷺ–: (يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرب إليَ شبراً، تقربت إلية ذراعاً، وإن تقرب إليَ ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة)[١]، فإذا كان الله مع العبد الذاكر، فحتماً فإن الشيطان سينزوي ويتصاغر، ولن يكون له تأثير.

المطلب الرابع: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

إن الاستعاذة بالله–تعالى– هي أقوى وأمضي سلاح يتسلح به المؤمن ضد الشيطان وغوايته، فبها تحصل الاستعانة بالله–عزَّوجلَّ– على مقاومة هذا اللعين الذي لا يقدر على صده إلا خالقه.

والاستعاذة في اللغة: مصدر(عَوَذَ) "عاذ به يَعُوذُ عَوْذاً وعِياذاً ومَعاذاً، أي: لاذ منه ولجأَ إليه واعتصم"[٢] .

والاستعاذة شرعاً: قال الطبري: الاستعاذة: هي" الاستجارة"[٣] ، وقال ابن كثير: الاستعاذة " هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شرِّ كل ذي شرّ "[٤]، وقال: " ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدَّني عن فعل ما أُمِرتْ به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه؛ فإن الشيطان لا يكفّه عن الإنسان إلا الله–تعالى–"[٥]

والاستعاذة بالله مطلب شرعي إذ أمر الله–تعالى– به، والنبيُّ–ﷺ– في سننه؛ لأن الشيطان يرانا هو وَقَبِيلُهُ من حيث لا نراهم، لذا شُرِع لنا أن نعتصم ونلوذ بمن يراه ولا نراه.

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: ما يُذكر في الذات والنعوت وأسامي الله، رقم الحديث (٧٤٠٥)، ص (١٣٣٨).

(2) لسان العرب: ابن منظور (٤٩٨/٣).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن (١١١/١).

(4) تفسير القرآن العظيم (١١٤/١).

(5) المرجع السابق(١١٤/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حث الله-تعالى- رسوله-ﷺ-، وعباده على الاستعاذة من الشيطان في مواضع كثيرة من كتابه الكريم.

قال الله-تعالى-: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠).

وقد كرر الله-تعالى- الاستعاذة في آية أخرى، في قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: ٣٦)، وهذا دليل على أهمية الاستعاذة، ومدى حاجة العبد إلي الالتجاء بالله من الشيطان ومن غوايته، وقوله-تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (غافر: ٥٦).

يقول ابن القيم: " وتأمل حكمة القرآن الكريم كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم في الأعراف وفصلت ، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالإبصار بلفظ السميع البصير في سورة غافر؛ لأن أفعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر"(١) .

فالقرآن والسنة يبيِّنان لنا مدى أهمية التعوذ بالله من الشيطان؛ لأن العبد بالتعوذ يحصن نفسه من الشيطان ومن غوايته، وقد جاءت الاستعاذة بعدة صيغ وألفاظ وأوقات، وسيذكرها الباحث في نقاط.

أولها: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم على وجه العموم.

قوله-تعالى-: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (المؤمنون: ٩٧ – ٩٨) .

هذا أمر للنبيِّ -ﷺ-وأمته بأن يعتصموا بالله من الشياطين، ومن غوايتهم وخنقهم ومسهم، وأن يستعيذوا به من أن تحضرهم الشياطين في أي أمر من أمورهم(٢)، ومن ذلك حضورهم الإنسان عند موته، قال ابن القيم: " الأظهر أن همزات الشياطين إذا أفردت دخل فيها جميع إصابتهم لابن آدم(٣) .

ثانيها: الاستعاذة بالله عند نزغات الشيطان.

وهذا ما بيَّنته الآيات الكريمات، في قوله-تعالى-: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)، وقوله-تعالى-: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: ٣٦).

---

(1) بدائع الفرائد (٧٦٥/٢).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن): الطبري (٦٨/١٩) و(الكشاف): الزمخشري (٢٠٢/٣).

(3) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم (٩٥/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء التأكيد في هذه الآية ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ لأن في الآية أمراً بالإحسان، وهذا لا يقدر عليه إلا الصابرون، وقد سبقت الآية الكريمة بعد إنكار الله-تعالى-على الذين شكُّوا في سمعه بقولهم وفعلهم، وعلمه بهم، فاحتاج الحال إلى مزيد توكيد.

أما في الآية الأولى ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيها الأمر بالإعراض، وهذا أسهل على النفوس، فلم يؤكد[1] .

وقد دلت السنة النبوية على أهمية التعوذ بالله، بأحاديث حث فيها النبيُّ-ﷺ-على التحصين بالاستعاذة في مواضع عدة، ذكرها الإمام النووي، منها، عند الصلاة، وعند الوسوسة سواء في الصلاة أو في غيرها، والتعوذ بالله عند الغضب، وعند رؤية ما يكره في المنام، وعند دخول المسجد، ودخول الخلاء، وعند سماع نهيق الحمير، وعند الجماع، وقد كان النبيّ-ﷺ- يعوّذ الحسن والحسين، وفي الصباح وفي المساء، وعند النوم، بل أمر النبيّ-ﷺ- بالاستعاذة الدائمة في كل وقت وحين من فتنة المحيىَ والممات[2] ، وقد أشار الباحث إلى بعضها في أساليب الشيطان في الغواية.

ومن هنا فإن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في كل الأحوال والأوقات، تغلق باب إغواء الشيطان للمؤمن، وتجعل المؤمن في حصن يصعُب على الشيطان اختراقه.

المطلب الخامس: كثرة السجود لله تعالى.

إنَّ السجود سمة من سمات عباد الله الصالحين، الذين سمَوْا بمقام العبودية لله-تعالى-، ولمَّا كان السجود أبلغ صور العبودية لله -عزَّوجلَّ- التي يصل العبد من خلالها إلى مقامات القرب من الله-تعالى-، كان كثرة سجود العبد بالنسبة للشيطان مراغمةً ودحراً له؛ لأن الشيطان أُمرَ بالسجود فأبى، كما قال-تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، وقوله-تعالى-: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ (الحجر: ٣٠ - ٣١)، فإبليس رفض إطاعة أوامر الله-تعالى-؛ فاستحق اللعن والطرد من رحمة الله، كما قال-تعالى-: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ .... وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٤-٣٥-٤٣)؛ لذلك اشتد حنق الشيطان على عباد الله الذين أُمروا بالسجود، فسجدوا لله طائعين، وقد امتدحهم الله-تعالى- وأثنى عليهم في كتابه الكريم، فقال-تعالى-

(1) انظر: (المصدر السابق) (٩٦/١).

(2) انظر: (الأذكار): النووي (١٨/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (الفتح: ٢٩).

فقد مدح الله–تبارك وتعالى– في الآية الكريمة أصحاب النبيِّ–ﷺ– ، فهم ليسوا بأشداء مطلقاً، ولا رحماء مطلقاً؛ وإنما شدتهم على أعدائهم ورحمتهم لإخوانهم، ولا تراهم إلا راكعين ساجدين، محافظين على صلاتهم، لا يبتغون ولا يرجون إلا القرب من ا لله– تعالى – ، والظفر برضاه، ووصفهم – سبحانه وتعالى– بكثرة السجود، فقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾أي علامتهم، وهي نور يرتسم على وجوههم يوم القيامة، وحسن سمت يعلوا وجوههم في الدنيا من كثرة سجودهم وطاعتهم– لله تعالى–، وقوله: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ دليلٌ على السجود أعلى درجات العبودية والإخلاص لله–تعالى–[1]، فلا شك أن من اتصف بهذه الصفة؛ فإن الشيطان سيعجز عن إيقاعه في الغواية، وقد بيَّن النبيِّ–ﷺ– أن في السجود إرغاماً للشيطان، ومحاربة له، فعن أَبِى هريرة –رضي الله عنه–قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–ﷺ– (إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِى يَقُولُ يَا وَيْلَهُ – وَفِى رِوَايَةِ أَبِى كُرَيْبٍ يَا وَيْلِى – أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِىَ النَّارُ)[2]، بل إن سجدتي السهو في الصلاة تذلان الشيطان إذلالاً وتجعله من الصاغرين، فعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–قال: قال رسول الله–ﷺ–: إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثاً أم أربعاً، فليطرح الشك، ويبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يُسلِّم؛ فإن كان صلى خمساً شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماماً لأربع ترغيماً للشيطان)[3] ، (وترغيماً للشيطان) أي: إغاظة له وإذلالاً.

دلَّت أحاديث النبيِّ –ﷺ– أن في كثرة السجود إذلالاً وإرغاماً للشيطان، ووقايةً للعبد من الغواية، وقرباً من الله–تعالى–، بل سبباً رئيساً من أسباب دخول الجنة، وهذا ما بيَّنه النبيِّ–ﷺ–من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي–رضي الله عنه–، قال: كنت أبيتُ مع رسول الله–ﷺ– فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِى: (سَلْ)، فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِى الْجَنَّةِ، قَالَ (أَوَغَيْرَ ذَلِكَ) ، قُلْتُ هُوَ ذَاكَ، قَالَ: (فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) ، وفي رواية أخرى (عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة)[4] .

---

(1) انظر: (فتح القدير): الشوكاني (٥/٥٥) و (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٢٨٧/١٣).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: باب بَيَانِ إِطْلاَقِ اسْمِ الْكُفْرِ عَلَى مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ، رقم الحديث(٨١)، ص (٥١).

(3)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة والسجود له، رقم الحديث(٥٧١)، ص (٢٠٩).

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه، رقم الحديث(٤٨٨–٤٨٩)، ص (١٨٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن هنا فإن كثرة السجود تغيظ الشيطان، وتجعله يعيش في ذُلٍ و صَغَارٍ كونه أُمِرَ بالسجود فلم يسجد، فاستحق اللعن والطرد من رحمة الله–تعالى–، وكثرة السجود تقرب العبد من الله، وتجعله يسموا في أعلى مراتب العبودية، وعلى ذلك فإن كثرة السجود لله–تعالى– تمثل علاجاً ناجعاً للغواية، فالذي يديم السجود لله–تعالى– لن ينال الشيطان منه، ولن يقع في الغواية، نسأل الله أن يجعلنا من عباده الساجدين.

المطلب السادس: الحياء والحشمة.

إن من أعظم ما يكيد به الشيطان للإنسان، كشف العورات وذهاب الحياء والحشمة،الذي يجُرُّ إلي الوقوع في الفاحشة وفساد الأخلاق.

وقد عرَّف المناوي الحياء بقوله: " الحياء انقباض النّفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصا، حيث يتعذّر عليها الفرار بالبدن، وقيل: هو التّرقيّ عن المساوىء خوف الذّمّ، وقيل: هو انقباض النّفس من شيء حذرا من الملام "[١] .

ولذلك فقد دأب الشيطان منذ اللحظة الأولى لطرده من الجنة، بالكيد لآدم–عليه السلام– وذريته بتزيين العُري، وخلع الستر، ولباس الحشمة، وهذا ما فعله الشيطان مع أهل الجاهلية، فقد كانت العرب في الجاهلية تطوف بالبيت عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وما ذاك إلا بتزيين الشطان لهم هذا الفعل، وإنكاره عليهم أن يطوفون محتشمين، بحجة كيف يطوفوا بالبيت بملابس عصوا الله فيها، وقد بيَّن الباحث ذلك في أسباب الغواية[٢] .

لذلك فقد وجه الحق– سبحانه وتعالى– النداء لبني آدم محذرًا لهم من كيد هذا العدو الذي فعل مع أبيهم ما فعل أن لا يفتنهم ويوقعهم في الغواية عن طريق التساهل في كشف العورات .

وامتن عليهم بلباسين يستران عوراتهم كما قال–تعالى–: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٦ – ٢٧).

---

(1) التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي (٣٠٢/١).

(2) انظر: (خلال البحث، التبرج وكشف العورات): (٦١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بيَّن-سبحانه وتعالى-أن هناك تلازماً دائماً بين لباس العورات والزينة، وبين التقوى، فكلاهما لباس، فهذا يستر عورات القلب ويزينه، وذاك يستر عورات الجسم ويزينه، فهما متلازمان (١) .

ولذلك جاء التحذير الرباني للعباد من مكائد الشيطان وغوايته، لأن الشيطان سيعيد الكَرَة فيأمرهم بالعري وخلع الستر والحشمة، فهي سبب رئيس من أسباب الغواية التي تؤدي إلى فساد الدين والدنيا.

والله يُذِّكر بني آدم بنعمته عليهم في تشريع اللباس والستر ، صيانة لإنسانيتهم من أن تنجرف إلى عرف البهائم! فالحياء والحشمة من سبل النجاة من الغواية التي أمرنا الله-عزَّوجلَّ- بالأخذ بها في مواجهة كيد الشيطان وغوايته.

ومن هنا فقد كان النداء الإلهي، والتوجيهات النبوية للعباد بالستر، والحياء والحشمة، والحذر من كل مظاهر كشف العورات، لقطع الطريق على الشيطان؛ لأن التبرج وكشف العورات، ونزع الحياء، من أسلحة الشيطان التي تؤدي إلى الغواية والضلال المبين وهذا ما بيَّنته الآية الكريمة: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ (الأعراف: ٢٠).

المطلب السابع: الزواج.

لقد سدَّ الإسلام كل الأبواب التي تؤدي إلى الوقوع في الغواية، ويسرَّ الأبواب والسبل التي تؤدي إلى العفة والطهارة ومنها الزواج الشرعي الذي شرعه الله-سبحانه وتعالى- للعباد حتى تستقرَّ وتطمئن حياتهم، ولمَّا كان كلٌ من المرأة والرجل يميل ميلاً فطرياً للطرف الآخر، استغل الشيطان ما أودعه الله فيهما من الميل الفطري في سبيل إيقاعهما في الغواية.

والميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي؛ لأن الله- تعالى- جعل من خلاله امتداد الحياة على هذه الأرض، وتحقيق الخلافة لهذا الإنسان في الأرض، وقد جعل الله- تعالى- هذا الميل دائماً، يسكن ثم يعود، وإثارته في كل حين تودي به إلى الإفضاء المادي للحصول على الإشباع، فإذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة، وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة، فالنظرة تثير، والاختلاط بين الجنسين يثير، والمصافحة والملامسة بين الجنسين أيضاً تثير، والإخضاع بالقول يثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير(٢)؛ لذلك فقد سدَّ الإسلام كل هذه الأبواب التي تؤدي إلى تلك الاستثارة، ولأن الشيطان لا يألوا جهداً وذريته في إغواء بني آدم بشتى الطرق، والوسائل وخاصةً في زماننا هذا الذي انتشرت فيه الرذيلة ومنافذها من خلال

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن): سيد قطب (٣/٢١١).

(2) انظر: (في ظلال القرآن): (٥/٢٧٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المواقع الإباحية عبر الإنترنت، والقنوات المختلفة عبر التلفزيون وغيرها، ولمَّا كانت النساء من أعظم الحبائل والوسائل التي يصل بها الشيطان إلى إفساد المجتمع وإيصاله إلى الرذيلة والانحراف، فقد سدَّ الله- عزَّوجلَّ- تلك الطرق المؤدية إلى الغواية وأمر بالطريق الوحيد الذي يؤدي إلى الوقاية والنجاة منها، وهو الزواج الشرعي، فالإسلام لا يعتمد على العقوبات ابتداءً من أجل إنشاء مجتمع نظيف عفيف، بقدر ما يعتمد قبل كل شيء على الوقاية، فهو لا يحارب الدوافع الفطرية للإنسان، بل ينظمها، ويضمن لها الجو النظيف الطاهر.

فهو يقوم على تضييق فرص الغواية، وإبعاد كل عوامل الفتنة والرذيلة، وقطع الطريق على أسباب التهييج والإثارة، وإزالة العوائق دون الإشباع الطبيعي بوسائله المختلفة المشروعة والنظيفة(١) ؛ لذلك فقد شرع الإسلام الزواج، وحثَّ عليه، وجعله السبيل الشرعي الوحيد لإغلاق باب الغواية، قال-تعالى-: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢).

لقد بيَّن الإسلام أن الزواج هو الطريق الوحيد لمواجهة الميول الجنسية الفطرية، وهو الغاية النظيفة لتحقيق تلك الميول، وأمر بإزالة كل العقبات من طريق الزواج لتجرى الحياة على طبيعتها.

ولا شك أن المال يعتبر عقبة كبيرة في طريق تحقيق العفاف، والإسلام نظام متكامل؛ لذلك يأمر الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال في طريقهم إلى العفاف وتحصين النفوس(٢).

قال-تعالى-: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾

لقد أمر الله-تعالى- في الآية الكريمة أولياء الأمور ومن يملكون المال، أن يساهموا في تزويج الشباب من كلا الجنسين، والأيامى: هم الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، وقد خصَّ-سبحانه وتعالى- الصالحين في الآية بالذكر ليحصن دينهم، ويحفظ عليهم صلاحهم، وقوله-تعالى-: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: لا تمتنعوا من تزويجهم بسبب فقرهم؛ لأن الفقر والغنى بيد الله -تعالى-، وقد وعدهم الله بالغنى؛ لأنهم طلبوا رضا الله-تعالى-والاعتصام من معاصيه(٣).

ولذلك نجد في واقعنا كثيراً من الشباب يحجمون عن الزواج خوفاً من تكاليفه المرهقة، ولكن الله-تعالى يلفت انتباههم في الآية الكريمة ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

---

(1) انظر: (في ظلال القرآن الكريم): سيد قطب (٢٧٩/٥).

(2) انظر: (المرجع السابق): سيد قطب (٢٧٩/٥).

(3) انظر: (الجامع لأحكام القرآن): القرطبي (٢٤٢/١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–قال: قال–ﷺ–: (ثلاثة كلهم حق على الله عونه الغازي في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد التعفف)(١).

وقد بيَّن الله–تعالى أن الزواج آية من آيات الله، قال–تعالى–: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

أي: ومن آياته الدالة على قدرته ورحمته بكم، أنه–سبحانه وتعالى– خلق لكم ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أي من جنسكم في البشرية الإنسانية.

قوله–تعالى–:﴿ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ بيان العلة التي خلقكم فيه على هذه الطريقة،أي: خلق لكم من نفس جنسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ويميل بعضكم إلى بعض؛ لأن الجنس يميل إلى جنسه، وكل نوع ينسجم ويأتلف مع نوعه، وجعل بينكم يا معشر الأزواج ﴿ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ أي محبة ورأفة، لم تكن بينكم قبل ذلك؛ وإنما حدثت لكم عن طريق الزواج الذي شرعه لكم، وقد وصفه الله–تبارك وتعالى– في قوله: ﴿ ...هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ... ﴾ (البقرة: ١٨٧)(٢) .

قال ابن عباس في معنى قوله تعالى:﴿ ...هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ... ﴾ قال:"هن سكن لكم وأنتم سكن لهن"، وهو قول مجاهد وقتادة والسُدِّي(٣) .

وهذا السكن والمحبة والمودة التي بيَّنها الله–تعالى– نتيجة الزواج، تمثل السور الواقي لكل الشباب والأزواج في مواجهة الفتن والمغريات والشهوات التي يعجُّ بها عالمنا، ولذلك كان التوجيه النبوي للشباب بالزواج؛ لأنه عنوان العفة والطهارة والوقاية من الفتن والشهوات، قال–ﷺ–: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)(٤).

فالزواج يحفظ الشباب من الوقوع في الغواية، فيحفظ عليهم دينهم وصلاحهم، ويجعلهم عنواناً للعفة والطهارة، وقد وجه –سبحانه وتعالى– من لا يقدر على الزواج بالصبر والعفة، كما في قوله– تعالى–: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾(النور: ٣٣)، أي: ليسلك سبيل العفاف لنفسه، وليسع إليه؛ بأن يمنع المهيِّج سواءً بالنظر أو بغيره، ويسكِّن الغريزة بالصوم، أو يشغل نفسه بالعمل أو بما يفيده، وهذا ما

---

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: العتق، باب: المكاتب، رقم الحديث (٢٥١٨)، ص (٨٤١/٢)، حسنه الألباني.

(2) روح المعاني: الألوسي (٣٠/٢١).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (٤٩٢/٣).

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَاءَةَ فَلْيَصُمْ، رقم الحديث (٥٠٦٥)، ص (٩٥٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أشار إليه-ﷺ- في قوله: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ). وقوله- تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾،أي: بقدرتهم على النكاح، أو بإعانة مجتمعهم لهم، وقوله: ﴿حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ فدلت الآية على الاستعفاف وسيلة من وسائل الغنى؛ لأنه نشأ من إرادة التقوى والطهر، وهذا ما بيَّنته الآية الكريمة في قوله-تعالى-: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾(الطلاق: ٢ – ٣)[1].

وأخيرا فإن الزواج ضرورة حتمية للإنسان، فهو خير واق من الوقوع في الغواية، لذلك رغبَّ الإسلام وحثَّ عليه؛ بحيث يجد كل من المرأة والرجل الراحة والطمأنينة والاستقرار عند الآخر، وفي اجتماعهما يجد كل منهما السكن القلبي والرحمة والمودة التي بيَّنها الله-تعالى- في الآيات الكريمات، وقد ذكر العلماء مقاصد وأهداف الإسلام من الزواج:

١- "الولد، وهو الأصل وله وضع النّكاح والمقصود به إبقاء النّسل.

٢- كسر الشّهوة، والمراد التّحصّن من الشّيطان، وكسر التّوقان ودفع غوائل الشّهوة، والاستجابة لنداء الفطرة وتلبية الحاجة الغريزية على أسس مشروعة، بالإضافة إلى غضّ البصر وحفظ الفرج.

٣- إيجاد السكن النفسي، والمودة والرحمة، وترويح للنّفس وإيناسها بالمجالسة والنّظر ونحوهما إراحة وتقوية لها على العبادة.

٤- في الزّواج تفريغ القلب عن تدبير المنزل وتهيئة أسباب المعيشة ولو تكفّل المرء بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته، ولم يتفرّغ للعلم والعمل، والمرأة الصّالحة عون على الدّين بهذه الطّريق.

٥- مجاهدة النّفس ورياضتها بالرّعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل، والصّبر على أخلاقهنّ والسّعي في إصلاحهنّ وإرشادهنّ إلى طريق الدّين، ورعايتهنّ، وهذه كلّها أعمال عظيمة الفضل لما فيها من الرّعاية والولاية، والأهل والولد رعيّة، وفضل الرّعاية عظيم، ولا يحترز منها إلّا من خاف القصور عن القيام بحقّها.

٦- اعتبار كل من الزوجين لباساً وستراً للآخر، قال -تعالى-: ﴿...هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ...﴾ (البقرة: ١٨٧)"[2].

نسأل الله-تعالى- أن ييسر لشبابنا سبيل العفة والزواج وأن يحفظهم من الفتن والشهوات.

---

(1) انظر: (تفسير الشعراوي) : الشيخ الشعراوي (٦٣٢٦).

(2) إحياء علوم الدين: الغزالي (٢/٢٧)، و الزواج بنية الطلاق من خلال أدلة الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية : صالح آل منصور (١/٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثامن: التوكل على الله.

إنَّ التوكل على الله –تعالى– عبادة الصادقين وسبيل المخلصين، وقد أمر الله به نبيه –ﷺ– وأنبياءه من قبله، فقال –تعالى–: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾(الأحزاب: ٣)، وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾(الشعراء: ٢١٧)، وأمر به المؤمنين، فقال –تعالى–: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (إبراهيم: ١١)، وقوله: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التغابن: ١٣).

قال ابن القيم: " التوكل هو الاعتماد على الله في جميع الأمور مع الأخذ بالأسباب المشروعة[١].

وقال ابن رجب: " صدق اعتماد القلب على اللّه– عزّ وجلّ– في استجلاب المصالح ودفع المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة كلها، ووكلت الأمور كلّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه "[٢]

ولذلك قال ابن كثير في تفسيره لقوله–تعالى–: ﴿...وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢).

أي:" لايرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان"[٣] .

فالمؤمنون المتوكلون على ربهم ليس للشيطان سلطان عليهم، وهذا ما بيَّنه الله–تعالى– في قوله: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل: ٩٩ – ١٠٠).

ففي هذه الآية الكريمة نفى الله–تعالى– سلطان الشيطان على أهل الإيمان والتوكل، وأثبته لمن تولى الشيطان والمشركين، فليس للشيطان طريق يتسلط به على المؤمنين المتوكلين، فقوله–تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر مثل الشرك، بل إنما سلطانه على الذين يتولونه ويطيعونه فيما يدعوهم إليه، فهؤلاء يدخلون تحت ولايته، وقوله﴿ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ أي: بالله مشركون[٤] .

---

(1) مدارج السالكين (١٣٦/٢).

(2) جامع العلوم والحكم (٤٣٦/١).

(3) تفسير القرآن العظيم (١٢/٤).

(4) انظر: (معالم التنزيل في تفسير القرآن): البغوي (٩٦/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما بيّنه-ﷺ- في قوله: (من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال: كُفيت ووقُيت وتنحّى عنه الشيطان)[١].

ولذلك فإن التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد مكائد الشيطان وغوايته.

المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة.

والمقصود بالتربية الإيمانية: " ربط الولد منذ تعقله بأصول الدين، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء، ومبادئ الشريعة هي: كل ما يتصل بالمنهج الرباني، وتعاليم الإسلام من عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وتشريع، وأنظمة، وأحكام"[٢] .

وقد خلق الله-عزَّوجلَّ- الإنسان بتكوين يشمل أربعة جوانب رئيسة وهي: العقل والقلب والنفس والجسد، وقد خلقها الله-تعالى- في الإنسان منذ نزوله من بطن أمه غير مكتملة، ومحدودة الإمكانات، وأودع الله فيها خاصية النماء والتأثر بالمحيط الخارجي، كما قال-تعالى-: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨).

وهذه الجوانب الأربعة تحتاج إلى تعهد دائم وإمداد يترك فيها الأثر الدائم في اتجاه تحقيق الهدف من وجود الإنسان على الأرض وهو تحقيق العبودية الصحيحة لله-تعالى-، ولكي يظهر الأثر الإيجابي لكل هذه الجوانب كان من الضروري سلوك طريق التربية الإيمانية المتكاملة[٣] .

والتربية الإيمانية المتكاملة التي تقوم على منهج الله –تعالى- وهو القرآن والسنة منذ بداية التنشئة، لها الدور الكبير في تحصين العبد من الغواية؛ لأن الاهتمام بتنمية البذور الإيمانية في الإنسان منذ طفولته لها الدور الأكبر في التأثير على حياته مستقبلاً، ولا شك أن هذا الدور مناط بالوالدين بالدرجة الأولى، وما أكثر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تركزّ على التربية الإيمانية ومسؤلية المربين تجاه أولادهم، وبخاصة الآباء والأمهات؛ لأن هذه المسؤوليات ليس يوماً أو شهراً أو سنة؛ وإنما تشمل فترة زمنية طويلة، تبدأ من عند الولادة إلى أن يصبح الإنسان مكلفاً.

([1]) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته، رقم الحديث (٣٤٢٦)، ص (٧٧٩) قال الألباني حديث حسن.

([2]) تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله علوان (١/١١٧).

([3]) انظر: (نظرات في التربية الإيمانية): مجدي الهلالي (١/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن ذلك قوله –تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦)، وقوله –تعالى-: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾(طه: ١٣٢).

وقد قال –ﷺ-: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ جَمْعَاءَ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)[1] .

يقول الغزالي: " والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب؛ وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له... وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق"[2].

ولذلك فإن الصبي إذا أهمل في تربيته الإيمانية المستمدة من الكتاب والسنة منذ نعومة أظفاره؛ فإنها ستنعكس على سلوكه مستقبلاً، فالصبي الذي لم يتلق تربية صالحة منذ الأساس؛ فإنه في الغالب عندما يكبر ويشب يقع في المحرمات والموبقات غالباً.

ولذلك كان التوجيه النبوي لأولياء الأمور أن يكونوا عند مسؤولياتهم في متابعة نشئهم ؛ لأنهم تحت رعايتهم، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ – رضي الله عنه- يَقُولُ: سَمِعْتُ رسول –ﷺ- يقول: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: (وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[3] .

والتربية الإيمانية المتكاملة تقوم على مجموعة من الأسس والأصول التي يجب أن تزرع في العبد منذ نعومة أظفاره:

أولاً: زرع التوحيد الخالص والطاعة المطلقة لله –عزَّوجلَّ-.

لقد اعتنى الإسلام بتربية النشء على التوحيد الخالص منذ الصغر، وهذا ما بيَّنه نبيُّ الله إبراهيم –عليه السلام- في وصيته لبنيه قبيل وفاته، حيث قال الله –تعالى-: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢)، وما بيَّنه النبيِّ –ﷺ- للأمة في تعليم ابن عباس في صغره وزرع

(1) تم تخريجه، انظر: ص(٧٠).

(2) إحياء علوم الدين (٣/٧٣).

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم الحديث (٨٩٣)، ص (١٦٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوحيد الخالص في قلبه، وقد كان يومها صغيراً، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما –قال: كنت خلف رسول الله –ﷺ– يوماً، فقال: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)(١) .

ثانياً: تربية النفس على العفاف والخشية والصدق.

إنَّ تربية الأبناء منذ نعومة أظفارهم على العفاف والخشية والصدق والخصال الطيبة العظيمة للإسلام، تورثهم حسن الخلق، وتعودهم على إلف الطاعات، وكراهية المعاصي والسيئات، لذلك يقول –تعالى–: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(النازعات: ٤٠ – ٤١).

ثالثاً: حسن المعاملة وحسن الخلق مع جميع الخلق.

لقد حث الإسلام على حسن تأديب الأبناء منذ صغرهم بآداب الإسلام وتعويدهم على حسن المعاملة وحسن الخلق؛ لأنه الهدف الأول لدعوة النبيِّ –ﷺ– وهو إتمام البنيان. .

رابعاً: زرع روح المراقبة لله سبحانه في كل تصرفاتهم وأحوالهم.

وهذا لا يكون إلا بتعويد الولد على أن الله –تعالى– يراقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعينه في ذلك تعلم الإخلاص لله رب العالمين في كل عمل يسبقه نية؛ لأنه بذلك يحقق العبودية الخالصة لله –تعالى–، ويكون ممن شملهم قوله –تعالى–: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٥)(٢) .

لذلك فإن المسلم إذا تهيأت له التربية الإيمانية المتكاملة التي تضمن معاني التقوى والمراقبة والخوف والرجاء؛ فإنه ينشأ بلا شك على الإيمان الراسخ، والأخلاق الفاضلة والتربية الصالحة التي تجعله نقياً لا تستهويه الماديات ولا الشهوات، مثل سيدنا يوسف –عليه السلام– فتجعله مُحَصَّناً من الغواية، وهذه الطريقة من أنجع الطرق لتحصين أبنائنا من الانحراف والغواية.

---

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: القيامة والرقائق...، باب: بابٌ، رقم الحديث (٢٤٩٨)، ص (٥٦٣).

(2) تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله علوان (١١٧/١) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب العاشر: الدعاء.

لا شك أن الدعاء والتضرع إلى الله –تعالى– من العبد؛ بأن يقيه من كيد الشيطان وغوايته، وأن يعينه على الطاعة والعبادة، من أنجع الأساليب التي تقي العبد من تلك الغواية، فالذي خلق الشيطان هو الله–تعالى–، فعندما يستنجد العبد ويلجأ إلى الله بالتضرع والدعاء ليصرف مخلوقه عنه؛ فإن الله–تعالى– قريب مجيب الدعاء.

وقد عرَّف المناوي الدعاء بقوله: " هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار "[١] .

لذلك فقد أمر الله –عزَّوجلَّ– عباده أن يدعوه، قال–تعالى–: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)، وقوله–تعالى–: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(غافر: ٦٠)، فالله–سبحانه وتعالى– يأمر عباده المؤمنين أن يكثروا من التضرع إليه بالدعاء، فقوله–تعالى–: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أمرٌ من الله لعباده المؤمنين أن يكثروا من التضرع والدعاء، والتقرب إليه–سبحانه وتعالى– بالطاعات؛ فإنه يستجيب دعائهم ولا يخيب رجاءهم[٢] .

وَعَن أبي هُرَيْرَة –ﷺ– أَن رَسُول الله–ﷺ– قَالَ: (ينزل رَبنَا تبَارك وَتَعَالَى كل لَيْلَة إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا حِين يبْقى ثلث اللَّيْل الآخر، فَيَقُول من يدعوني فأستجيب لَهُ من يسألني فَأعْطِيه من يستغفرني فَأغْفِر لَهُ)[٣] .

ولكن استجابة الدعاء من الله–تعالى– لا تتم إلا بشروط بيَّنها العلماء:

أولها: "الإخلاص لقوله–تعالى–: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (غافر: ١٤).

الثاني: المتابعة لرسول الله–ﷺ– قال تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

الثالث: الثقة بالله واليقين بالإجابة، ومما يزيد ثقة المسلم بربه – تعالى – أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات، والبركات عند الله – تعالى –، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي–ﷺ– قال: (ادعوا الله وأنتم موقنون، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه)[٤].

([1]) التوقيف على مهمات التعريف(١٦٦).

([2]) انظر: (التفسير الوسيط للقرآن الكريم): محمد سيد طنطاوي (٣٠٤/١٢).

([3]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم الحديث (١١٤٥)، ص (٢١٣).

([4]) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات باب: ما جاء في فضل الدعاء ، رقم الحديث (٣٤٧٩)، ص (٧٩٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرابع: حضور القلب، والخشوع والرغبة فيما عند الله من الثواب والرهبة مما عنده من العقاب، قال – تعالى–:
﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩٠) .

الخامس: العزم والجزم، والجد في الدعاء، عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله–ﷺ–: (إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل اللهم إن شئت فأعطني؛ فإن الله لا مستكره له)"[١] [٢]

ومن هنا ينبغي الفطنة إلى أهمية الدعاء للمسلم، إذ به يكشف الله الغمة، ويزيل النقمة، ويقي العبد من غواية الشيطان وكيده، وينجيه من الكربات والمحن.

أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، ومقرّباً إليهِ وإلى دارِهِ، دار السّلام والنّعيم المقيم، وأن ينفعنا بِهِ وعبَادَهُ المؤمنين، وأن يوفّقنا لما يحبُّ ويرضى، ويختم لنا بخيرٍ في عافية، فإنَّهُ أكرم الأكرمين وأرحم الرّاحمين.

الخلاصة:

إن من يعرف سبل النجاة والوقاية من الغواية، لا يمكن إلا أن يكون مؤمناً حقاً، يتجنبُ كل ما يؤدي إلى السقوط في الغواية، فالمسلم الحق لا يمكن أن يغفل عن هذه السبل، ولا يعتبرها أمراً هامشياً في حياته الدنيوية؛ وإنما يحفظ نفسه ودينه بها مما يخدشه أو يضر به، فالأخذ بتلك السبل يترتب عليها فوز العبد في الدار الآخرة أو هلاكه.

لذلك يقول ابن القيم: " المرض نوعان: مرض القلوب ومرض الأبدان، وكلاهما مذكور في القرآن، ومرض القلوب ينقسم إلى قسمين، مرض شبهه وشك، ومرض شهوة وغي، وكلاهما مذكور في القرآن، وهذا الذي يجب أن ننتبه إليه....."[٣]

ومن هنا فإن منهج الإسلام يقوم على تقوية الإنسان بإيمانه وإسلامه ويقينه بالله–تعالى– وهذه السبل تمثل السياج الآمن الذي يُبقي المسلم في حصن حصين ووقاية من الشيطان وغوايته.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: العزم في الدعاء ولا يقل إن شئت، رقم الحديث (٢٦٧٨)، ص (١٠٣٤)، صححه الألباني.

(2) مِنْ عَجَائِبِ الدُّعاء: خالد الربعي (٩).

(3) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١٨/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الكريم المنَّان المتفضِّل، الذي بفضله وبتوفيقه أتممتُ هذا البحث المتواضع، والذي أتمنَّى أن يتقبَّله منِّي، وأن يجعل فيه خيراً عميماً لكل من يقرؤه، ويجعله ذخراً لي في آخرتي، وعلماً يُنتفع به بعد مماتي، فأنتفع به إذا ما انقطعت عنِّي سُبُل العمل والعبادة والاستغفار، وأصلي وأسلم على رسول الله وصحبه ومن والاه ومن اتبَّع سنَّته واقتفى أثره إلى يوم الدين وبعد:

فهذه بعض النتائج التي توصلت إليها وهي على النحو التالي:

١- وردت الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم في واحدٍ وعشرين موضعاً في السور المكية، وجاءت في باب التحذير من اتباع إغواء الشيطان بعد أن عزم على إغواء بني آدم بكل الطرق والوسائل، وموضعاً واحداً في السور المدنية ليتناغم مع الأجواء الإيمانية السائدة.

٢- إنَّ الغواية لها ميادينها المختلفة وصورها المتنوعة، سواء في أصول الدين أو فروعه، وأن الشيطان هو المحرك الرئيس لها.

٣- إنَّ الشيطان ترصدَّ لبني آدم منذ مبدأ خلقهم، فهو يسعى إلى إغوائهم بشتى الطرق والأساليب، بهدف إضلالهم، من خلال إفساده لعبادتهم، فينبغي على المسلم أن يحذر من تلك الغواية وصورها المتعددة، وأن يلتزم بالكتاب والسنة فهما المصدر الوحيد للنجاة من تلك الغواية.

٤- إنَّ للغواية أسباباً كثيرة متعددة ومتنوعة، فوقوع الإنسان بإحدى تلك الأسباب تسهل على الشيطان مهمته.

٥- يستخدم الشيطان في إغوائه لبني آدم مجموعه أساليب مع الكافرين، فهو يغويهم، ويضلهم ضلالاً مبيناً؛ لأن هؤلاء الكافرين رضوا بأن يكونوا أتباعاً للشيطان، فهو يوجههم حيث شاء، وقد جعل الله له سلطاناً عليهم.

٦- يستخدم الشيطان أساليب أخرى مع المؤمنين، لكن كل حسب إيمانه وحسب نوعية من يواجهونه، ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن فضح لهم أساليبه المختلفة، وكيف يغوي الإنسان من خلالها.

٧- اعتراف الشيطان بضعفه وقلة حيلته أمام المخلصين المتوكلين الملتجئين إلى الله–تعالى– من العباد .

٨- هذه الدنيا دار اختبار وابتلاء، يمتحن الله فيها خلقه، ووجود الشيطان فيها فتنة لهم واختبار، ليتبين خبيثهم من طيبهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩- البشر قسمان، منهم الذين استجابوا لله -تعالى-، وهؤلاء هم الذين نجوا من الغواية ومن الوقوع فيها، ومنهم الذين استجابوا للشيطان، وهؤلاء هم الذين سقطوا في الغواية.

١٠- إن القرآن الكريم ساق لنا نماذج للمُهْلَكِين الذين سقطوا في الغواية نتيجة كفرهم وطغيانهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق، وقد ضربها الله -تعالى- لنا، لتكون علامات على طريق المؤمن ليكون يقظاً فطناً، فلا تخدعه الدنيا ببريقها وزينتها، وليعلم الهدف الذي من أجله وجد في هذه الدنيا.

١١- ذكر القرآن الكريم نماذج لمن استعلى الإيمان في قلوبهم، فلم يهزمهم الشيطان، ولم تغريهم الدنيا، ولم تسحرهم قوة الباطل، لتكون هذه النماذج نبراساً لكل السالكين على درب الإيمان، ليتمترسوا خلف إيمانهم وليفوزوا بسعادة الدارين.

١٢- استمرار عداوة الشيطان للإنسان ما دامت روحه في جسده، فيجب الحذر منه ومن غوايته، وذلك بالتسلح الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة.

١٣- يهدف الشيطان من غوايته للعباد إضلالهم وكفرهم، ليستحقوا اللعن والطرد من رحمة الله، كما حدث معه، فحينها يخسرون الدنيا والآخرة، ويكونوا بجواره في جهنم والعياذ بالله.

١٤- إنَّ إخلاص العبادة لله -تعالى- والتقرب إليه بأنواع العبادات المختلفة، يكون حاجزاً متيناً يمنع اقتراب الشيطان ويحصن النفس من تسلل الغواية إليها.

١٥- إنَّ البعد عن الله -تعالى- بعدٌ عن الحماية والتحصين من الشيطان.

أما عن التوصيات:

والباحث يوصي بما يلي:

١- الحرص على تحصين النفس من الوقوع في الغواية وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة.

٢- عدم الاستهانة بالمعاصي والذنوب؛ لأنها السبيل الذي يُستدرج العبد من خلاله إلى الغواية.

٣- أوصي الدعاة والمربين أن يجتهدوا فيكشفوا للمسلمين أساليب الشيطان التي يسعى من خلالها إلى إغواء الناس، وإيقاعهم في الباطل.

٤- أوصي المربين بنشر وشرح نماذج الذين سقطوا في الغواية والذين نجوا منها لتكون إشارات على الطريق حتى لا يقع الناس في الغواية.

٥- الحرص على تربية الأبناء منذ نعومه أظفارهم على تعاليم الإسلام من خلال تربية إيمانية متكاملة؛ لأن هذه التربية تحصنهم من الغواية ومن تسلط الشيطان عليهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا وأسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتقبل منِّي هذا العمل، فما كان صواباً فهو من الله، وما كان من خطأ فهو منِّي ومن الشيطان والله منه براء، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١.	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ .. ﴾	البقرة	٣٤	٢٢٦
٢.	﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا ... ﴾		٣٦	١٠٣
٣.	﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ .... ﴾		٥٤	١٥٦
٤.	﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو .. ﴾		٦١	١٩٩
٥.	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ .. ﴾		٦٥-٦٦	١٥٣
٦.	﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ..... ﴾		٧٩	٢٠- ١٠٧
٧.	﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ .... ﴾		٨٩	١٠٧
٨.	﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ ...... ﴾		٩٠	٢٠٩
٩.	﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ......... ﴾		١٠١	٢٠
١٠.	﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ ...... ﴾		١٣٢	٢٢٦
١١.	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ .... ﴾		١٦٥	٦٢
١٢.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ .... ﴾		١٦٨	٥٠
١٣.	﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ .... ﴾		١٦٩	٥٠
١٤.	﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ... ﴾		١٧٩	٤٤
١٥.	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ... ﴾		١٨٦	٢٢٧
١٦.	﴿ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ .. ﴾		١٨٧	٢٦
١٧.	﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى....... ﴾		١٩٥	٢٦
١٨.	﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ... ﴾		١٩٧	٢٦
١٩.	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ .. ﴾		٢٥٦	١١-١٢
٢٠.	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ...... ﴾		٢٥٨	١٣٦
٢١.	﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم ...... ﴾		٢٦٨	٢٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٢.	﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا .... ﴾	البقرة	٢٧٥	٤٢
٢٣.	﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ .... ﴾		٢٧٥	٤٣
٢٤.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ .... ﴾		٢٧٨-٢٧٩	٤٢
٢٥.	﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ .... ﴾		٢٨٣	١٤٨
٢٦.	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ..... ﴾	آل عمران	١٤	٦١-١١٧
٢٧.	﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ .... ﴾		٢٨	٥٣
٢٨.	﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ...... ﴾		٣١	٢٢
٢٩.	﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ...... ﴾		٣٦	١٠٠
٣٠.	﴿ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا .... ﴾		٣٦	١٠١
٣١.	﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ .. ﴾		١٠٤	٧١
٣٢.	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ ..... ﴾		١١٠	٦٩-٧٢
٣٣.	﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا إِلَّا بِحَبْلٍ .... ﴾		١١٢	١٩٩
٣٤.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ .. ﴾		١٥٥	١٠٤
٣٥.	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ .... ﴾		١٦٩	١٨٤
٣٦.	﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا ... ﴾		١٧٣	١١٤-١٧٢
٣٧.	﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ.......... ﴾		١٧٥	١٠٧
٣٨.	﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ .... ﴾		١٧٥	١١٣-١١٤
٣٩.	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ ... ﴾		١٧٨	١٠٩
٤٠.	﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾		١٧٩	١٢٦
٤١.	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ... ﴾		١٨٠	٢٦-١٥٨
٤٢.	﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ..... ﴾		١٨١	٢١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.٤٣	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ .... ﴾		١٨٧	١١٠
.٤٤	﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ .... ﴾		٢	٤٠-٤٥
.٤٥	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ...... ﴾		٣	٣٩
.٤٦	﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ .... ﴾		٥	٥٩
.٤٧	﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ... ﴾		٧	٤٣
.٤٨	﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً .. ﴾		٩	٤٥
.٤٩	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ .... ﴾		١٠	٤٥
.٥٠	﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ .... ﴾		١١	٤٣
.٥١	﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ...... ﴾		٣٨	٢٠١
.٥٢	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا ... ﴾	النساء	٤٧	١٥٠
.٥٣	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ .... ﴾		٦٠	١٠٥
.٥٤	﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا .... ﴾		٧٦	١٦٣
.٥٥	﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ...... ﴾		٧٧	١٤٦
.٥٦	﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ .... ﴾		١١٠	١١١
.٥٧	﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا........ ﴾		١١٦	٢٤
.٥٨	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ... ﴾		١٣٥	٤٦
.٥٩	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ...... ﴾		١٥٥	٢١٨
.٦٠	﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ .... ﴾		٨	٤٤
.٦١	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا .... ﴾		١٣	١١٨
.٦٢	﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ .... ﴾		١٧	٢١٧
.٦٣	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ...... ﴾	المائدة	١٨	٢١٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٤.	﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ....﴾	المائدة	٤٨	٥٩
٦٥.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ...﴾		٥١	٥٢
٦٦.	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ......﴾		٦٠	١٥٢
٦٧.	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ....﴾		٧٨-٧٩	٧٠-٧٢- ١٩٩
٦٨.	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ ...﴾		٩١	١١١-١١٢
٦٩.	﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ....﴾		١٠٠	٦٤
٧٠.	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ ......﴾	الأنعام	٢١	٣١
٧١.	﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		٤٣	١١٨-١١٩
٧٢.	﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ....﴾		٧١	٨٦
٧٣.	﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ .....﴾		٨٨	٢٤
٧٤.	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ .....﴾		١١١-١١٢	٤٩-١١٩
٧٥.	﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ....﴾		١٢٥	١٤
٧٦.	﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ .....﴾		١٣٧	١١٩
٧٧.	﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا ..﴾		١٤٢	٥١
٧٨.	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .....﴾		١٥٢-١٥٣	٤٥-٢٠٦
٧٩.	﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا ...﴾		١٥٨	١١٣-١٣٧
٨٠.	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ....﴾		١٥٩	١٣٩
٨١.	﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ ....﴾	الأعراف	١٣	٣٥
٨٢.	﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ....﴾		١٦-١٧	٧-١٣- ٨٦-٢٠٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.٨٣	﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ ...﴾		٢٠	٦٧-١١٦
.٨٤	﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا مِن ......﴾		٢٢	٦٧
.٨٥	﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ ....﴾		٢٦-٢٧	٦٩-٨٣-
.٨٦	﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ....﴾		٣٠	٨٧-٢٠٥
.٨٧	﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ......﴾		٣١	٦٨
.٨٨	﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ....﴾		٣١	٨٨
.٨٩	﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا .....﴾	الأعراف	٥١	٥٧
.٩٠	﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى ....﴾		٦٣-٦٤	٥٨
.٩١	﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ...﴾		٨٣	١٢٩
.٩٢	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا ....﴾		٩٧	٧٨
.٩٣	﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ .....﴾		٩٩	١٥٢
.٩٤	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا ....﴾		١٠٢	١٤١
.٩٥	﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ....﴾		١٠٧-١٠٨	١٨١
.٩٦	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ ....﴾		١١١-١١٢	١٧١
.٩٧	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن ......﴾		١١٥-١١٦	١٧٢-١٧٤
.٩٨	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا ...﴾	الأعراف	١١٧-١١٩	١٧٥
.٩٩	﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) ....﴾		١١٩-١٢٢	١٧٥
.١٠٠	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ..﴾		١٢٧	١٧٧
.١٠١	﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ ..﴾		١٢٩	١٧٧
.١٠٢	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ ..﴾		١٣٠	١٨١
.١٠٣	﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا ....﴾		١٣٢	١٨٢
.١٠٤	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ ....﴾		١٣٣	١٨١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠٥.	﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ .. ﴾		١٣٤-١٣٥	١٨٢
١٠٦.	﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ .... ﴾		١٤٣	١٧١
١٠٧.	﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا .. ﴾		١٤٦	٧
١٠٨.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ... ﴾	الأعراف	١٥٢	١٩٩
١٠٩.	﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا ... ﴾		١٥٣	١١٢
١١٠.	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ...... ﴾		١٥٧	٦٩
١١١.	﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .... ﴾		١٥٨	٢٢٨
١١٢.	﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ ...... ﴾		١٦٣	١٤٨
١١٣.	﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ ...... ﴾		١٦٤	١٤٨
١١٤.	﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ...... ﴾		١٦٥	١٤٩
١١٥.	﴿ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ ..... ﴾		١٦٨	١٥٧
١١٦.	﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ .... ﴾	الأعراف	١٧٥-١٧٦	٧-٦١-١٥١
١١٧.	﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ..... ﴾		١٧٩	١٢٢
١١٨.	﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ .... ﴾		١٨٠	١٩
١١٩.	﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ ... ﴾		١٨٢	١٠٩
١٢٠.	﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ .... ﴾		١٨٣	١٠٩-١١٠
١٢١.	﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ .... ﴾		٢٠٠	١٠٠- ٢٢٥-٢٢٨
١٢٢.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ ...... ﴾		٢٠١	١٦٤-٢٣٣
١٢٣.	﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾		٢٠٢	٧-١٣
١٢٤.	﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ .... ﴾		٢	٢٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢٥.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ .. ﴾		٢٧	٣٢-٣٣
١٢٦.	﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ .. ﴾	الأنفال	٣٠	١٥٥
١٢٧.	﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا ... ﴾		٤٨	١١٩
١٢٨.	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا .... ﴾		٥٥	٨٥
١٢٩.	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ .... ﴾		٢٤	٦٢
١٣٠.	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ .... ﴾	التوبة	٣٠	٢١٧
١٣١.	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا . ﴾		٣١	١٩
١٣٢.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ ..... ﴾		٣٤	٢٦-١٥٨
١٣٣.	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ . ﴾		٦٧	٥٢-٧٠
١٣٤.	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ .... ﴾	التوبة	٧١	٧١
١٣٥.	﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ .... ﴾		١١٢	٧١
١٣٦.	﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ .. ﴾		٢٢	١٥٨
١٣٧.	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾		٢٣	١٦٠
١٣٨.	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾	يونس	٢٤	١١٧
١٣٩.	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ		٧٥	١٣٩
١٤٠.	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ .... ﴾		٧٩	١٨١
١٤١.	﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى ... ﴾		٨٣	١٣٩
١٤٢.	﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ .... ﴾		٨٨	١٤١
١٤٣.	﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ .. ﴾		١٧	٥٧
١٤٤.	﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ... ﴾		٣٤	٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.١٤٥	﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي ..﴾	هود	٣٧	١٢٧
.١٤٦	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ ....﴾		٤٠	١٢٨-١٣٠
.١٤٧	﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾		٤١	١٢٨
.١٤٨	﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ ...﴾		٤٢-٤٣	١٢٨
.١٤٩	﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ ..﴾		٦٩	١٣٢
.١٥٠	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ ..﴾		٧٤-٧٦	١٣١-١٣٢
.١٥١	﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ ...﴾		٧٧	١٣٣
.١٥٢	﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ ....﴾		٧٨	١٣٤
.١٥٣	﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ ...﴾		٨١	١٣٤
.١٥٤	﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ....﴾		٨٢-٨٣	١٣٢-١٣٥
.١٥٥	﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ ....﴾		٨٥	٤١
.١٥٦	﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ......﴾		٩١	١٨٠
.١٥٧	﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ .﴾		١١٦	١٥٠
.١٥٨	﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ .﴾	يوسف	١٨	١٠٨
.١٥٩	﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ ......﴾		٢١	١٦١
.١٦٠	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ ...﴾		٢٢-٢٤	١٦٠
.١٦١	﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ....﴾		٥٣	١٠٨-١٦٣
.١٦٢	﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا..........﴾		٨٣	١٠٦-١٠٩
.١٦٣	﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ ....﴾		١٠٠	١٠١
.١٦٤	﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾		١١١	١٦٠
.١٦٥	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ ....﴾		١١	٧٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٦٦.	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ...... ﴾	الرعد	٢٨	٩٧
١٦٧.	﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ .... ﴾	إبراهيم	٧	١٤٣-١٥٥
١٦٨.	﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ .... ﴾	إبراهيم	١١	٢٢٣
١٦٩.	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ .... ﴾	إبراهيم	١٣	٢٠٤
١٧٠.	﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ .... ﴾	إبراهيم	٢٢	١٠٩- ١٢١- ١٩٩- ٢٠٢-٢٠٦
١٧١.	﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ	الحجر	٣٠-٣١	٢٢٩
١٧٢.	﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيۡكَ	الحجر	٣٤-٣٥	١١٨-٢٢٩
١٧٣.	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ	الحجر	٣٩	٥-١٣- ١٢-٣١- ١٢٢- ١١٩-٢٢٠
١٧٤.	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾	الحجر	٣٩-٤٢	٣-٦-٩- ١١-١٢- ٣٠-١١٧- ٢٠٨- ٢١٠- ٢١٧-٢٣٠
١٧٥.	﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ	الحجر	٦٦	١٣٤
١٧٦.	﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ	الحجر	٦٧-٧٢	١٣٣
١٧٧.	﴿ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةً	الحجر	٧٤-٧٥	١٣٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٧٨.	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾		٨٢	٥
١٧٩.	﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾		٩٩	٢٠
١٨٠.	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ .... ﴾	النحل	٣٦	١٦-٢١-٦٩
١٨١.	﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ .. ﴾		٦٣	١٢١
١٨٢.	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا ...... ﴾		٧٨	٢٢٥
١٨٣.	﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ ...... ﴾		٨٤	١٤٦
١٨٤.	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ .... ﴾		٩٠	٣٠
١٨٥.	﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾		٩٦	١٦٠
١٨٦.	﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾		٩٩-١٠٠	٩٠-١٢١-١٢٣-٢٢١-٢٣٦-٢٤٣-٢١٥-٢٥١
١٨٧.	﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ .... ﴾		١٠٥	٣٠
١٨٨.	﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ... ﴾		١٠٦	٢٠٤
١٨٩.	﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا .. ﴾		١٢٤	١٤٨
١٩٠.	﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ ... ﴾		٢٣	٣٥
١٩١.	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ ... ﴾		٣٢	٣٩
١٩٢.	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى ﴾		٣٤	٤٤
١٩٣.	﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ .... ﴾		٤٠	٢١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٩٤.	﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ ﴾	الإسراء	٥٣	١٠٢
١٩٥.	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ .... ﴾		٦٢-٦٣	٨٥-١١٨- ٢٠٨-٢١٠
١٩٦.	﴿ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ... ﴾		٦٤	٩٢-١٠٩
١٩٧.	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ...... ﴾		٦٥	٨٩-٩٠
١٩٨.	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ... ﴾		٨٥	١٨٥
١٩٩.	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ .. ﴾		١٠١	١٨١
٢٠٠.	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ ... ﴾	الكهف	٩-١٤	١٨٥- ١٨٦- ١٨٧- ١٨٨-١٩٩
٢٠١.	﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً .. ﴾		١٥	١٨٨
٢٠٢.	﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا . ﴾		١٦	١٨٨
٢٠٣.	﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ .. ﴾		١٧	٢٠١
٢٠٤.	﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ .... ﴾		١٨	٢٠٢
٢٠٥.	﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ . ﴾		١٩	١٩٧
٢٠٦.	﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ .... ﴾		٢٠	١٨٠- ٢٠٣-٢٠٤
٢٠٧.	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ . ﴾	الكهف	٢١	٢٠٤
٢٠٨.	﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ ﴾		٢٢	٢٠٥
٢٠٩.	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا .... ﴾		٢٣-٢٤	٢٠٦
٢١٠.	﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ ...... ﴾		٢٥	١٨٧-٢٠٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.٢١١	﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾		٣٢-٣٣	١٥٣
.٢١٢	﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ﴾		٣٥-٣٦	١٥٣
.٢١٣	﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي ..﴾		٣٧	١٩٠
.٢١٤	﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ....﴾	الكهف	٣٨	١٩١
.٢١٥	﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ ....﴾		٣٩	١٩١
.٢١٦	﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ .....﴾		٤٠-٤١	١٩١
.٢١٧	﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ﴾		٤٢-٤٣	١٥٤-١٥٩-١٩١
.٢١٨	﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ....﴾		٤٤	١٥٥
.٢١٩	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ....﴾		٤٦	١٥٣
.٢٢٠	﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا .﴾	الكهف	٤٩	٢٠١
.٢٢١	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا ....﴾		١١٠	٢٠٨
.٢٢٢	﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ......﴾		٤٦	١٨٠
.٢٢٣	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ....﴾	مريم	٥٩	١٠-١١-١٢-١٣-٢٤
.٢٢٤	﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ ......﴾		٦٦	٢٠
.٢٢٥	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ ....﴾		٦٨	٩٠-٢٠٢-٢٠٣
.٢٢٦	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ .....﴾		٨٣	٨٩-٢١٩
.٢٢٧	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ ..﴾		١٧-٢٣	١٨٠
.٢٢٨	﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا ...﴾		٣٧-٣٩	١٦٤-١٦٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.٢٢٩	﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ .. ﴾	طه	٥٦-٥٩	١٧٢
.٢٣٠	﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ .... ﴾		٦٠	١٧١
.٢٣١	﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ... ﴾		٦٤	١٨١
.٢٣٢	﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ .. ﴾		٦٥-٦٦	١٧٤
.٢٣٣	﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ ..... ﴾		٦٦	١٧٤
.٢٣٤	﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ .... ﴾		٦٧-٦٨	١٧٥
.٢٣٥	﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ... ﴾		٧١	١٧٦
.٢٣٦	﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ .... ﴾		٧٢-٧٣	١٧٦-١٩٥
.٢٣٧	﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ .. ﴾		٩٦	١٠٨
.٢٣٨	﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا .... ﴾		١٠٠	٥٧
.٢٣٩	﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ .... ﴾		١٢٠	١١٩
.٢٤٠	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا . ﴾		١٢١	٤-٥-١٠- ١١
.٢٤١	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ... ﴾		١٢٤	٥٤-٥٨
.٢٤٢	﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ .... ﴾	طه	١٣٢	٢٢٥
.٢٤٣	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا ...... ﴾	الأنبياء	٢٥	١٥٧
.٢٤٤	﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ تُرْجَعُونَ ...... ﴾		٣٥	١٧٥
.٢٤٥	﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ..... ﴾		٩٠	٢٢٨
.٢٤٦	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ .... ﴾		٣-٤	١٠٥- ١٣٧-٢٠٥
.٢٤٧	﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ .... ﴾		٢٥	٢٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٤٨.	﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ....﴾	الحج	٣١	٢٤٣
٢٤٩.	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ..﴾		٤٢	٢
٢٥٠.	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ .....﴾		٤٨	١٤١
٢٥١.	﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ ...﴾		٦٧	١١
٢٥٢.	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾	المؤمنون	٤	٢٥
٢٥٣.	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا ....﴾		٤٥-٤٦	١٣٩
٢٥٤.	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾		٥٥	١٠٩
٢٥٥.	﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ....﴾		٩٧-٩٨	٩٧-٢٢٨
٢٥٦.	﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ .﴾		٩٩-١٠٠	٢٠١
٢٥٧.	﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ ...﴾	النور	٢	٤٦
٢٥٨.	﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ....﴾		٢١	٣٠-٤٨
٢٥٩.	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ....﴾		٣٠-٣١	٦٥-٦٧- ٧١-١٦٤-
٢٦٠.	﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ...﴾		٣٢	٢٢١
٢٦١.	﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ .﴾	النور	٣٣	٤٠-٢٣٤
٢٦٢.	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ .﴾		٦٣	٢٣-٥٦- ٦٧
٢٦٣.	﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ..﴾	الفرقان	٢٧-٢٩	٢٠١
٢٦٤.	﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ .﴾		٤٠	١٣٣
٢٦٥.	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا ....﴾		٥٥	١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٦٦.	﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا .... ﴾		٥	٥٥
٢٦٧.	﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ..... ﴾	الشعراء	٢٩	١٤١-١٨٢
٢٦٨.	﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ ... ﴾		٣٠-٣٤	١٨٢
٢٦٩.	﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ ... ﴾		٤١-٤٢	١٧١
٢٧٠.	﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ . ﴾		٤٤	١٧٤
٢٧١.	﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ .. ﴾		٤٥	١٨٣
٢٧٢.	﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا .... ﴾		٤٦-٤٨	١٧٥
٢٧٣.	﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ﴾		٤٩	١٧٦
٢٧٤.	﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ ﴾	الشعراء	٥٠-٥١	١٧٦
٢٧٥.	﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى .... ﴾		٨٨-٨٩	١٣٠
٢٧٦.	﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ .... ﴾		٩٠-٩١	١٠-١١
٢٧٧.	﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ ... ﴾		٩٤-٩٥	١٠-٢٠٣
٢٧٨.	﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ .... ﴾		١١٦	١٨٢
٢٧٩.	﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا .. ﴾		١٦٥-١٦٦	١٣١
٢٨٠.	﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ . ﴾		١٦٧	١٣١
٢٨١.	﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ .. ﴾		١٧٢-١٧٥	١٣٣
٢٨٢.	﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾		٢١٤	١٣٠
٢٨٣.	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾		٢١٧	٢٣٦
٢٨٤.	﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾		٢٤٤	١٠
٢٨٥.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ		٤	١١٧
٢٨٦.	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾		١٤	٥٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٨٧.	﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾	النمل	٢٤	١١٩
٢٨٨.	﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ ﴾		٤٠	١٥٧–١٩٠
٢٨٩.	﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ﴾		٥٤	١٣١
٢٩٠.	﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ﴾		٨٩–٩٠	٢٠٤
٢٩١.	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا ... ﴾	القصص	٤	١٣٩–١٤٠–١٤٢
٢٩٢.	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ . ﴾		٧	١٦٥
٢٩٣.	﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا . ﴾		٨	١٦٥–٢١٥
٢٩٤.	﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ...... ﴾		٩	١٦٤–١٦٦
٢٩٥.	﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ .. ﴾		١٠	١٦٥
٢٩٦.	﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن ...... ﴾		١٢–١٣	١٦٧
٢٩٧.	﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي .... ﴾		١٨	١٠
٢٩٨.	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ .... ﴾		٣٨	١٨–١٤٠–١٦٦
٢٩٩.	﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ ... ﴾		٣٩	١٣٩
٣٠٠.	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ... ﴾		٤١	٢٠٥
٣٠١.	﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ ...... ﴾		٦٣	١٠
٣٠٢.	﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ .. ﴾		٧٦–٧٧	١٤٢
٣٠٣.	﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ . ﴾	القصص	٧٨	١٤٤–١٤٥
٣٠٤.	﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ .... ﴾		٧٩	١٤٦
٣٠٥.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ .. ﴾		٨٠	١٤٨
٣٠٦.	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ .... ﴾		٨١–٨٢	١٠–١٤٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.٣٠٧	﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ .. ﴾		٨٣	٦٠
.٣٠٨	﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ	العنكبوت	٢٨-٣٠	١٣٠
.٣٠٩	﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا		٣١-٣٢	١٣٢
.٣١٠	﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ		٣٣	١٣٢
.٣١١	﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن		٣٨	١١٩
.٣١٢	﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾		٤٥	٥٣
.٣١٣	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا	الروم	٢١	٢٢١
.٣١٤	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي		٣٠	١٦-٧٢
.٣١٥	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ	السجدة	٢٢	٥٤-٥٥
.٣١٦	﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا	سبأ	٢٠-٢١	٩٠-٢١٠
.٣١٧	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا	فاطر	٦	٣٢-١١٠- ١٩٨-٢٠٢
.٣١٨	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا		٣٢	٧٧
.٣١٩	﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾		٤٣	١٧٢
.٣٢٠	﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا		١٣-١٩	١٧٨- ١٨٠-١٨١
.٣٢١	﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ		٢٠-٢١	١٨١
.٣٢٢	﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ		٢٢-٢٣	١٨٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٢٣.	﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾	يس	٢٤	١٩٢
٣٢٤.	﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾		٢٦-٢٧	١٨٣
٣٢٥.	﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ﴾		٢٨-٢٩	١٨٤
٣٢٦.	﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ﴾		٣٠-٣١	١٨٤
٣٢٧.	﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ﴾		٦٢	١٤
٣٢٨.	﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾	الصافات	٢٢	١٠٦
٣٢٩.	﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾		٣٢	١٠
٣٣٠.	﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾		٥٦	١٤
٣٣١.	﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ﴾		٧٥-٧٦	١٢٧
٣٣٢.	﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ﴾	ص	٣٢	٥٩
٣٣٣.	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾		٨٢-٨٣	٩-٩٢- ١٢١- ١٦٠- ٢٠٩-
٣٣٤.	﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾	الأحزاب	٣	٢٢٣
٣٣٥.	﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ﴾		٣٠	٦٤
٣٣٦.	﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾		٧٢	٣٢
٣٣٧.	﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا﴾	الزمر	٣	١٨
٣٣٨.	﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾		١١-١٤	٢٠٩
٣٣٩.	﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ﴾		٣٦-٣٨	١١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٤٠.	﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي		٤٢	١٨٧
٣٤١.	﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ		٤٥	٥٦
٣٤٢.	﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ		٤٩-٥٠	١٤٥
٣٤٣.	﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ		٥٦-٥٨	٢٠١
٣٤٤.	﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ		٦٥	٢٤
٣٤٥.	﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي	غافر	٣	٢١١
٣٤٦.	﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ		١٤	٢٢٨
٣٤٧.	﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ		٢١	١٧
٣٤٨.	﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ		٢٨	-١٦٨ ١٦٩-١٦٨
٣٤٩.	﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ		٢٩	-١٦٩ ١٧٩-١٧٠
٣٥٠.	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ		٣٠-٣٣	١٧٦-١٧٠
٣٥١.	﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ		٣٦-٣٧	١٧٠
٣٥٢.	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ		٣٨-٤٠	١٧٦-١٧٠
٣٥٣.	﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ		٤١-٤٢	١٧٠
٣٥٤.	﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ		٤٤	١٧٦-١٦٧
٣٥٥.	﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ		٤٥	١٧١
٣٥٦.	﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ		٥١	٥٨
٣٥٧.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ		٥٦	٢٢٧
٣٥٨.	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ		٦٠	٢٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٥٩.	﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ	فصلت	٢٥	١١٩-٢٠٠
٣٦٠.	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ		٣٣-٣٤	٦٩-١٠١
٣٦١.	﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ		٣٦	٩٨-١٠٠-٢١٦
٣٦٢.	﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ		٤٩-٥٠	١٤٥-١٥٤
٣٦٣.	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي	الشورى	١٣	١٦
٣٦٤.	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ		٢١	٢٣
٣٦٥.	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا	الزخرف	٢٢	٦٦
٣٦٦.	﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا		٢٣	٧٤
٣٦٧.	﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ	الزخرف	٣٦-٣٧	٥٨-٨٨-٨٩-٩٧-٢٠٠-٢٢٦-٢٢٨
٣٦٨.	﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ	الزخرف	٣٨	٢٠٠
٣٦٩.	﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ		٥١	١٨-١٤١
٣٧٠.	﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ		٥٢	١٨
٣٧١.	﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ		٥٤-٥٦	١٤٢-١٤٤
٣٧٢.	﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ	الدخان	٢٥-٢٩	١٤٤
٣٧٣.	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ	الجاثية	٢٣	٧٥
٣٧٤.	﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا		٢٨	٢٠٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٧٥.	﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ		٣٦-٣٧	١٣٨
٣٧٦.	﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ	الفتح	٢٩	٢١٧
٣٧٧.	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾	محمد	١٧	٢١١
٣٧٨.	﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ		٢٢	٤٤
٣٧٩.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى		٢٥	١٠٦-١٠٨-١٠٩
٣٨٠.	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ		٢٦	١٠٧-١٠٩
٣٨١.	﴿ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ		٣٦	٢٥
٣٨٢.	﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي ﴾	الحجرات	٧	١١٩
٣٨٣.	﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن		١٢	٣٦
٣٨٤.	﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۢ ﴾	ق	٢٧	١٤
٣٨٥.	﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ	الذاريات	٢٣	٢٠٣
٣٨٦.	﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ (٣١) قَالُوٓاْ إِنَّآ		٣١-٣٧	١٣٢
٣٨٧.	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾		٥٦	٢١
٣٨٨.	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾	النجم	٢	٣-٦-١١-١٣
٣٨٩.	﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴾	القمر	٣٤	١٣٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٩٠.	﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ		٣٧-٣٩	١٣٤
٣٩١.	﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ	المجادلة	١٩	٨٦-٨٧
٣٩٢.	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ		٢٠	١٣٨
٣٩٣.	﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ	الحشر	٩	٦٣
٣٩٤.	﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا		١٦	١٩٨
٣٩٥.	﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾	الممتحنة	١	٥٣
٣٩٦.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ	المنافقون	٩	٥٨-٦٠-٦٣٤
٣٩٧.	﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى	التغابن	٧	٢٠
٣٩٨.	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ		١٣	٢٢٣
٣٩٩.	﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ	الطلاق	٢-٣	١٧٢
٤٠٠.	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا	التحريم	٦	٢٢٥
٤٠١.	﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ		١٠	١٢٩
٤٠٢.	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ		١١	١٦٤-١٦٧
٤٠٣.	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾		٤	٢٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٠٤.	﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا	القلم	٣٣-١٧	١٥٦
٤٠٥.	﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾		٤٥-٤٤	١٤٢
٤٠٦.	﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ	الحاقة	٣١-٢٥	٦٥
٤٠٧.	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا	نوح	٢٧-٢٦	١٢٧
٤٠٨.	﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا	الجن	١٧	٥٨
٤٠٩.	﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ	المدثر	٤٥-٤٢	١٤
٤١٠.	﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ		٥١-٤٩	٥٦
٤١١.	﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾	القيامة	٢٠	٦٢-٦٠
٤١٢.	﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ	الإنسان	٢	١١٨
٤١٣.	﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	النازعات	٢٤-٢٣	١٤١-١٨
٤١٤.	﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً		٢٦-٢٥	١٤٢
٤١٥.	﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ		٤١-٣٧	٢٢١-٦٤
٤١٦.	﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ	المطففين	٦-١	٤١
٤١٧.	﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾		٢٠	١٨٦
٤١٨.	﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ	البروج	١٠-٤	-١٩١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

	عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ			١٩٣-١٩٥
٤١٩.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾	الأعلى	١٤-١٥	٢٨
٤٢٠.	﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾	الفجر	١٠-١٤	١٤٠-١٤٢
٤٢١.	﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾		٢٠	٥٩-٦٢
٤٢٢.	﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾		٢١	٦٣
٤٢٣.	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	البلد	١٠	٣
٤٢٤.	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾	الشمس	٩-١٠	٢٨
٤٢٥.	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾	الليل	٥-١٠	٣
٤٢٦.	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾	العلق	٦-٧	١٥٥
٤٢٧.	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	البينة	٥	٢٢٧
٤٢٨.	﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾	العاديات	٨	٥٩
٤٢٩.	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	العصر	١-٣	٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٣٠.	﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن	الماعون	٤–٧	٢٥
٤٣١.	﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾	الناس	٤	١٠٢–٢١٤
٤٣٢.	﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾		٦	٩٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	رقم الصفحة
١.	أتشفع في حد من حدود اللّه؟ ثم قام فاختطب ثم قال.....	٤٦
٢.	اتّقوا الظّلم؛ فإنّ الظّلم ظلمات يوم القيامة، واتّقوا الشّحّ؛ فإنّ الشّحّ.....	٦٣
٣.	ادعوا الله وأنتم واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من..................	٢٤٠
٤.	إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل اللهم إن..................	٢٤٠
٥.	إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلىً	٢٣٠
٦.	إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي..............	٢٣٠
٧.	إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ..................................	٢٤٢
٨.	أذنب عبدٌ ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال	٢٢٣
٩.	أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان ...	١٥٠
١٠.	أكلَّ ولدك نحلته مثله؟ فقال لا، فقال رسول الله –ﷺ–: (فأرجعه)....	٤٥
١١.	ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، ..	٥٤
١٢.	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول اللّه. قال............	٣٦
١٣.	إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا	٨٣
١٤.	إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا...........	٢٢٤
١٥.	إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا	٢١٦
١٦.	إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ. فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ..	١١٤
١٧.	إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر..................	١٥٥
١٨.	إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف.....	٦٧
١٩.	إن الشيطان إذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته............	٩٨
٢٠.	إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ......................	١١٣
٢١.	إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم............................	٩٣
٢٢.	إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى..........	٢١٩
٢٣.	إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل	٣٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٤.	إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض،.............	١٢٦
٢٥.	إن الله –عزَّ وجلَّ– لم يهلك قومًا، أو يعذب قومًا، فيجعل............	١٥٢
٢٦.	إنّ اللّه– عزّ وجلّ– يبسط يده باللّيل ليتوب.....................	٢٢٤
٢٧.	إن الله يقبل توبة العبد مالم................................	٢٢٤
٢٨.	أن تشهدَ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة،.....	٢٢
٢٩.	إن قلوب بني آدم كُلَّهَا بين إصبعين من أصابع الرَّحمن، كقلب ،.....	١٩٨
٣٠.	إن قلوب بني آدم كُلَّهَا بين إصبعين من أصابع.....................	١٥٦
٣١.	إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة...............................	١١٨
٣٢.	إِنَّا لَا نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ........................	٦٢
٣٣.	إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنِعْمَ...	٦٢
٣٤.	إنما الأعمال بالنيات...	٢٢٣
٣٥.	إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ..............	١١٣
٣٦.	أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ.......	٣
٣٧.	بُنِيَ الإسلامُ على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا.....	٢٢
٣٨.	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ فَهُوَ ..	١٤٩
٣٩.	تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها...	٧٤
٤٠.	ثلاثة كلهم حق علة الله عونه الغازي في سبيل الله، والمكاتب الذي.....	٢٣٣
٤١.	ثم عَرَجَ بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من........	١٦٦
٤٢.	جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –ﷺ–فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا..........	٩٥
٤٣.	خطَّ رسول الله –ﷺ– في الأرض أربعه خطوط، (قال: أتدرون...........	١٧٥
٤٤.	ذاك شيطان يقال له خنزب..	٩٨
٤٥.	صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر...	٦٧
٤٦.	فَقَالَ لِى: (سَلْ)، فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِى الْجَنَّةِ، قَالَ (..............	٢٣٠
٤٧.	فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بني إِسْرَائِيلَ لاَ يُدْرَى مَا فَعَلَتْ وَلاَ أُرَاهَا إِلاَّ الْفَأْرَ أَلاَ تَرَوْنَهَا	١٥٢
٤٨.	فوَ الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم....	٦٥
٤٩.	قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُركاء عن الشرك، من عمل.......	٢٢٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٠.	قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني............	٢١٩
٥١.	قال ذاك رجُلٌ بال الشيطانُ في أذنيه............................	١٩٨
٥٢.	قَالَ يَوْمًا: (أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟): قَالُوا اللَّهُ...........	١٣٨
٥٣.	قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله...	٥٧
٥٤.	قال: (أتدرون ما الغيبة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:(ذكرك أخاك ..	٣٧
٥٥.	كان رسول الله خلقة القرآن......	٢٨
٥٦.	كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني....	٢٠٢
٥٧.	كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ...............	٧٦- ٧٨- ٧٩-
٥٨.	كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ...............	٢٣٨
٥٩.	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ................	٢٣٨
٦٠.	كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره فأتى حصنًا حصينًا فأحرز.....	٩٧
٦١.	كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره................................	٢٢٦
٦٢.	كَمَلَ من الرجال كثير، ولم يَكمُل من النساء إلا مريم.................	١٦٩
٦٣.	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ..	٧٥
٦٤.	لا طيرة، وخيرها الفأل......................	١٨٩
٦٥.	لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري........................	١٠٢
٦٦.	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا...	٦٩
٦٧.	لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم...............	٢٠٥
٦٨.	مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً...........................	٩٦
٦٩.	ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.................	١٥٥
٧٠.	ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال..	٦٣
٧١.	ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا..................	٨٨
٧٢.	ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق.............	٢٨
٧٣.	ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه....	١٦
٧٤.	ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه....	١٠٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٥.	ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان....................	١١٧
٧٦.	ما نقصت صدقه من مال....................................	١١٨
٧٧.	من آتاه الله مالاً، فلم يؤد زكاته، مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً............	١٦٣
٧٨.	من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته	٢٧
٧٩.	مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ....	٦٢
٨٠.	من رأى منكم منكرًا فليغَيِّرَهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم....	٧٢
٨١.	من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا.......	٢٣٧
٨٢.	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا........	٥٣
٨٣.	وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين................	٧٧
٨٤.	يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ..	٦٢
٨٥.	يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ.................	٢٣٩
٨٦.	يا فاطمةُ بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يابني عبد المطلب،...	١٣٠
٨٧.	يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ.........	٢٣٤
٨٨.	يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض.........................	١٢٧
٨٩.	يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له........	٩٨
٩٠.	يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام............	٧٩
٩١.	يغفر الله للوط، إن كان يأوي إلى ركن شديد.........................	١٣٥
٩٢.	يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا........	٢٢٦
٩٣.	ينزل رَبنَا تبارك وَتَعَالَى كل لَيْلَة إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا.....................	٢٤٠
٩٤.	يوشك الناس يتساءلون بينهم، حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق.......	٩٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأعلام المترجم لها

م	اسم العلم	رقم الصفحة
١.	أبو إسحق إبراهيم بن محمد السَّرِّي الزَّجَّاج	٤٩
٢.	أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي	٥
٣.	أحمد بن فسارس بن زكريا القزويني الرازي	٤
٤.	أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي	٣٥
٥.	إسماعيل بن حماد الجوهري	٤
٦.	إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي	٥٠
٧.	الحارث بن عوف (أبو واقد الليثي)	٥٧
٨.	الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني	٥
٩.	دريد بن الصمة الجشمي البكري	٤
١٠.	سُلَيْمان بن صُرَد بن أبي الجون	١١٣
١١.	شمس الدين أبو عبدالله بن قايماز المعروف بالذهبي	٣٤
١٢.	الضَّحاك بن مزاحم البلخي	٥٠
١٣.	عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المعروف بالليث بن سعد	٤٩
١٤.	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات	٨٧
١٥.	قتادة بن دُعامة بن قتادة السَّدوسِي أبو الخطَّاب البصري	١٧١
١٦.	محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد التهانوي	٦
١٧.	محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير	٥
١٨.	نفيع بن الحارث الملقب بأبي بكرة	٣٦
١٩.	يحي بن زياد بن عبدالله الأسدي الفرَّاء	٤٩
٢٠.	يعقوب بن إسحق أبو يوسف بن السكيت	٤٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المصادر والمراجع

١- أحكام النكاح والزفاف- الشيخ مصطفى العدوي-ط١/٢٠٠٠م-دار ابن رجب.

٢- إحياء علوم الدين- محمد بن حمد الغزالي أبو حامد- دار المعرفة/ بيروت.

الأخلاق الإسلامية وأسسها- عبد الرحمن الميداني-ط٥/١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م-دار القلم/ دمشق.

٣- أخلاق العلماء- محمد بن الحسين بن عبدالله الأجُرّيِّ-ط١/١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م-دار القلم/ دمشق.

٤- أدب المفتي والمستفتي- عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي المعروف بابن الصلاح-ط١/١٤٠٧هـ-مكتبة العلوم والحكم/ بيروت.

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- تفسير أبي السعود-ط١/١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م-دار الفكر/ بيروت.

٦- أسباب النزول- للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي-ط١/١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م- دار الحديث/ القاهرة.

٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب- ابن عبد البر-ط١/١٤١٢هـ-دار الجيل.

٨- الأسرة تحت رعاية الإسلام- عطية صقر-ط١/١٤١١هـ، ١٩٩٠م-الدار المصرية للكتاب.

٩- أصول الدعوة- عبد الكريم زيدان-ط١/١٤٣١هـ، ٢٠١٠م-مؤسسة الرسالة.

١٠-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي-ط١/١٤٢٥هـ-مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة.

١١- الأعلام- خير الدين بن محمود بن فارس الزركلي الدمشقي- ط١٥- دار العلم. للملايين.

١٢- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان- ابن القيم الجوزية-ط٢/١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م-دار المعرفة/ بيروت.

١٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف- البيضاوي- دار الفكر/ بيروت.

١٤- إيجاز البيان عن معاني القران- محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي- ١٤١٥هـ- دار الغرب الإسلامي/ بيروت.

١٥- الإيمان-للدكتور محمد نعيم ياسين- دار عمر بن الخطاب/ الإسكندرية.

١٦- بحر العلوم- أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي- دار الفكر/ بيروت.

١٧- بدائع الفوائد- لابن القيم الجوزية-دار عالم الفوائد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٨- بصائر ذوي التمييز- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي-المكتبة العلمية / بيروت.

١٩- بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا- عبد العزيز بن باز-ط١/١٤١٧هـ، ١٩٩٦م- رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢٠- التحرير والتنوير- للشيخ محمد الطاهر بن عاشور-ط١/١٩٩٧م- دار سحنون للنشر والتوزيع.

٢١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري- دار الكتب العلمية/ بيروت.

٢٢- تربية الأولاد في الإسلام- عبدالله علوان-ط٣٢/١٤١٩هـ، ١٩٩٩م-دار السلام/ القاهرة.

٢٣- التعريفات- علي بن محمد بن علي الجرجاني-ط١/١٤٠٥هـ-دار الكتاب العربي/ بيروت.

٢٤- تفسير الشعراوي- محمد متولي الشعراوي- أخبار اليوم قطاع الثقافة القاهرة.

٢٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)-محمد رشيد بن علي رضا-١٩٩٠م-الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٦- تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي- ط٢/١٤٢٠هـ، ١٩٩١م- دار طيبة للنشر.

٢٧- تفسير القرآن الكريم- محمد بن صالح العثيمين- ط١/١٤٢٣هـ-دار ابن الجوزي/ الدمام.

٢٨- تفسير المراغي- الشيخ أحمد مصطفى المراغي-دار الفكر/ بيروت.

٢٩- تفسير المشكل من غريب القرآن- مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد-ط١/١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م- دار النور الإسلامي.

٣٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- الدكتور وهبه بن مصطفى الزحيلي- ط٢/١٤١٨هـ- دار الفكر المعاصر.

٣١- التفسير الوسيط- للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي-ط١/١٤٢٢هـ- دار الفكر/ دمشق.

٣٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم- محمد سيد طنطاوي-ط٣/١٤٠٧هـ، ١٩٧٨م.

٣٣- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان- حسن بن محمد النيسابوري-ط١/١٤١٦هـ، ١٩٩٦م-دار الكتب العلمية/بيروت.

٣٤- تفسير غريب القرآن- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة- تحقيق السيد أحمد صقر-دار الكتب العلمية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٥- تلبيس إبليس- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- ط١/١٤٢١هـ، ٢٠٠١م-دار الفكر.

٣٦- تهذيب اللغة- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي-٢٠٠١م-دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٣٧- التوقيف على مهام التعاريف- محمد عبد الرؤوف المناوي-ط١/١٤١٠هـ-دار الفكر/ بيروت.

٣٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن السعدي-ط١/١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م-مؤسسة الرسالة.

٣٩- جامع البيان في تأويل القرآن- محمد بن جرير بن يزيد الطبري-ط١/١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م- مؤسسة الرسالة- تحقيق أحمد شاكر.

٤٠- جامع العلوم والحكم- أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي-ط١/١٤١٧هـ، ١٩٩٧م-مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٤١- الجامع لأحكام القرآن- محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي-ط٢/١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م-دار الكتب المصرية/ القاهرة.

٤٢- جمهرة اللغة- ابن دريد- ط١/١٩٨٧م-دار العلم للملايين.

٤٣- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي- ابن القيم الجوزية- ط١/١٤١٨هـ، ١٩٩٧م- دار المعرفة.

٤٤- الجواهر الحسان في تفسير القرآن- أبو زيد الثعالبي- مؤسسة اللأعلمي للمطبوعات/ بيروت.

٤٥- خطر التبرج والاختلاط- عبد الباقي رمضان- ط٩/١٩٩٧م-مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٤٦- خلق المسلم- محمد الغزالي-ط٢/١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م-دار القلم/ دمشق.

٤٧- دائرة معارف القرن العشرين- محمد فريد وجدي- ط٣/١٩٧١م- دار المعرفة/ بيروت.

٤٨- درء تعارض العقل والنقل- أحمد بن علي عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني أبو العباس- ط١/١٣٩١هـ-دار الكنوز الأدبية/ الرياض.

٤٩- ذم المال والجاه – الحافظ ابن رجب الحنبلي-دار القاسم.

٥٠- ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة- ابن قدامه المقدسي- دار الكتب العلمية/ بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥١- ذيل تذكرة الحفاظ- أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الدمشقي-ط١٤١٩/١هـ-١٩٩٨م- دار الكتب العلمية.
٥٢- رسالة المسجد في الإسلام- عبد العزيز محمد اللميلم-ط١٤٠٧/١هـ.
٥٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي- دار الفكر/ بيروت-لبنان.
٥٤- زاد المسير- ابن الجوزي-ط١٤٠٤/٣هـ- المكتب الإسلامي.
٥٥- زاد المعاد في هدي خير العباد- ابن القيم الجوزية-ط١٤١٥/١هـ، ١٩٩٤م- مؤسسة الرسالة/ بيروت.
٥٦- الزواج بنية الطلاق من خلال أدلة الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية - صالح آل منصور-ط١٤٢٨/١هـ -دار ابن الجوزي.
٥٧- الزواجر عن اقتراف الكبائر- ابن حجر الهيثمي-ط١٤٢٠/١هـ، ١٩٩٩م- المكتبة العصرية.
٥٨- سنن أبو داوود- لأبي سليمان بن الأشعث السجستاني-مكتبة المعارف للنشر/ الرياض.
٥٩- سنن الترمذي- لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي- ط١-بتحقيق الألباني -مكتبة دار المعارف/ الرياض.
٦٠- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها- محمد هيشور-ط١٩٩٦/١م- المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ القاهرة.
٦١- الصحاح- لإسماعيل بن حماد الجوهري- ط١٩٩٠/٤م- دار العلم للملايين/ بيروت.
٦٢- صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري-ط١٤٢٣/٢هـ، ٢٠٠٢م- دار الكتب العلمية/ بيروت.
٦٣- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري-ط١٤٢٤/٢هـ، ٢٠٠٣م-دار الكتب العلمية/ بيروت.
٦٤- طبقات النَّسَّابين- لبكر أبوزيد- ط١٤٠٧/١هـ، ١٩٨٧م- دار الرشد/ الرياض.
٦٥- عالم الجن والشياطين- عمر سليمان الأشقر-ط١٤١٩/١١هـ، ١٩٩٩م- دار النفائس.
٦٦- العبودية- ابن تيمية- ط١٤٢٦/٧هـ، ٢٠٠٥م- المكتب الإسلامي/ بيروت.
٦٧- عقيدة التوحيد- صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان-ط١٤٢٠/١هـ-دار العاصمة/الرياض.
٦٨- العقيدة الطحاوية- أبو جعفر الطحاوي-ط/١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م-المكتب الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦٩- العين- لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي – دار ومكتبة الهلال.
٧٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني- دار المعرفة/ بيروت.
٧١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني- ط١/١٤١٣هـ،١٩٩٢م- دار الفكر/ بيروت.
٧٢- فقه السنة- السيد سابق- ط٢١/١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م- دار الفتح للإعلام العربي/ القاهرة.
٧٣- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية- نعمة الله النخجواني-ط١/١٩٩٩م-دار ركابي.
٧٤- الفوائد- ابن القيم الجوزية-ط١/١٤٢٢هـ-دار ابن رجب.
٧٥- في ظلال القرآن- سيد قطب إبراهيم-ط٢- دار الشروق/ القاهرة.
٧٦- قاعدة في المحبة- أحمد عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني أبو العباس-مكتبة التراث الإسلامي/ القاهرة.
٧٧- القاموس المحيط – محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- مؤسسة الرسالة/ بيروت.
٧٨- قصص الأنبياء- للإمام عماد الدين أبي الفداء بن كثير-دار إحياء الكتب العربية.
٧٩- الكبائر- محمد بن عثمان الذهبي- مكتبة الحياة/ بيروت.
٨٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل-الزمخشري- دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
٨١- الكليات- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي-ط١/١٤١٩هـ، ١٩٩٨م- مؤسسة الرسالة/ بيروت.
٨٢- لباب التأويل في معاني التنزيل- علاء بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن- ط١/١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م- دار الفكر/ بيروت.
٨٣- لسان العرب- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- ط١- دار صادر/ بيروت.
٨٤- مباحث في علوم القرآن- منَّاع القطان-ط٣/١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م- مكتبة المعارف.
٨٥- مجموع الفتاوى- لتقي الدين أبو العباس بن تيمية الحرَّاني-ط٣/١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م-دار الوفاء.
٨٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي-ط١/١٤١٣هـ، ١٩٩٣م- دار الكتب العلمية/بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- ابن القيم الجوزية-ط٢/١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م-دار الكتاب العربي/ بيروت.
٨٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل- عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات- ط١/١٤١٩هـ، ١٩٩٨م-دار الكلم الطيب.
٨٩- المرأة في شتى العصور-محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب-ط١/١٩٧٩م- المطبعة المصرية/ القاهرة.
٩٠- مسند الإمام أحمد - للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني-ط١/١٤٢٠هـ، ١٩٩٧م- مؤسسة قرطبة/ القاهرة.
٩١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي- المكتبة العلمية/ بيروت.
٩٢- معالم التنزيل- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي-ط٤/١٤١٧هـ، ١٩٩٧م- دار طيبة للنشر والتوزيع.
٩٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن- الحسين بن مسعود بن محمد البغوي-ط١/١٤٢٠هـ-دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
٩٤- المعاملات في الإسلام- عبد الستار سعيد-ط٤/١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م- رابطة العالم الإسلامي.
٩٥- معاني القرآن- أبو زكريا يحي بن زياد الفراء-ط٣/١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م-دار عالم الكتب.
٩٦- معاني القرآن وإعرابه- للزجاج-تحقيق عبد الجليل عبه شلبي-ط١/١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م- عالم الكتب.
٩٧- معجم الفروق اللغوية- لأبي هلال العسكري-تحقيق محمد إبراهيم سليم-دار العلوم والثقافة/ القاهرة.
٩٨- معجم مقاييس اللغة- أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا-١٣٩٩ هـ،١٩٧٩م- دار الفكر.
٩٩- مفاتيح الغيب- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين البكري الملقب بالفخر الرازي- ط١/١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م- دار الكتب العلمية بيروت.
١٠٠-مفردات غريب القرآن- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني- دار القلم/ دمشق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠١-المفردات في غريب القرآن للراغب- أبو القاسم الحسين بن محمد-ط١- دار المعرفة/ بيروت.
١٠٢-مِنْ عَجَائِبِ الدُّعاء- خالد الربعي-ط١/١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م-دار القاسم.
١٠٣-مناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزرقاني-ط١/١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م-دار السلام/ القاهرة.
١٠٤-منهاج السنة النبوية- ابن تيمية-ط١/١٤٠٦هـ-مؤسسة قرطبة.
١٠٥-منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق و عبادات ومعاملات- أبو بكر جابر الجزائري-ط٦/١٤١٩هـ، ١٩٩٨م-مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة.
١٠٦-منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع- للدكتور محمد يوسف-ط٢/٢٠٠٤م-دار السلام/القاهرة.
١٠٧-الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية- الشيخ محماس بن عبد الله محمد الجلعود-دار الجبهة/ الرياض.
١٠٨-موسوعة كشاف اصطلاح الفنون والعلوم- محمد علي التهانوي-ط١/١٩٩٦م.
١٠٩-نظم الدرر في تناسب الآي والسور-برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي-١٤١٥هـ، ١٩٩٥م- دار الكتب العلمية/ بيروت.
١١٠-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- لبرهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي- ط٢/١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م- دار الكتب العلمية/ بيروت.
١١١-النكت والعيون- أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري-دار الكتب العلمية/ بيروت.لباب التأويل في معاني التنزيل- أبو الحسن علي بن محمد الخازن- ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م-دار الفكر/ بيروت .
١١٢-النهاية في غريب الحديث والأثر- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير- دار المكتبة العلمية/ بيروت.
١١٣-نواقض الإسلام: محمد بن عبد الوهاب-ط٣/١٤٢٢هـ-دار ابن الجوزي.
١١٤-الوابل الصيب من الكلم الطيب- أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الملقب ابن القيم-ط١/١٤٠٥هـ-دار الكتاب العربي/بيروت.
١١٥-وفيات الأعيان- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان- ط١/١٩٩٧م- دار صادر/ بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ج
المقدمة	ج
الفصل التمهيدي: مفهوم الغواية ومشتقاتها ونظائرها	
المبحث الأول: مفهـــوم الغواية	
المطلب الأول: الغواية لغة	٤
المطلب الثاني: الغواية اصطلاحاً	٥
المطلب الثالث: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية	٦
المبحث الثاني: الغواية ومشتقاتها ونظائرها في القرآن الكريم	
المطلب الأول: الغواية ومشتقاتها في القرآن الكريم	٩
المطلب الثاني: الغواية ونظائرها في القرآن الكريم...........................	١٣
الفصل الأول: ميادين الغواية وأسبابها في القرآن الكريم	
المبحث الأول: ميادين الغواية في القرآن الكريم	
المطلب الأول: الغواية في العقائد	١٦
المطلب الثاني: الغواية في العبادات	٢١
المطلب الثالث: الغواية في الأخلاق	٢٨
المطلب الرابع: الغواية في المعاملات	٣٧
المبحث الثاني: أبرز أسباب الغواية كما يصورها القرآن الكريم	
المطلب الأول : اتباع خطوات الشيطان......................................	٤٩
المطلب الثاني: موالاة اليهود والنصارى....................................	٥٢
المطلب الثالث: الإعراض عن ذكر الله–تعالى–.............................	٥٤
المطلب الرابع: الحرص على المال والشرف	٦٠
المطلب الخامس: التبرج وكشف العورات....................................	٦٦
المطلب السادس: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.........	٧٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السابع: انتكاس الفطرة..	٧٥
المطلب: الثامن: غياب لوعي الديني في المجتمعات.........................	٧٩
الفصل الثاني: الشيطان وأساليبه في الغواية	
المبحث الأول: أساليب الشيطان مع الكافرين	
المطلب الأول: الإحتناك	٨٥
المطلب الثاني: الاستحواذ..	٨٧
المطلب الثالث: الأزّ..	٨٩
المبحث الثاني: أساليب الشيطان مع المؤمنين	
المطلب الأول: الوسوسة..	٩٢
المطلب الثاني: النزغ..	١٠٠
المطلب الثالث: استزلال الشيطان لهم..................................	١٠٣
المطلب الرابع: الإضلال...	١٠٤
المطلب الخامس: التسويل..	١٠٧
المطلب السادس: الإملاء..	١١٠
المطلب السابع: الإيقاع بين المؤمنين..................................	١١٢
المطلب الثامن: التخويف..	١١٥
المطلب التاسع: التزيين	١١٩
الفصل الثالث: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية والناجين منها	
المبحث الأول: نماذج قرآنية للساقطين في الغواية	
المطلب الأول: ابن نوح عليه السلام...........	١٢٧
المطلب الثاني: امرأتا نوح ولوط عليهما السلام............................	١٢٩
المطلب الثالث: قوم لوط.....................	١٣١
المطلب الرابع: النمرود بن كنعان...	١٣٧
المطلب الخامس: فرعون.......	١٤٠
المطلب السادس: قارون..	١٤٤
المطلب السابع: أصحاب السبت..	١٥٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثامن: بلعام بن باعوراء...	١٥٤
المطلب التاسع: صاحب الجنتين في سورة الكهف	١٥٧
المطلب العاشر: أصحاب الجنة في سورة القلم..................................	١٦٠
المبحث الثاني: نماذج قرآنية للناجين من الغواية	
المطلب الأول: يوسف علية السلام	١٦٥
المطلب الثاني: امرأة فرعون..	١٦٩
المطلب الثالث: مؤمن آل فرعون...	١٧٦
المطلب الرابع: سحرة فرعون	١٨٠
المطلب الخامس: مؤمن آل ياسين..	١٨٦
المطلب السادس: أصحاب الكهف...	١٩٤
المطلب السابع: صاحب الجنتين..	١٩٩
المطلب الثامن: أصحاب الأخدود	٢٠٢
الفصل الرابع: نتائج الغواية وسبل النجاة والوقاية منها	
المبحث الأول: نتائج الغواية	
المطلب الأول: الكفر..	٢٠٨
المطلب الثاني: غضب الله عليهم ولعنهم..	٢٠٩
المطلب الثالث: الخسران والندم	٢١٠
المطلب الرابع: عذاب الأليم في الآخرة.	٢١٢
المطلب الخامس: الحشر مع الشياطين..	٢١٣
المطلب السادس: الهداية إلى السعير..	٢١٤
المبحث الثاني: سبل النجاة والوقاية من الغواية	
المطلب الأول: إخلاص العبادة لله–تعالى–..................................	٢١٩
المطلب الثاني: التوبة والاستغفار...	٢٢٢
المطلب الثالث: المداومة على ذكر الله..	٢٢٥
المطلب الرابع: التعوذ بالله من الشيطان الرجيم................................	٢٢٧
المطلب الخامس: كثرة السجود لله–تعالى–	٢٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس: الحياء والحشمة..	٢٣١
المطلب السابع: الزواج..	٢٣٢
المطلب الثامن: التوكل على الله	٢٣٦
المطلب التاسع: التربية الإيمانية المتكاملة	٢٣٧
المطلب العاشر: الدعاء...	٢٤٠
الخاتمة والتوصيات	٢٤٢
الفهارس	
فهرس الآيات القرآنية..	٢٤٥
فهرس الأحاديث النبوية	٢٦٩
فهرس الأعلام..	٢٧٣
المصادر والمراجع	٢٧٤
فهرس الموضوعات...	٢٨١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص البحث

رسالة ماجستير بعنوان

(الغواية في ضوء القرآن الكريم.......دراسة موضوعية)

هذه الرسالة العلمية تتحدث عن الغواية في ضوء القرآن الكريم، وموضوع الرسالة جدير بالبحث والدراسة، خاصة وأنَّ شبح الغواية يخيِّم على العالم الإسلامي، سواءً في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق، بسبب بعد الكثير من الناس عن تعاليم دينهم.

وقد اعتمد الباحث في بحثه لهذا الموضوع على المنهج الاستقرائي، حيث قام الباحث بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الغواية سواءً بمعناها اللفظي أو بمفهومها الشمولي، فاشتملت على مجموعة من الآيات، ومجموعة من الأحاديث النبوية.

وتتكون هذه الرسالة العلمية من مقدمه وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

أما التمهيد فقد تحدث فيه الباحث عن معنى الغواية في اللغة والاصطلاح، وبيَّن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للغواية.

واحتوى الفصل الأول على مبحثين، تحدث المبحث الأول عن ميادين الغواية، وتحدث المبحث الثاني عن أبرز أسباب الغواية في القرآن الكريم، وذلك من خلال حصر أبرز الأسباب التي تؤدي إلى الغواية، وأما الفصل الثاني، فقد تحدث عن الشيطان وأبرز أساليبه في الغواية، وقد تحدث الباحث في المبحث الأول عن أساليب الشيطان مع الكافرين، وتحدث في المبحث الثاني عن أساليبه مع المؤمنين، وأما الفصل الثالث، فقد احتوى على مبحثين اشتملا نماذج قرآنية لمن سقطوا في الغواية، ولمن نجوا منها، وأما الفصل الرابع، فيشتمل أيضاً على مبحثين، المبحث الأول: يُمثل نتائج الغواية وما يترتب عليها في الدنيا والآخرة، والمبحث الثاني فيمثل سبل النجاة والوقاية من الغواية، وهذه السبل هي: إخلاص العبادة لله–تعالى–، والتوبة والاستغفار، والمداومة على ذكر الله، والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكثرة السجود، والحياء والحشمة، والزواج، والتوكل، والتربية الإيمانية المتكاملة، واللجوء– إلى الله تعالى– بالدعاء.

وقد ختم الباحث بحثه بخاتمة اشتملت على مجموعة من النتائج والتوصيات، وقد اشتمل هذا البحث على مجموعة من الفهارس وهي: فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأعلام، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات، كما اشتمل هذا البحث على ملخصٍ للرسالة باللغة العربية، وملخص باللغة الإنجليزية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Summary of Master's thesis in English

Master's thesis entitled

(Seduction in Quran.. objective study)

This scientific research talks about the seduction in the holy Quran this major object is worthy of research and study, especially since the seduction is around the Islamic world, in both of their doctrines worship, transactions or in ethics, because most of people are away from their religion.

The researcher adopted in consideration of this matter to the inductive approach, collected the Quran verses related to seduction, in its verbal or global contained a set of verses, and hadith.

This research divided into: introduction, 4 chapters and a conclusion.

Introduction explain the meaning of seduction in the language and terminology, and the relationship between linguistic meaning and terminology of the seduction.

First chapter contains two sections, the first about the places of seduction, while the second focuses on the main reasons of seduction in the holy Quran.

The second chapter is about the devil and his methods of seduction, with unbelievers in the first section and with believers in the second.

The third Chapter contains two sections, about examples from Quran for whom those who failed in seduction and who survived.

The forth Chapter contains two sections, the first represents the results of seduction and its consequents in this world and the Hereafter, and the second section represents the means of survival and prevention of seduction.

Conclusion includes a set of results and recommendations, beside indexes: index of Quran verses, hadith, characters, sources, references, and subjects, finally a summary in Arabic, and another in English.

May Allah guide us to His right straight Path.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com